الجامعـــــة الإسلامية – غــزة

عمادة الدراســات العليــــا

كليــــــة أصــــــول الديـــن

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

قضايا العقيدة في ضوء سورة الأحزاب وأثرها على الفرد والمجتمع

إعـــداد

الطالب: ناصر جبر مراحيل غرقود.

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

جابر زايد عيد السميري

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة.

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

[لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا]

{الأحزاب:٢١}

الإهداء

إلى قائدي، وقدوتي، وحبيبي محمد ﷺ إيماناً وتسليماً وتصديقاً.

إلى الروحين الطاهرتين... أبي الغالي... وأخي محمد... رحمهما الله تعالى.

إلى والدتي الصابرة المحتسبة حفظها الله ورزقني برها.

إلى زوجتي البر التي شاركتني همومي وانشغلت بانشغالي، وبذلت كل طاقتها؛ لتوفير الأجواء المناسبة لأكمل دراستي.

إلى أخي الأسير الصامد خلف زنازين الظلم (عبد الشافي).

إلى أولادي الأحباب: مصعب، حنين، إسماعيل، محمد، محمود.

إلى إخواني وأخواتي وأصدقائي الذين لم يحرموني دعواتهم.

إلى الأكرم منا جميعاً، إلى الشهداء الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله.

أهدي هذا البحث المتواضع

سائلاً الله عزَّ وجلَّ أنْ يتقبله منّي.

الباحث

ناصر جبر غرقود

شكر وتقدير

يقول تعالى: [... وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ] [(١)].

ويقول رسولِه ﷺ: **(مَن لا يشكر النَّاسَ لا يشكر الله)**[(٢)]،فإنَّني وبَعدَ أنْ أَحمدَ اللهَ عزَّ وجَلَّ حَمْداً يليقُ بآيات القدرة والإعجاز، وأُثني عليه ثناءً قَدْرَ ما يُوفِي عطاءه الواسع أنْ يَسَّر لي جميعَ السُّبُل إلى إتمام هذه الرّسالة، وبَعدَ أنْ أُباركَ جُهدي وجُهدَكم بالصَّلاة والسَّلام على معلّمي الأوّل، وشفيعي محمدٍ ﷺ:

أتقدم بالشكر والثناء والعرفان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور/ جابر زايد السميري –حفظه الله، **الذي أشرف على هذا البحث، ومنحني من جهده، ووقته، وإرشاداته الطيبة، مما كان له الأثر البالغ في إثراء هذا البحث.**

كما أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى عضويّ لجنة المناقشة.

الدكتور الفاضل/ يحيي علي الدجني –حفظه الله.

والدكتور الفاضل/ عماد الدين عبد الله الشنطي–حفظه الله.

لتفضلهما بقبول مناقشتي وإبداء الإرشادات التي تثري البحث وتكسبه متانة ورصانة.

وأتوجه بالعرفان إلى بيتي الثاني الجامعة الإسلامية، إدارةً، ومحاضرين، وموظفين، وأخص بالذكر كلية الشهداء، كلية أصول الدين، وقسمها الشامخ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

كما وأتقدم بجزيل الشكر لأستاذنا ومربينا الأستاذ الفاضل/ محمد صالح طه –حفظه الله، **لما أسداه إليّ من توجيهات، وما بذله من جهد في تدقيق معظم صفحات البحث، وضبط قواعده اللغوية، فجزاه الله خير الجزاء.**

والشكر الموصول إلى الأستاذ/ طارق عقيلان لما بذله معي من جهد في هذا البحث، فجزاه الله خير الجزاء.

وشكري للأستاذ/ ناهض النباهين الذي قام بترجمة ملخص هذا البحث إلى اللغة الانجليزية، فجزاه الله خير الجزاء.

---

(١) سورة النمل:٤٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم(١٩٥٤) ، ص٤٤٥ ،تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة، قال الألباني: صحيح،

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد...

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ، ومن أهم المعاني التي نزل القرآن الكريم لإثباتها العقيدة، فالعقيدة أصل الإسلام وأساس الملة ولا تقبل الأعمال والأقوال في الإسلام ولا تصح إلا إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، كما قال تعالى: [... لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] (1).

وحين ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم، وفهم السنة النبوية، ضعفت العقيدة في نفوسهم فضلوا و أضلوا وظهرت بينهم البدع، وانتشرت فيهم المعتقدات الباطلة، فكان لزاماً علينا أن نرجع إلى هذا النبع الصافي لكي ننهل منه عقيدتنا .

أولاً: أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يتعلق بسورة الأحزاب التي تتناول قضايا عقائدية بالغة الأهمية، مثل أولي العزم من الرسل، وختم النبوة، وآل بيت النبي ﷺ ، وتذكرنا هذه السورة بمعية الله عز وجل ونصره للمؤمنين الصادقين.

وهذا أكثر شيء تحتاج إليه الأمة في هذا الوقت العصيب الذي تكالب فيه الأعداء على الإسلام وأهله، وجُمعت الجيوش، واحتلت أرض المسلمين، وحشدت الأقلام، ورمي الإسلام عن قوسٍ واحدةٍ .

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

١- تتضمن سورة الأحزاب بعض المسائل العقدية التي لم ترد في غيرها من السور؛ مثل عقيدة ختم النبوة وأولي العزم من الرسل و آية التطهير .

٢- والتشابه الكبير بين أحداث سورة الأحزاب وغزوة الأحزاب وواقعنا المعاصر الذي نعيش فيه هذه الأيام .

٣- كون سورة الأحزاب تضرب لنا مثالاً واضحاً لانتصار العقيدة على الشرك واليهود .

---

(١) سورة الزمر: ٦٥.

ثالثاً: أهداف البحث:

للبحث أهداف عديدة سامية أذكر أهمها:

١- ربط أحداث السورة بالواقع، والاستفادة منها من ناحية عقدية.

٢- بيان آثار السورة على الفرد والمجتمع .

٣- بيان صفات المنافقين والتحذير منهم .

٤- بيان الواجب علينا تجاه النبي ﷺ .

رابعاً: منهج الدراسة:

اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي.

طريقة البحث

١. تخريج الآيات وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآيات بوضعها بين هلالين بهذا الشكل [ ] .

٢. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها الحديثية ونقل حكم العلماء عليها عدا ما ورد في الصحيحين، وتمييز الأحاديث النبوية بوضعها بين هلالين بهذا الشكل( ).

٣. ترجمة بعض شخصيات البحث.

٤. توثيق النصوص المنقولة لأول مرة في الهامش، مبتدئاً بذكر اسم الكتاب، فاسم المؤلف مع بيانات التوثيق كافة، وعند تكرار ذكر المرجع أكتب اسم الكتاب والجزء والصفحة، إلا إذا كان هناك أكثر من كتاب بنفس العنوان، فعندها أكتب اسم المؤلف للتمييز، وعند تكرار المرجع في نفس الصفحة أكتب المرجع السابق، وفي حالة عدم وجود رقم طبعة أو سنة طبعة، أكتب بدون رقم طبعة، أو بدون سنة طبعة.

٥. إذا زاد اسم الكتاب عن ثلاث كلمات، أكتبه أول مرة كاملاً، وبعد ذلك أختصره إلى ثلاث كلمات أو أقل.

٦. بيان معنى الكلمات الغريبة وذلك في الهامش.

٧. إعداد الفهارس اللازمة، وترتيبها على النحو التالي، الآيات القرآنية، ثم الأحاديث الشريفة، ثم الأعلام المترجم لهم، وأخيراً المصادر والمراجع والموضوعات.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث على الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ومن خلال مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، والكشف في المكتبة الإلكترونية بالجامعة الإسلامية "غزة" وكذلك كتاب الكشاف عن رسائل الماجستير بالجامعة ، لم يجد الباحث رسالة علمية تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه.

ولكن هناك عدداً من الرسائل العلمية التي تناولت بعض جوانب السورة.

١. عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية– رسالة ماجستير للباحث: أحمد بن سعد الغامدي.
ولقد تناول الباحث في هذه الرسالة مسألة واحدة فقط وهي عقيدة ختم النبوة.

٢. تأملات في سورة الأحزاب – رسالة ماجستير للباحث: أحمد علي النويرة.
وهي رسالة في التفسير.

٣. قضايا نساء النبي ﷺ ، والمؤمنات في سورة الأحزاب- رسالة ماجستير للباحثة: حصة الخليفي، وهي رسالة في التفسير.

٤. بعض معالم المجتمع الإسلامي من سورة الأحزاب- رسالة ماجستير للباحث: عبد الوهاب لطفي الديلمي، وهي رسالة في التفسير.

ولقد وجدت أيضاً بعض الكتب التي تتحدث في جوانب معينة:

١. آية التطهير وعلاقتها بـ(عصمة الأئمة)الدكتور: طه حامد الدليمي.

٢. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد بن خليفة التميمي.

٣. آل البيت وحقوقهم الشرعية، الشيخ: صالح بن عبد الله الدويش.

ولكن ما تميز به هذا البحث تناوله لهذه القضايا وقضايا أخرى، وأيضاً ربط هذه القضايا بواقع المسلمين، واستنتاج ما يترتب على هذه المسائل من آثار في حياة الفرد والأمة .

سادساً: خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد و خمسة فصول ومباحث ومطالـب وخاتمـة وفهـارس وموزعة على النحو التالي:

مقدمة: وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

تمهيد

تعريف بالسورة

أولاً: تسمية السورة .

ثانياً: نزولها .

ثالثاً: مقاصدها العامة وخصائصها.

الفصل الأول

التوحيد في سورة الأحزاب ونواقضه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية ونواقضه.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقضه.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات ونواقضه.

الفصل الثاني

النبوات في سورة الأحزاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنبياء والرسل ووجوب توقيرهم.

المبحث الثاني: خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: مكانة النبي ﷺ وآله في سورة الأحزاب.

الفصل الثالث

الغيبيات في سورة الأحزاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الملائكة.

المبحث الثاني: اليوم الآخر.

المبحث الثالث: القضاء والقدر.

الفصل الرابع

أصناف الناس في سورة الأحزاب.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول:المؤمنون.

المبحث الثاني: المنافقون.

المبحث الثالث: الكفار.

المبحث الرابع: اليهود.

الفصل الخامس

أثر العقيدة على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الأحزاب.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر العقيدة على الفرد.

المبحث الثاني: أثر العقيدة على المجتمع .

سابعاً: الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

ثامناً: الفهارس .

تمهيد

التعريف بالسورة

أولاً: تسمية السورة .

ثانياً: نزولها .

ثالثاً: مقاصدها العامة .

رابعاً: خصائص سورة الأحزاب.

أولاً: تسمية السورة .

سميت سورة الأحزاب في المصاحف وكتب التفسير والسنة بهذا الاسم، وكذلك رويت تسميتها عن ابن عباس وأُبيّ بن كعب بأسانيد مقبولة، ولا يعرف لها اسم غيره، وسبب التسمية أن فيها ذكر أحزاب المشركين من قريش وغطفان ومَن تحزب معهم من المنافقين ويهود بني قريظة، حيث أرادوا غزو المسلمين في المدينة، ومحاولة استئصالهم، فردّ الله كيدهم، وكفى الله المؤمنين القتال [١].

ثانياً: نزولها .

وهي مدنية[٢]،وهي التسعون في عداد السور النازلة من القرآن، نزلت بعد سورة الأنفال، وقبل سورة المائدة، وكان نزولها على قول ابن إسحاق[٣] أواخر سنة خمس من الهجرة[٤]،وتسمى غزوة الخندق حين أحاط جماعات من قريش وأحابيشهم وكنانة وغطفان وكانوا عشرة آلاف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، وعقبتها غزوة قريظة والنضير، وعدد آيها ثلاث وسبعون باتفاق أصحاب العدد[٥].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،٢٤٥/٢١، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،بدون رقم طبعة، ١٩٩٧م، وانظر: التربية الإسلامية في سورة الأحزاب، على عبد الحليم محمود، ص١٨، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م. التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلى، ٢٢٥/٢١، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: صدقي جميل العطار،٣٩٩٧/٧، دار الفكر – بيروت، ط١ ،١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق:السيد محمد السيد وآخرون ٣٩٩/٦، دار الحديث – القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣) ابن اسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء،(١٥١ هـ - ٧٦٨ م) المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام، وكان قدريا، ومن حفاظ الحديث، زار الإسكندرية سنة ١١٩ هـ وسكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. وكان جده يسار من سبي عين التمر. قال ابن حبان: لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه، وهو من أحسن الناس سياقاً للإخبار. انظر: الأعلام :خير الدين الزركلي ،٢٧/٦-٢٨،دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م.

(٤) انظر: سيرة ابن هشام، تحقيق: أحمد حجازي السقا،١٥٧/٣،دار التراث العربي للطباعة والنشر، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤٥/٢٠.

قال ابن إسحاق:" وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] [١] والجنود قريش، وغطفان، وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة، يقول الله تعالى: [إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا] [٢]"[٣].

"نزلت في المنافقين، وإيذائهم رسول الله ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها، وهي ثلاث وسبعون آية، **(وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم:(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم))**[٤]"[٥].

وهذه رواية ضعيفة، ولقد رد ابن عاشور[٦] عليها فقال: ومحمل هذا الخبر عند أهل العلم أن أُبَيّاً حدّث عن سورة الأحزاب قبل أن يُنسخ منها ما نُسخ، فمن الآيات ما نسخت تلاوته وحكمُه، ومنها ما نسخت تلاوته خاصة مثل آية الرجم، وإن صح عن أبيّ ما نُسب إليه فما هو إلا أن شيئاً كثيراً من القرآن كان أُبيّ يُلْحقه بسورة الأحزاب، وهو من سور أخرى من القرآن، مثل كثير من سورة النساء الشبيه ببعض ما في سورة الأحزاب أغراضاً ولهجة مما فيه ذكر المنافقين واليهود ، فإن أصحاب رسول الله لم يكونوا على طريقة واحدة في ترتيب آي القرآن ولا في عِدّة سور وتقسيم سوره ولا في ضبط المنسوخ لفظه[٧].

---

(١) سورة الأحزاب:٩.

(٢) سورة الأحزاب: ١٠ .

(٣) سيرة ابن هشام،٣/ ١٧٩-١٨٠.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، المحقق:شعيب الأرنؤوط،حديث رقم(٢١٢٠٦)، ١٣٣/٣٥،مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م. وجاءت بلفظ (كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها، قال: قلت له: ثلاثا وسبعين آية، فقال: قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عليم حكيم) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(٥) الجامع لأحكام القرآن،٣٩٩٧/٧.

(٦) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور: (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة ، مولده ووفاته ودراسته بها. انظر: الأعلام، ١٧٤/٦.

(٧) انظر: التحرير والتنوير، ٢٤٦/٢١.

ثالثاً: مقاصدها العامة.

١. ردت السورة على المنافقين قولهم لما تزوج النبي ﷺ زينب بنــتَ جَحــش بعــد أن طلقها زيد بن حارثة، فقالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله تعالى إبطال التبنّي، وأن الحق في أحكام الله؛ لأنه الخبير بالأعمال وهو الذي يقول الحق(١).

٢. أثبتت السورة ولاية النبي ﷺ للمؤمنين، وأنها أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك ولاية من جعْل الله فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام، وتحــريض المــؤمنين علــى التمسك بما شرع الله لهم؛ لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيين، والاعتبار بما أظهره الله مــن عنايته بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب ودفع كيــد المنافقين، والثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الــدين، ونعمــة الله علــيهم بــأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب(٢).

٣. وذكرت أحكام في معاشرة أزواج النبي ﷺ، وذكر فــضلهن وفــضل آل النبــي ﷺ، وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات، وتشريع في عِدّة المطلَّقة قبل البناء، ومــا يــسوغ لرسول الله ﷺ من الأزواج(٣).

٤. وموضوع هذه السورة كسائر موضوعات السور المدنيــة، التــي تهــتم بالجانــب التشريعي للأمة، ولا سيما تنظيم الأسرة النبوية، وإبطال بعــض عــادات الجاهليــة؛ كــالتبني، والظهار، واعتقاد وجود قلبين للإنسان، وعدم إيجاب العدّة على المطلقة قبل الــدخول، وفــرض الحجاب على نساء النبي ﷺ ونساء المؤمنين، وبيان خطورة أمانة التكليف(٤).

٥. وفي السورة بيان توضيحي عن (غزوة الأحزاب) أو (غزوة الخندق) وغزوة بنــي قريظة، ونقضهم العهد مع النبي ﷺ، وكشف فضائح المنافقين والتحذير من مكائدهم ، وتهديــدهم مع المرجفين في المدينة على جرائمهم بالطرد والتعذيب، وتذكير المؤمنين بنعم اللّــه العظمــى التي أنعم بها عليهم في وقعة الخندق بعد اشتداد الخطب عليهم، ورد كيــد أعــدائهم بالملائكــة والريح، حتى صار ذلك معجزة خارقة للعادة (٥).

---

(١) انظر:التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم ، ابن تيميــة ، جمــع وتحقيــق/ عمــر بــن عزامــة العمري،٢٣٧/٥، دار الفكر بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٣هــ /٢٠٠٢م.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٣٧/٥.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢٣٧/٥.

(٤) انظر: التفسير المنير، ٢٢٥/٢١-٢٢٦.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٢٥/٢١-٢٢٦.

رابعاً: **خصائص سورة الأحزاب**:

١. إن سورة الأحزاب بدأت بخطاب ندائي، جمعت كثيراً من أنواع النداءات في القرآن الكريم ومنها نداء النبي ﷺ [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ...] (١)، ونداء نساء النبي [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ...] (٢)، وهو نداء خاص بهذه السورة، فلم يرد في سورة قرآنية غيرها(٣).

٢. أنها تناولت قضايا كثيرة ومتنوعة اجتماعية وسياسية وعسكرية، وأهمها التشريعات الخاصة بالحياة الاجتماعية للنبي ﷺ، وحياة أهل بيته من زوجاته وبناته(٤).

٣. إنها سجلت أحداث أهم المعارك في حياة الأمة الإسلامية في العهد النبوي(٥).

٤. إن القضية الأساسية في سورة الأحزاب هي الصدق، وليس الصدق وحده وإنما الصدق في الصدق، أي أن يكون الصادق عالماً بما يصدق، ومؤمناً به ومسئولاً عنه، و المصدق به قد يكون أمراً من الله تعالى يجب الصبر عليه، صبراً يرضي الله تبارك وتعالى ولا يسخطه، أي التعامل مع الابتلاء بنفسٍ عالية مؤمنة مطمئنة محتسبة متوكلة على الله تعالى(٦).

٥. إن سورة الأحزاب فصلت في الطريق العملي للتقوى، وحررت مما يتناقض معها.

٦. إنه وبالرغم من أن السورة تتحدث عن أخطر غزوة تعرضت لها دولة المؤمنين المدنية غزوة الأحزاب، فقد كانت حرب استئصال لدولة المهاجرين والأنصار و إمامهم عليه السلام، إلا أن روح السورة لطيفة ورحيمة ومتسامحة، وكثير من آياتها ختمت بأن الله كان غفوراً رحيماً، كما ختمت السورة كلها بذلك، وهذا يظهر أن ميزة السور المدنية وهي تخاطب النبي وزوجاته ونساءه والمؤمنين ونساءهم بتكاليف شرعية جديدة حتى ولو بدت صعبة أو متشددة، إلا أن غايتها الرحمة واللطف والعفو والمغفرة للمؤمنين،

---

(١) سورة الأحزاب: ١.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٠ .

(٣) انظر: الوحدة التاريخية للسور القرآنية، عمران سميح نزال، ص١٠٠، دار القراء، الأردن، ط١-١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص١٠٠.

ولكن هذه الرحمة لا يشعر بها إلا من كانت التقوى أساس إيمانه، وكانـت المـصداقية أساس صدقه[١].

٧. إن كثرة المواضيع التي عالجتها سورة الأحزاب من قضايا إيمانية وفكريـة وأخلاقيـة واجتماعية وأمنية وسياسية وعسكرية وفقهية وغيرها في فترة زمنية متقاربة، تجيب عن أسباب هذا الجمع المتعدد القضايا والموحد الغاية والهدف، وهو طبيعة مرحلـة الـدعوة الإسلامية وما وصلت إليه دولة المؤمنين من حاجة إلى قوانين منظمة للحياة الاجتماعية والأمنية لتحافظ على ما أنجز، وللتقدم إلى الأمام باستمرار[٢].

٨. ربطت السورة الأحداث والتنظيمات بالأصـل الكبيـر، وهـو أصـل العقيـدة فـي الله والاستسلام لقدره.

٩. تحدثت السورة عن قضايا عقائدية مهمة والتي لم ترد في غيرها من السور مثل عقيـدة ختم النبوة وأولي العزم من الرسل و آية التطهير.

---

(١) انظر: الوحدة التاريخية ، ص١٠١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٠٢.

الفصل الأول

التوحيد في سورة الأحزاب ونواقضه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية ونواقضه.

المبحث الثاني: توحيد الألوهية ونواقضه.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات ونواقضه.

المبحث الأول

توحيد الربوبية ونواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الربوبية.

تمهيد

أولاً: التوحيد لغةً واصطلاحاً.

١. التوحيد لغة:

"(وحد) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة "(١).

" والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد"(٢) .

وكل معاني التوحيد تدل على الإنفراد والتفرد.

٢. التوحيد اصطلاحاً:

" هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً"(٣)، ويعرف أيضاً: "نفي الكفء والمثل عن ذات الله تعالى، وصفاته وأفعاله ونفي الشريك في ربوبيته، وعبادته عز وجل "(٤) .

ثانياَ: أقسام التوحيد(٥):

قسّم علماء السنة والجماعة التوحيد باعتبار متعلقه إلى ثلاثة أقسام وهي:

النوع الأول توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه وخالقه ورازقه، وأن الله هو المحيي المميت النافع الضار، وهو المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار،وأن الأمر كله لله، وأن الله بيده الخير كله، وهو القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر .

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،٩٠/٦، دار الفكر، بدون رقم طبعة،١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق:عبد السلام هارون وآخرون،١٩٢/٥، الدار المصرية، بدون رقم طبعة ،١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني، ١/ ٥٧، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٤) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ص ٨٧،مكتبة العلوم والحكمة، المدينة المنورة،ط٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، ص٣٢-٣٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٧٩هـ.

النوع الثاني توحيد الآلوهية: وهو إخلاص التأله لله تعالى، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والدعاء لله وحده ، وتكون هذه العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده، لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما.

النوع الثالث توحيد الأسماء والصفات: وهو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وأن الله له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير رؤوف رحيم غفور، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه [...هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ] (١)، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

---

(١) سورة الحشر:٢٣.

المطلب الأول: توحيد الربوبية.

أولاً: الربوبية لغة واصطلاحاً.

١. الربوبية لغة.

"الرب، هو الله تبارك وتعالى، هو رب كل شئ، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي ملكه له، ولا يقال " الرب " بالألف واللام، لغير الله، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وكل من ملك شيئا فهو ربه" [١].

(رب) الراء والباء يدل على أصول، فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه، والربي: العارف بالرب، والأصل الآخر لزوم الشيء والإقامة عليه، والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء [٢].

٢. الربوبية في الاصطلاح.

ويقول ابن القيم: "فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره"[٣].

ثانياً:. توحيد الربوبية في الاصطلاح.

و"هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك"[٤].

قال ابن تيمية في معنى الربوبية:" أنه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[٥].

---

(١) تهذيب اللغة، ١٧٦/١٥.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٣٨١-٣٨٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،٣٨/١، دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص٢٢.

(٥) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ،١٠/ ٣٣١ ، دار العربية، ط١، ١٣٩٨هـ.

ثالثاً: أنواع ربوبية الله على خلقه.

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١.الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛ وهي خلقه للمخلـوقين، ورزقُهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ومن نصوص المعية العامة قوله تعالى: [...وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ...] [١].

٢.الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويـوفقهم لـه، ويكملهـم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: [إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] [٢]، وقولـه تعالى: [... إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ] [٣] ، وقوله تعالى: [لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ...] [٤].

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة[٥].

رابعاً : لوازم توحيد الربوبية.

١. الاعتقاد أن النصر من الله عز وجل.

ولقد تحدثت الآيات في سورة الأحزاب عن هذا المعنى في الكثير من الآيات، قال تعـالى: [وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] [٦]،"وفي ذلك الوعد قولان[٧]:

---

(١) سورة الحديد:٤.

(٢) سورة النحل:١٢٨.

(٣) سورة البقرة:١٥٣.

(٤) سورة الأحزاب:٢٤.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصـرا لـسعدي، ص٢٨٨،مؤسـسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٦) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٧) زاد المسير في علم التفسير،عبد الرحمن بن علي بن محمد الجـوزي، ص١١١٩، المكتـب الإسـلامي – بيروت،ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

أحدهما: أنه قوله [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ] [1]، فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، قاله ابن عباس وقتادة في آخرين.

والثاني: أن رسول الله ﷺ وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحيرة، ذكره الماوردي[2]وغيره".

وفي هذه الروايات دلالة على أن المؤمنين الأوائل كان عندهم فهم تاريخي لنزول الآيات القرآنية، فقد ربطوا بين ما نزل في بداية العهد المدني، وربما كان في العام الأول من الهجرة وهو زمن نزول آية سورة البقرة، وبين ما نزل في العام الخامس من الهجرة، وهو عام الأحزاب والخندق، مما يعني وجود فائدة عظيمة في ترتيب نزول هذه الآيات وأثرها على زيادة إيمان المؤمنين، بصدق الوعد من الله تبارك وتعالى، فالوعد متقدم تاريخياً على الزمن الذي يقع فيه الحدث كما في هذه الرواية[3].

وقد ذكر الواحدي[4]: [وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] [5]، تصديقاً لوعد الله تعالى: [...هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ...] ووعد الله تعالى إياهم في قوله: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ] [6]، فعلموا بهذه الآية أنهم يبتلون فلما ابتلوا بالأحزاب علموا أن الجنة

---

(1) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) الماوردي: هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي: (٣٦٤ / ٤٥٠ هـ) أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، من أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة.ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي القضاء، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. انظر: الأعلام، ٣٢٧/٤.

(3) انظر: الوحدة التاريخية للسور القرآنية، ص١٤٥.

(4) الواحدي : هو الإمام العلامة الأستاذ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، النيسابوري، الشافعي صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل من أولاد التجار، أصله من ساوة ، مات بنيسابور في جمادي الآخرة سنة ٤٦٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، ٣٣٩/١٨، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م. وانظر الأعلام ،١٤٧/٣-١٤٨.

(5) سورة الأحزاب: ٢٢.

(6) سورة البقرة: ٢١٤.

والنصر قد وجبا لهم إن سلموا وصبروا، وذلك قوله: [...وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] ، وتصديقاً بالله ورسوله [...وَتَسْلِيمًا] لله أمره[١].

ولقد تحقق النصر بالفعل في غزوة الأحزاب واقعاً بانهزام الأحزاب، وتحقق النصر في المستقبل بحديث النبي ﷺ فروى البخاري عن سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ يَقُولُ:(**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ حِينَ أَجْلَى الْأَحْزَابَ عَنْهُ الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا (وَلَا يَغْزُونَا) نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ)** [٢].

ونجد في الآيات أن الله كفى المؤمنين القتال، تأكيداً على أن النصر من الله عز وجل، يقول الله تعالى: [.... وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ ...] [٣]، يقول القرطبي: " أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً حتى رجعت بنو قريظة إلى صياصيهم فكفى أمر قريظة بالرعب"[٤].

[.... وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ ...] بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، [...وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] ،لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته"[٥].

"قال المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب[٦] الفساطيط[٧]، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر، حتى كان سيد كل قوم يقول لقومه : يا بني فلان هلم إليّ، فإذا اجتمعوا، قال لهم: النجاء النجاء"[٨].

---

(١) انظر: الوحدة التاريخية ، ص١٤٥.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، كِتَابُ الْمَغَازِي، باب غزوة الخندق،حديث رقم(٤١١٠)،١١٠/٥، دار طوق النجاة ،ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٤٠٣١/٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٠.

(٦) أطناب: "الطنب حبل طويل يشد به البيت والسرادق بين الأرض". لسان العرب، ابن منظور،اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب- محمد العبيدي،٢٠٥/٨، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣، بدون سنة طبعة.

(٧) الفساطيط : "الفسطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق". لسان العرب، ٢٦٢/١٠.

(٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، ٣١٧/٤، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

والريح التي أرسلت إلى الأحزاب هي الصبا[١]، فقد روى البخاري عن ابن عباس أن النبـــي ﷺ قال: **(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)**[٢].

أن من سنة الله تعالى الجارية في أعداء دينه أعداء الحق والخير والهــدى، أن يــردهم على أعقابهم خاسرين في نهاية المطاف أو في آخر جولة الباطل على الحــق، مهمــا تجرمــوا وتحزبوا وأخذوا من أسباب القوة ما أخذوا، وذلك بشرط واحد أن يكون أنصار الحــق مــؤمنين صالحين متأهلين لأن يرد الله عنهم كيد أعدائهم آخذين من الأسباب بما يستطيعون.

وأن الله تعالى قد يكفي المؤمنين القتال كله، ومع ذلك ينصرهم على أعدائهم دون قتــال كما حدث في حشود الأحزاب وذلك معناه أن الله تعالى يحــب أوليــاءه المــدافعين عــن دينــه المتمسكين بالحق الذي أمروا أن يدعوا إليه.

وتلك سنة الله تعالى مع أوليائه في كل زمان ومكان، فما لهؤلاء الأولياء أن يقلقوا أو ينزعجــوا وحسبهم أمناً واطمئناناً أن الله معهم[٣].

٢. **الاعتقاد أن التشريع حق لله عز وجل.**

ولقد وردت آيات في سورة الأحزاب تثبت هذا المعنى، قال تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [٤].

وهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى :

[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [٥]،ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: [... وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] كقوله تعالى: [...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [٦][٧].

---

(١) الصبا: ريح تهب من مشرق الشمس ويقابلها الدبور،انظر: لسان العرب،٢٨٤/٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا، حديث رقم (١٠٣٥)،٢٧/٣.

(٣) انظر: التربية الإسلامية في سورة الأحزاب، ص١٠٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٥) سورة النساء: ٦٥.

(٦) سورة النور: ٦٣.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم،٤٤٥/٦.

قال النسفي[1]: "فإن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال وكفر، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق"[2].

يقول القرطبي:" لفظه ما كان وما ينبغي ونحوهما معناها الحظر والمنع، فتجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون كما في هذه الآية، وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلاً، كقوله تعالى: [... مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ...] [3]،وربما كان العلم بامتناعه شرعاً كقوله تعالى: [مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ...] [4]،وقوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ...] [5]،وربما كان في المندوبات كما تقول: ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا"[6].

والآيات واضحة الدلالة أنه لا ينبغي ولا يليق، ممن اتصف بالإيمان، إلا الإسراع في مرضاة اللّه ورسوله، والهرب من سخط اللّه ورسوله، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فلا يليق بمؤمن ولا مؤمنة [... إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا...] من الأمور، وحتَّماً به وألزماً به [... أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...] أي: الخيار، هل يفعلونه أم لا؟ بل يعلم المؤمن والمؤمنة، أن الرسول أولى به من نفسه، فلا يجعل بعض أهواء نفسه حجابًا بينه وبين أمر اللّه ورسوله.

[... وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] أي: بَيِّنًا، لأنه ترك الصراط المستقيم الموصلة إلى كرامة اللّه، إلى غيرها، من الطرق الموصلة للعذاب الأليم، فذكر أولا السبب الموجب لعدم معارضته أمر اللّه ورسوله، وهو الإيمان، ثم ذكر المانع من ذلك، وهو التخويف بالضلال، الدال على العقوبة والنكال[7].

---

(1) النسفي: هو عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، (٧١٠ هـ - ١٣١٠ م) حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها. نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند. له مصنفات جليلة. انظر: الأعلام،٦٧/٤.

(2) تفسير النسفى،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار،٢٤٤/٣،دار النفائس ــ بيروت، بدون رقم طبعة، ٢٠٠٥م.

(3) سورة النمل: ٦٠.

(4) سورة آل عمران: ٧٩.

(5) سورة الشورى: ٥١.

(6) الجامع لأحكام القرآن ،٤٠٤٩/٧.

(7) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٢-٦١٣.

وكما لا تجوز طاعة العلماء في تحليل الحرام وتحريم الحلال، فكذلك لا تجوز طاعة الأمراء والرؤساء في الحكم بين الناس بغير الشريعة الإسلامية؛ لأنه يجب التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله في جميع المنازعات والخصومات وشئون الحياة؛ لأن هذا هو مقتضى العبودية والتوحيد لأن التشريع حق لله وحده؛ كما قال تعالى: [...أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ...] (١)؛ أي: هو الحكم وله الحكم .

قال تعالى: [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] (٢).

وقال تعالى: [... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] (٣).

فالتحاكم إلى شرع الله ليس لطلب العدل فقط، وإنما هو في الدرجة الأولى تعبد لله وحق لله وحده وعقيدة؛ فمن احتكم إلى غير شرع الله من سائر الأنظمة والقوانين البشرية؛ فقد اتخذ واضعي تلك القوانين والحاكمين بها شركاء لله في تشريعه: قال الله تعالى: [أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ...] (٤)،وقال تعالى : [...وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ] (٥).

وقد نفى الله الإيمان عمن تحاكم إلى غير شرعه، قال تعالى [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ...] (٦)إلى قوله تعالى [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (٧)، فالتحاكم لغير الله من أعمال المنافقين(٨).

---

(١) سورة الأعراف:٥٤.
(٢) سورة الشُّورى:١٠ .
(٣) سورة النساء:٥٩.
(٤) سورة الشُّورى:٢١ .
(٥) سورة الأنعام:١٢١ .
(٦) سورة النساء:٦٠.
(٧) سورة النساء:٦٥
(٨) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، ص٧٢-٧٣، بدون ناشر، بدون رقم طبعة،١٤٢٢هـ.

٣. الاعتقاد أن الحياة والموت من الله.

لابد حتى يتم تحقيق توحيد الربوبية من الاعتقاد الجازم بأن السبب الوحيد للموت هو انتهاء الأجل الذي قدره الله تعالى لكل مخلوق، فإذا جاء الأجل لا يستأخر العبد ولا يستقدم وينبغي عندئذ على العبد أن يسلم لقدر الله(١).

وقد جاءت سورة الأحزاب لترسخ هذا المفهوم، فقال تعالى: [قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا] (٢).

أخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت، ولا من القتل فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون، ولذلك قال النبي ﷺ:(**إذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)**(٣)،والفرار من القتل كالفرار من الجهاد في سبيل الله، وحرف (لن) ينفى الفعل في الزمن المستقبل، والفعل نكرة والنكرة في سياق النفي تعم جميع أفرادها، فكان من مقتضياتها أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبداً، وهذا خبر الله الصادق فمن اعتقد أن ذلك ينفعه فقد كذب الله في خبره.

والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن، فان هؤلاء الذين فروا من الجهاد لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وتفاوتوا في المصائب، والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدين والدنيا، حتى الموت الذي فروا منه كثر فيهم وقل في المقيمين، فما منع الهرب من شاء الله، والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يمت منهم احد ،ولا قتل بل الموت قل في البلد من حين خرج الفارون، وهكذا سنة الله قديماً وحديثاً (٤).

ثم أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم، ولا يطول أعمارهم، بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرة، ولهذا قال تعالى: [...وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا] أي بعد هربكم وفراركم [...قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا] (٥)(٦).

---

(١) انظر: معالم التوحيد، مروان القيسي، ص٤٤، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢) سورة الأحزاب:١٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،المحقق:شعيب الأرنؤوط،حديث رقم(١٥٠٨)، ٩٧/٣،مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م. قال شعيب الأرنؤوط : صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن سعد.

(٤) انظر: التفسير الكامل، ٢٥٥/٥.

(٥) سورة النساء:٧٧ .

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٤٥/٦.

ثم بين أن الأسباب كلها لا تغني عن العبد شيئًا إذا أراده اللّه بسوء، فقال: [قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ ...] أي: يمنعكم [...مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا...] أي: شرًا، أَوْ [...أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً...] ، فإنه هو المعطي المانع، الضار النافع، الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو، [...وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا...] يتولاهم، فيجلب لهم النفع [...وَلَا نَصِيرًا] (١) أي ينصرهم، فيدفع عنهم المضار.

فَلْيَمْتَثِلُوا طاعة المنفرد بالأمور كلها، الذي نفذت مشيئته، ومضى قدره، ولم ينفع مع ترك ولايته ونصرته، وَلِيٌّ ولا ناصر (٢).

"ومن مواطن الخطأ في الفهم ما فهمه بعضهم من قوله: [قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا] (٣)، إذ فهم بعضهم أن من فر من الموت أو القتل يزيد عمره، وهذا فهم مخالف للنصوص والإجماع، ولم يقل به إلا المعتزلة (٤)"(٥).

وقد ذُكر عن بعض الحمقى أنه قال: نحن نريد ذلك القليل، وهذا جهل واضح بمعنى الآية، فالله لم يقل إنهم يمتعون بالفرار قليلاً ،لكنه ذكر أنه لا منفعة في الفرار أبداً، ثم ذكر جواباً ثانياً أنه حتى لو كان فيه من المنفعة فهو متاع قليل، ثم ذكر جواباً ثالثاً وهو أن الفار يأتيه ما قضى له من المضرة ويأتي الثابت ما قضى له من المسرة فقال : [قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] (٦)، ونظيره قوله في

---

(١) سورة الأحزاب:١٧.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٠٤٤

(٣) سورة الأحزاب:١٦.

(٤) المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع الجهني،٤٦/١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥) الأساس في التفسير،٤٤٠٦/٨.

(٦) سورة الأحزاب:١٧.

سياق آيات الجهاد [أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...] (1) ، فمضمون الأمر أن المنايا محتومة، فكم ممن حضر الصفوف فسلم، وكم ممن فر من المنية فصادفته (2).

وهذا لا يعني أن الإنسان لا يأخذ بالأسباب، بل يجب علي المؤمن أن يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله ﷻ.

٤. الاعتقاد أن الله وحده يعلم الغيب.

ولقد وردت آية في سورة الأحزاب توضح بشكل جلي هذا المعنى، فقال الله تعالى: [**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**] (3).

يقول القرطبي: [**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ...**] هؤلاء المؤذون لرسول الله ﷺ لما توعدوا بالعذاب، سألوا عن الساعة استبعاداً وتكذيباً موهمين أنها لا تكون، [...**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ...**] أي أجبهم عن سؤالهم، وقل علمها عند الله، وليس في إخفاء الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله جل وعز [... **وَمَا يُدْرِيكَ** ..] أي ما يعلمك [... **لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**] ، أي في زمان قريب وقال ﷺ :(**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى**)(4) وقيل: أي ليست الساعة تكون قريبا ،وقيل : إنما أخفي وقت الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت (5).

"كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحاناً ؛ لأنّ الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر رسول الله ﷺ بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، لم يطلع عليه ملكاً ولا نبياً، ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع،

---

(1) سورة النساء:٧٨ .

(2) انظر: التفسير الكامل ،٢٥٦/٥.

(3) سورة الأحزاب:٦٣.

(4) صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان،حديث رقم (٥٣٠١)،٥٣/٧ .صحيح مسلم، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قُرْبِ السَّاعَةِ، حديث رقم(٢٩٥١)، ص١١٨٥، بيت الأفكار الدولية، بدون رقم طبعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(5) انظر: الجامع لأحكام القرآن ،٤٠٩٥/٧.

تهديداً للمستعجلين، وإسكاتاً للممتحنين [... قَرِيبًا] شيئاً قريباً، أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب"[1].

فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب، رغم مكانته عند الله فهو خير البشر، وهذه الخيرية تشمل كل الخيرات، خير البشر في النسب، وخير البشر في الخُلق، وخير البشر في الهداية، وخير البشر في العبادة، فهي خيرية مطلقة، ومع هذا فإنه ليس له حق في خصائص الربوبية، فليس يعلم الغيب وليس يملك الضرر والنفع ولا يملك لغيره كذلك [2].

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه، فقد كذب، وهو يقول: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ومن حدثك أنه يعلم الغيب، فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله)** [3].

فالله ﷻ هو المختص بعلم الغيب فلا يعْلَمُ أحدٌ الغيب، بل الله ﷻ هو الواحد الأحد وهو العالم بغيب السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن، قال ﷻ : [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...] [4]، وقال ﷻ في سورة النمل: [قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ] [5]وقال ﷻ: [عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا(٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا] [6]، وكذلك في قوله ﷻ [إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [7]، فدلَّتْ هذه الآيات أنَّ علم الغيب مختصٌ باللهﷻ، والمقصود به علم الغيب المُسْتَقْبَلْ؛ يعني ما سيكون في الأرض

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٥٧١/٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة.

(2) انظر: شرح العقيدة السفارينية، محمد بن أحمد السفاريني، شرح: محمد بن صالح العثيمين،ص٨٢-٨٣، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.

(3) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى [عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا]، حديث رقم(٧٣٨٠)،١١٦/٩.

(4) سورة الأنعام:٥٩.

(5) سورة النمل:٦٥ .

(6) سورة الجنّ: ٢٦-٢٨.

(7) سورة لقمان:٣٤.

أو في السماء هذا لا يعلمه على اليقين والحقيقة إلا الله ﷻ، وإنما الناس يَخْرُصـــونَ فـــي ذلـــك فواجبٌ اعتقاد أنَّ الله ﷻ يعلم الغيب وحده جل جلاله وتقدست أسماؤه [١].

واستأثر الله تعالى بعلم موعد الساعة، وشاء هذا لحكمة يعلمها، ولعل من هذه الحكمة تـــرك الناس على حذر من أمرها، وفي استعداد مستمر لفجأتها، ذلك لمن أراد الله لـــه الخيـــر، وأودع قلبه التقوى، فأما الذين يغفلون عنها، ولا يعيشون جميع أوقاتهم على أهبة للقائها فأولئـــك الـــذين يختانون أنفسهم ولا يقونها من النار، وقد بين الله تعالى لهم وحذرهم وأنذرهم، وجعـــل الـــساعة غيباً مجهولاً متوقعاً في آية لحظة من لحظات الليل والنهار، كما قصر علمهـــا علـــى الله هنـــا يستغني عن الحذر وبثه، والإشفاق، في قلوب أهل الشريعة الموقنين بالله تعالى واليوم الآخر من أهل الكتب كلها، لأنهم قد يفجأون بأمر الله بياتاً أو هم نائمون، أو ضحى وهم يلعبون[٢].

روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (**لَتَقُوْمَنَّ الـــسَّاعَةُ وَقَـــدْ نَـــشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يُتَابِعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَلِيْطُ حَوْضَـــهُ فَـــلاَ يَسْقِي فِيْهِنَّ وَلَتَقُوْمَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فَيْهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ**)[٣].

٥. الاعتقاد أن الله هو المتفرد بالنعم.

ولا يتم توحيد الربوبية حتى يعترف العبد بتفرد الله تعالى بالنعم، وأن كل نعمة مـــن الله وحده، فيعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق[٤].

وقد تحدثت السورة عن الكثير من نعم الله عز وجل على نبيه وعلى المؤمنين، فنـــصرهم مـــن دون قتال حقيقي بين المسلمين والأحزاب، فقال الله تعـــالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] [٥].

يقول ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين فـــي صرفه أعداءهم، وهزمه إياهم، عام تألبوا عليهم وتحزبوا، وذلك عام الخندق، وذلك فـــي شـــوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور"[٦].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية(لفضيلة العلماء الأجلاء)، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن ســـلامة الأزدي الطحاوي، شرحها صالح بن عبد العزيز آل الشيخ،٤٥٥/٣،ألفا، ط١، ١٤٢٩هـــ، ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ، سيد قطب، ٥ / ٢٨٨٢، دار الشروق، ط٣٨، ١٤٣٠هــ/٢٠٠٩م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، حديث رقم(٦٥٠٦)،٨ /١٠٦.

(٤) انظر: معالم التوحيد، ص٤٧.

(٥) سورة الأحزاب:٩.

(٦) تفسير ابن كثير،١٢٢/١١.

وقال الله تعالى: [وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] (١).

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : "أي لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم، حتى يجلوهم عن بلادهم بل كفى الله وحده، ونصر عبده، وأعز جنده.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ**)(٢)" (٣).

وأصل النعمة التي منحنا إياها الله ﷻ نعمة الدين، وذلك بإرسال رسوله، وإنزال كتابه، ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهم، وأنزل الله عليه: [.... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ...] (٤)، فلله الحمد على فضله،الذي لا يحصى، فضلاً عن القيام بشكره، فالله عز وجل قد يسر لعباده أسباب الهداية غاية التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبيين، حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل، ما عرف فضل النهار، ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحاً ظاهراً، فلله الحمد على ذلك(٥).

---

(١) سورة الأحزاب:٢٥

(٢) صحيح ابن حبان ، كتاب الديات، باب في قتل الخطأ الذي يشبه العمد، حديث رقم (٦٠١١)، انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ،٣٦٤/١٣، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م. سنن أبي داود، كتاب الديات، باب في دية الخطأ شبه العمد، حديث رقم (٤٥٤٧)، ص٦٨٢، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة. قال شعيب: إسناده صحيح، رجاله ثقات، قال الألباني: حديث حسن.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٧٧.

(٤) سورة المائدة:٣.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٧٣.

المطلب الثاني: نواقض[1]توحيد الربوبية.

وما يضاد توحيد الربوبية، هو أن يعتقد الإنسان أن هناك متصرف مع الله ﷻ، في أي شيء من تدبير الكون، من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير، أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك، قال الله تعالى: [مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] [2]،وقال تعالى [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ] [3]، وقال تعالى: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ] [4]، وقال تبارك وتعالى: [وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...] [5]،وقال تعالى: [... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ...] [6]، وقال النبيﷺ: **(يقول الله تعالى: " العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما أسكنته ناري)**[7] [8].

---

(1) الناقض لغة : النقض في البناء ، والحبل ، والعهد ، وغيره : ضد الإبرام ، كالانتقاض والتناقض ، والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء ، وذكر الجوهري الحبل والعهد ، ونقض البناء هدمه. تاج العروس من جواهر القاموس، ٨٨/١٩ .

الناقض في الشرع : هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى حظيرة الكفر، انظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري،ص١٠٨، مدار الوطن للنشر- الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

(2) سورة فاطر:٢.

(3) سورة يونس:١٠٧ .

(4) سورة الزُمر:٣٨.

(5) سورة الأنعام:٥٩.

(6) سورة البقرة:٢٥٥.

(7) ولم يرد بنفس اللفظ بل بلفظ آخر، انظر: سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، حديث رقم(٤٠٩٠)، ص٦١١، قال الألباني: حديث صحيح، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، حديث رقم(٤١٧٤)، ص٦٩٤، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة.

(8) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكيمي، تحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، ص ٥٦، مكتبة الرشد- الرياض،ط٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١. **الاعتقاد بأن غير الله يعلم الغيب.**

الغيب هو: "الغيب المكنون والغيب المصون، هو السر الذاتي وكنهه الذي لا يعرفه إلا هـو، ولهذا كان مصوناً عن الأغيار ومكنوناً عن العقول والأبصار"(١).

وهو ما غاب عن الناس من الأمور المستقبلة والماضية وما لا يرونه، وقد اختص اللّه تعالى بعلمه، وقال تعالى: [قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ ...] (٢)، فلا يعلم الغيب إلا اللّه سبحانه وحده، وقد يطلع رسله على ما شاء من غيبه لحكمة ومصلحة، قـال تعـالى: [عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا(٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا] (٣)، أي لا يطلع على شيء من الغيب إلا من اصطفاه لرسالته، فيظهره على ما يشاء من الغيب؛ لأنه يستدل على نبوته بالمعجزات التي منها الإخبار عن الغيب الذي يطلعه اللّـه عليـه، وهذا يعم الرسول الملكي والبشري، ولا يطلع غيرهما لدليل الحصر.

والذي يدعى أنه يعلم الغيب بأي وسيلة من الوسائل - غير من استثناه اللّه من رسـله - فهو كاذب كافر - سواء ادعى ذلك بواسطة قراءة الكف، أو الفنجان، أو الكهانة، أو الـسحر، أو التنجيم، أو غير ذلك، وهذا الذي يحصل من بعض المشعوذين والدجالين من الإخبار عن مكـان الأشياء المفقودة والأشياء الغائبة، ومن أسباب بعض الأمراض فيقولون فلان عمل لك كذا وكـذا فمرضت بسببه، إنما هو لاستخدام الجن والشياطين، ويظهرون للناس أن هذا يحصل لهـم عـن طريق عمل هذه الأشياء من باب الخداع والتدليس والكذب (٤).

و الأنبياء لا يعلمون الغيب، فلا يعلم الغيب إلا الله، فقد أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة مـن دعوى علم الغيب [قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ...] (٥)، فالرسول ﷺ في هذه الآية يبرأ من دعوى علـم الغيـب، وملـك خـزائن الأرض، ومن كونه مَلَكاً مستغنياً عن الطعام والشراب والمال (٦).

---

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص ٢٠٩، دار الكتاب العربـي – بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

(٢) سورة النمل : ٦٥.

(٣) سورة الجن : ٢٦ - ٢٧ .

(٤) انظر: كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ص٣١،دار القاسم للنشر، بـدون رقـم وسـنة طبعة.

(٥) سورة الأنعام : ٥٠ .

(٦) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر،ص١٢٤، دار النفائس- الأردن، ط١١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢. الاعتقاد أن مسبب الموت غير الله.

يجب الاعتقاد أن مسبب الموت لكل الخلق واحد، هو الله تعالى، والسبب أيضاً واحد هو انتهاء الأجل، قال تعالى: [.... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] (١).

وإن الاعتقاد بأن مسبب الموت حادثة السيارة، أو خطأ الطبيب، أو ما شابه ذلك من الأسباب التي قدرها الله عز وجل يعد شركاً في الربوبية، فالله هو المتفرد بالإحياء و الإماتة، وهذا من لوازم ربوبيته جل وعلا (٢).

فالمؤمن عندما يصاب بمصيبة يعلم أن هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، ولابد أن يقع، فيستسلم لقضاء الله عز وجل، فالنبي ﷺ يقول: **(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنّي فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان)** (٣)، فإذا علم هذا هان عليه الأمر، ولا يحصل منه جزع، ولا تحسر، فالأمور بيده سبحانه، فما كُتب على الإنسان لابد من نفاذه فيه، ولو تحرز وتحصن وعمل من الاحتياطات ما عمل، لم يمنعه ذلك من قضاء الله وقدره، قال تعالى: [أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...] (٤)(٥).

٣. الاعتقاد أن المخلوق يمكن أن يضر أو ينفع.

ومن لوازم توحيد الربوبية أنه لو أراد الله لك شيئاً، فلو اجتمع أهل الأرض أن يمنعوه لم يستطيعوا، كما قال ﷺ: **(واعلم أن النّاس لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك لم يضروك إلاَّ بشيء قد كتبه الله عليك)** (٦).

---

(١) سورة الأعراف:٣٤.

(٢) انظر: معالم التوحيد، ص٤٦-٤٧ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب فى الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤)، ص١٠٦٩.

(٤) سورة النساء:٧٨ .

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،تحقيق/محمد فرج،٢/٤٠٠، ألفا، ط١ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم(٢٦٦٩)،٤/٤٠٩-٤٠٥.سنن الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، باب...، حديث رقم(٢٥١٦)، ص٥٦٧، تحقيق محمد الألباني، مكتبة المعارف، ط١، بدون سنة طبعة، قال الألباني: صحيح.

وهذا هو حقيقة التّوحيد؛ أن يكون العبد معتمداً على الله ومتوكّلاً علـــى الله، ويعتقــد أن النّاس مجرّد أسباب، والأسباب إن شاء الله نفعتْ وإنْ شاء لم تنفع، فلا يجعل الحمد والذم للناس، وإنما يجعل الحمد لله سبحانه وتعالى، وإذا لم يحصل له مطلوبه فليصبر وليعلم أن ما قُدِّر لـــه لا بد أن يكون فليحمد الله أيضاً[١].

ولا شك أن خلق الخير والشر، وخلق النفع والضر المتضادين، دليل على كمال القــدرة، فالظلمة ضدها النور، والليل ضده النهار، وكذلك المزدوجات، كما في قوله تعالى [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] [٢]، يعني: ذكراً وأنثى، فهكذا أيضا المتضادات: الصحة والمــرض ضدان، والخير والشر، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة، الله تعالى هو الذي خلقهـــا وقــدرها، ولكن نعرف أن كل ما صدر عن الله تعالى فإنه بالنسبة إلى إيجاده هو خير، ولـــذلك ورد فـــي حديث الاستفتاح: **(لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك)**[٣].

و الله يقدر الأمراض، وهو الذي قدر الفقر والمصائب، وهو الذي يقدر العاهــات علـــى العباد ونحوها، ولكن هل يقال: إنها شر بالنسبة إلى الله؟ ليست شراً، بل هي لحكمـــة ومحــض مصلحة، فهذا معنى قوله: **(والشر ليس إليك)**.

وإذا تتبعت القرآن والأدلة تجد أن كل ما فيه شر ينسب إلى الإنسان، وإن كان الله هـــو الذي أوجده وكونه وقدره، وحكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنـــه قـــال: [وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] [٤]لم يقل: وإذا أمرضني، مع أن الله تعالى هو الذي ينــزل المرض ويقدره، ولكن لا يضاف إليه الشر المحض.

وحكى الله عن مؤمني الجن أنهم قالوا: [وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا] [٥]، فالشر قالوا: [...أُرِيدَ...] ، والخير قالوا: [...أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ...] ،وذلــك: حتـــى ينزه الله تعالى عن أن يصدر منه الشر المحض، وإن كان هو الذي قدر الشر، وخلقـــه وكونـــه، فإنه لا يكون في الوجود إلا ما يريد[٦].

---

(١) انظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فـــوزان بـــن عبـــد الله الفـــوزان،٥٨/٢، مؤســـسة الرسالة،بيروت- لبنان،ط٢، ١٤٢٢هـــ/٢٠٠١م.

(٢) سورة الذاريات:٤٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (٧٧١)، ص٣٠٥.

(٤) سورة الشعراء:٧٩-٨٠.

(٥) سورة الجن:١٠ .

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين،٢/ ٩٣، الموسوعة الشاملة.

٤. **نسبة النعم لغير الله.**

يجب على المسلم أن يعتقد أن هذه النعم التي يعيش بها ومعها هي من عند الله عز وجل، فقال الله تعالى: [**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله ...**] (١).

فالاعتراف بفضل الله من صميم العقيدة؛ لأن من نسب النعمة إلى غير الله سبحانه وتعالى؛ فقد كفرها وأشرك بالله بنسبتها إلى غيره، قال تعالى [**يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ الله ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ**] (٢)،قال بعض المفسرين: يعرفون أن النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوها عن آبائهم، وهكذا كلٌ ينسب النعمة إلى من يعظمه من الآباء والآلهة والأشخاص، متناسين مصدرها الصحيح والمنعم بها على الحقيقة، وهو الله سبحانه.

وقد ذكر الله في كتابه الكريم عن أقوام أنكروا نعمة الله عليهم، ونسبوا هذه النعم لأنفسهم، قال تعالى عن الإنسان [**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**] (٣).

وقال تعالى عن قارون الذي آتاه الله الكنوز العظيمة، فبغى على قومه وقد وعظه الناصحون وأمروه بالاعتراف بنعمة الله، والقيام بشكرها فكابر، وأنكر نعمة الله عليه، وقال: [**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...**] (٤)؛ أي: حصلت على هذه الكنوز بسبب حذقي ومعرفتي بوجوه المكاسب، لا أنها تفضل من الله تعالى(٥).

فالواجب على العبد أن يعلم أن ما وصله من المال ، أو وصله من النعمة عن طريق آبائه هو من فضل الله - جل وعلا - ونعمته ، والده أو والدته أو قريبه سبب من الأسباب ، فيحمد الله - جل وعلا - على هذه النعمة(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٩.

(٢) سورة النحل:٨٣.

(٣) سورة فصّلت:٥٠.

(٤) سورة القصص:٧٨.

(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص٩٤-٩٦ .

(٦) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ١٣٨/٢، ط١، دار التوحيد،١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

قال مجاهد في قوله تعالى: [يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ] [١]، "هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال عون بن عبد الله: "يقولون: لولا فلان لم يكن كذا". وقال ابن قتيبة[٢]: يقولون: "هذا بشفاعة آلهتنا"، ورثته عن آبائي، وقاتل هذه الأقوال ونحوها منكر لنعمة الله بإضافتها إلى غيره، جاحد لها غير معترف بها، والآية تعم ما ذكره العلماء في معناها، والمعنى أن المشركين يعترفون بنعم الله التي عدّدها عليهم -في سورة النحل وغيرها- أنها من الله، ثم ينكرونها بإضافتها إلى غيره من آلهتهم وآبائهم وغيرهم، فهم متناقضون في ذلك[٣].

٥. الاعتقاد بأن للمخلوق حق سن القوانين والتشريع.

إن تنحية شريعة الله عن مجرى الحياة، واستيراد قوانين البشر القاصرة، ردة جديدة برزت في القرون الأخيرة من حياة المسلمين، وذلك أن المجتمع الإسلامي عاش قروناً طوالاً يستظل بشرع الله وتهيمن الشريعة على حياة أفراده حكاماً ومحكومين - مع وجود بعض المعاصي سواء كانت كبائر أم صغائر - ولكن نظام حياة الناس، والتشريع المنفذ في أمورهم هو شرع الله وحكمه، وكذلك جهاد الكفار ونشر كلمة الإسلام في الأرض كانت كل هذه الأمور في ازدياد وتوسع. أما رمي الشريعة الإسلامية بالقصور والرجعية وعدم مسايرة تطورات العصر فهذا شيء لم يحدث إلا بعد أن مكن المسلمون الاستعمار العالمي من ذلك وبعد أن نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

ولقد جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بنصوص كثيرة صريحة واضحة حول قضية الحكم وأنها من عقيدة المسلم، ومن أهم أموره، قال تعالى في سورة الأحزاب: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [٤].

قال تعالى: [... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ] [٥].

وقال تعالى: [.... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] [٦].

---

(١) سورة النحل:٨٣.

(٢) ابن قتيبة: هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، له من التصانيف، تأويل مختلف الحديث، وأعلام النبوة، انظر: وفيات الأعيان، ٤/ ٣٢.

(٣) انظر: الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ص٣٢١، دار العاصمة- الرياض،ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٥) سورة المائدة:٤٤.

(٦) سورة المائدة:٤٥.

وقال تعالى: [... لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] [1].

وقال تعالى: [أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] [2].

وقال تعالى: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [3][4].

ومن مظاهر شرك الربوبية الخضوع للحكام والطواغيت، وطاعتهم في القوانين الوضعية بدون إكراه، لأن الطاعة في معصية الله تعالى بدون إكراه عليها تكفر صاحبها.

والدليل على ذلك ما رواه الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي: (**اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ...]** [5]، **قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه)** [6].

---

(1) سورة المائدة:٤٧.

(2) سورة المائدة:٥٠ .

(3) سورة النساء:٦٥ .

(4) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، ص٨٠-٨١، دار طيبة، الرياض، ط١١، ١٤٢٣هـ.

(5) سورة التوبة:٣١ .

(6) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٩٥)، ص٦٩٤، قال الألباني: حسن.

المبحث الثاني
توحيد الألوهية ونواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الألوهية.

المطلب الأول: توحيد الألوهية.

أولاً: الألوهية لغةً واصطلاحاً.

أ- الألوهية لغةً:

قال ابن فارس[١]:" الهمزة، واللام، والهاء أصل واحد، وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل: إذا تعبد "[٢].

وفي لسان العرب: " الإله: الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخـــذه، والجمـــع آلهة، والآلهة: الأصنام؛ سموا بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقـــاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه"[٣].

ب- **الألوهية اصطلاحاً**: معنى" الإله ": هو المعبود، هذا تفسير هذه اللفظة المباركة بإجماع أهـــل العلم، سلفاً وخلفاً، وكل من عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً من دون الله "[٤].

قال ابن تيمية: " إذ الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً، فالإله من يستحق أن يألهه العباد، ويدخل فيه حبه وخوفه، فما كان من توابع الألوهية فهو حق لله محض"[٥].

ثانياُ: توحيد الألوهية:

و"هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة "[٦]،"وهو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإلـــه الحق، ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة"[٧].

ثالثاً: العبادة لغةً واصطلاحاً.

أ. العبادة لغةً:

"الطاعة مع الخضوع، ويقال طريق معبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء"[٨].

---

(١) ابن فارس: هو أبو الحسين أحمد بن فارس المعروف بالرازي ، المالكي ، اللغوي ، كان رأسا في الأدب، ومن أئمة اللغة، توفي بالري سنة (٣٩٥هـ) . انظر: سير أعلام النبلاء ،١٠٣/١٧، وفيات الأعيان، شـــمس الـــدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، ١١٨/١، دار صادر، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) معجم مقاييس اللغة ،١٢٧/١ .

(٣) لسان العرب ،١٨٨/١.

(٤) الدين الخالص ، السيد محمد صديق حسن،١٩٠/١، دار التراث، بدون رقم وسنة طبعة.

(٥) مجموع الفتاوى،٢٢/١.

(٦) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص١٩.

(٧) الإيمان، محمد ياسين، ص١١، مكتبة السنة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٨) تهذيب اللغة ، ٢٣٤/٢. لسان العرب ،١٢/٩.

وهي "الخضوع للإله على وجه التعظيم والشعائر الدينية"(١).

"العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية، تصدر عن نية، ويراد بها التقرب إلـــى الله تعالى، طاعة للشريعة"(٢).

ب. العبادة اصطلاحاً.

"اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة"(٣).

"العبادة هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه"(٤).

رابعاً: أنواع العبادات في ضوء سورة الأحزاب.

وتنقسم العبادات إلى ثلاث أنواع : عبادات فعلية، وعبادات قلبية، وعبادات قولية.

ولقد قمت بتقسيم العبادات الواردة في السورة وفق هذا التقسيم.

١. عبادات فعلية.

أ- عبادة الصلاة و الزكاة:

ولقد ذكرت السورة في معرض حديثها عن أمهات المؤمنين آية تحض على إقامـــة الـــصلاة وعلى الزكاة، فقال تعالى: [.... **وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ** ....] (٥).

ولقد خص الله الصلاة والزكاة بالذكر؛ لأنهما أصل الطاعات البدنية والمالية، ثم عمـــم فـــأمر أمهات المؤمنين بالطاعة لله ولرسوله في كل ما هو شرع (٦).

قال الطبري:" وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن"(٧).

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية،٢/ ٥٧٩، مكتبة الشروق الـــدولي، ط٤، ١٤٢٥هـــ/٢٠٠٤م.

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أسعد السحمراني، ص١٣٤، دار النفائس، ط١، ١٤٠٨هـــ/ ١٩٨٨م.

(٣) مجموع الفتاوى،١٤/٣٧٨-٣٨٠. وبدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علـــي بـــن محمـــد العمـــران، ١/١٣٨، دار عالم الفوائد، بدون سنة ورقم طبعة.

(٤) التعريفات، ص ١٨٩.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٦) انظر: فتح القدير، ٤/٣٣٣.

(٧) جامع البيان ، ٨/٦٦٥٨.

والله عز وجل نهاهن أولاً عن الشر، ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإيتاء الزكاة، وهي الإحسان إلى المخلوقين، ثم قال: [...وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ...] ، وهذا من باب عطف العام على الخاص (١).

ب- عبادة الصوم:

ولقد ذكرت عبادة الصوم مرة واحدة في السورة، في معرض تحدث الآيات عن صفات المؤمنين، قال تعالى: [...وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ...] (٢) .

وقد قال الألوسي(٣) في تفسيره:" الصوم المذكور هو الصوم المشروع، فرضاً كان أو نفلاً، وعن عكرمة الاقتصار على صوم رمضان، وقيل: من تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين، ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين"(٤).

وهذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية، تتعاون في تكوين النفس المسلمة، فهي الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج ، وذكر الله كثيراً ،ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة (٥).

ت- عبادة التصدق :

وذكرت الآيات عبادة الإنفاق في سبيل الله والتصدق، فقال تعالى: [...الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ...] (٦)، في هذه الآية أيضاً تتحدث عن الصفات التي يجب أن يتصف بها الإنسان المؤمن .

والتصدق سبب لدخول الجنة، ففي المسند عن بشير بن الخصاصية، قال:(**أتيت النبيﷺ لأبايعه، قال: فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن ومحمداً عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أوتي الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل**

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٣٢/٦

(٢) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٣) الألوسي: هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء(١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨هـ وعزل، فانقطع للعلم. انظر: سير أعلام النبلاء،٧/ ١٧٦.

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ،٢١/٢٢، دار الفكر ، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٦٣/٥.

(٦) سورة الأحزاب:٣٥.

الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين، فو الله ما أطيقها: الجهاد والصدقة،... فقبض رسول الله ﷺ يده، ثم حركها، وقال: فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذاً؟ قلت: يا رسول الله أبايعك عليهن كلهن)(١) ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة، مع حصول التوحيد، والصلاة، والحج، والصيام(٢).

٢. عبادات قلبية.

أ- عبادة التقوى:

ولقد جاء الأمر بالتقوى في ثلاث آيات هي:

قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] (٣).

و قوله تعالى: [لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آَبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] (٤).

و قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] (٥).

وفي الآية الأولى، يخاطب الله ﷻ يا أيها الذي منَّ اللّه عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأدِّ إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق(٦).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ ...] بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده"(٧).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ،حديث رقم (٢١٩٥٢)، ٢٨٤/٣٦، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، إعداد: يوسف المرعشلي، كتاب الجهاد، ٨٠/٢، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ،ص٧٠.

(٣) سورة الأحزاب:١.

(٤) سورة الأحزاب:٥٥.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٥.

(٧) جامع البيان ، ٦٦٠٩/٨.

وفي الآية الثانية [...وَاتَّقِينَ اللهَ..] ، يقول: "وخفن الله أيتها النساء أن تتعدين ما حـد الله لكن، فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومـه، إلا فيما أباح لكن تركه، والْزمْنَ طاعته"(١).

وفي الآية الثالثة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا] يأمر تعـالى المـؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهـو القـول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعـروف، ونهـي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه، ومن القول السديد، لين الكلام ولطفه، في مخاطبـة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح.

ثم ذكر ما يترتب على تقواه، وقول القول السديد فقال: [...يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ...] أي: يكون ذلك سببًا لصلاحها، وطريقًا لقبولها، لأن استعمال التقوى، تتقبل به الأعمـال كمـا قـال تعالى: [...قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] (٢).

ويوفق فيه الإنسان للعمل الصالح، ويصلح اللّه الأعمال بحفظها عما يفـسدها، وحفـظ ثوابها ومضاعفته، كما أن الإخلال بالتقوى، والقول السديد سبب لفساد الأعمال، وعـدم قبولهـا، وعدم تَرَتُّبِ آثارها عليها.

[...وَيَغْفِرْ لَكُمْ...] أيضًا [...ذُنُوبَكُمْ...] التي هي السبب في هلاككم، فـالتقوى تـستقيم بهـا الأمور، ويندفع بها كل محذور ولهذا قال: [...وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] (٣)(٤).

ب- عبادة التوكل على الله.

ولقد ورد الأمر بالتوكل في آيتين :

قوله تعالى: [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] (٥).

---

(١) جامع البيان ، ٨/٦٦٩٩.

(٢) سورة المائدة:٢٧

(٣) سورة الأحزاب:٧١.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ،ص٦٢٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٢-٣.

وقوله تعالى: [وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] (١).

التوكل في اللغة معناه: الاعتماد والتفويض، وهو من عمل القلب، يقال: توكل في الأمر: إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان: إذا اعتمدت عليه.

والتوكل على الله من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله، قال تعالى: [...وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] (٢) فالتوكل على الله فريضة يجب إخلاصها لله، وهو أجمع أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد وأعظمها وأجلها؛ فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل ما سواه؛ صح إخلاصه ومعاملته مع الله(٣).

ت- عبادة الاستسلام لله.

ولقد ورد الأمر بالاستسلام لله في عدة مواضع منها:

قوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] (٤).

قال النسفي: "[وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ...] أي وما صلح لرجل مؤمن، ولا امرأة مؤمنة [...إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ...]، أي رسول الله [...أَمْرًا ...] من الأمور [...أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...] أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا، بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه واختيارهم تلواً لاختياره" (٥).

وهذه الآية عامة في جميع الأمور،وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (٦)،ولهذا شدد في خلاف ذلك

---

(١) سورة الأحزاب:٤٨.

(٢) سورة المائدة : ٢٣.

(٣) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص٦٨.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٥) تفسير النسفي، ٣٨٦/٣.

(٦) سورة النساء:٦٥.

فقال: [...وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] ، كقوله تعالى: [...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] (١)(٢).

"إن الإسلام لابد فيه من الاستسلام لله وحده، وترك الاستسلام لما سواه وهذه حقيقة (لا إلـه إلا الله) فمن أسلم لله ولغير الله فهو مشرك، والله لا يغفر أن يشرك به.

ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته، وقد قال تعالى: [... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] (٣)"(٤).

والاستسلام لله يتضمن عبادته وحده، وأن يطاع وحده، وذلك بأن يطاع في كل وقت بفعل ما أمر به في ذلك الوقت؛ فإذا أمر في أول الإسلام بأن يستقبل بيت المقدس، ثم أمر بعد ذلك باستقبال الكعبة؛ كان كل من الفعلين حين أمر به داخلا في الإسلام؛ فالدين هو الطاعة (٥).

٣ .عبادات قولية.

أ- عبادة التسبيح.

ولقد ورد الأمر بتسبيح الله في آية: قوله تعالى: [وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] (٦).

قال القرطبي:" أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر، والمحدث، والجنب" (٧).

أي نزهوه عما لا يليق به في وقت البكرة، ووقت الأصيل، وهما أول النهار وآخره، وتخصيصهما بالذكر لمزيد ثواب التسبيح فيهما، وخص التسبيح بالذكر بعد دخوله تحت عموم قوله: [.. اذْكُرُوا اللهَ ...] (٨)، تنبيهاً على مزيد شرفه وإنافة ثوابه على غيره من الأذكار، وقيل: المراد بالتسبيح بكرة صلاة الفجر،وبالتسبيح أصيلاً صلاة المغرب، وقال قتادة وابن جرير:

---

(١) سورة النور:٦٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم،٤٤٥/٦.
(٣) سورة غافر:٦٠.
(٤) الولاء والبراء، ٣٧/١.
(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص١٧٠.
(٦) سورة الأحزاب:٤٢.
(٧) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٦/٧.
(٨) سورة الأحزاب:٤١.

المراد صلاة الغداة وصلاة العصر، أما بكرة فصلاة الفجر وأما أصيلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، والأصيل العشي وجمعه أصائل [١].

ب- عبادة الذكر.

ولقد ورد الذكر في الكثير من الآيات في سورة الأحزاب.

قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] [٢].

وقوله تعالى: [.... وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] [٣].

وقوله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] [٤].

وقوله تعالى: [وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا] [٥].

وقد قال غير واحد من العلماء: [...َ الحِكْمَةِ...] هي السنة لأن الله أمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من الكتاب والحكمة، والكتاب: القرآن، وما سوى ذلك مما كان الرسول يتلوه هو السنة[٦].

قال ابن القيم: "قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا] ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله ﷻ كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصله"[٧].

---

(١) انظر: فتح القدير، ٣٤٤/٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٥

(٤) سورة الأحزاب: ٢١

(٥) سورة الأحزاب: ٣٤.

(٦) مجموع الفتاوى، ١/٦.

(٧) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن القائد، ص٥٥، دار عالم الفوائد، بدون رقم وسنة طبعة.

ولقد ورد الأمر بالصلاة على النبيﷺ في آية، وفي الأخرى ورد إخبار عن الله أنه يصلي على النبي هو وملائكته، قوله تعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (١)، وقوله تعالى: [هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] (٢).

من حقه الذي شرع اللّه له على أمته أن يصلوا ويسلموا عليه، وقد ورد أن معنى: صلاة اللّه تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، وصلاة الآدميين الاستغفار.

وقد أخبر اللّه سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي والسفلي .

ومعنى [... وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (٣)، أي حيوه بتحية الإسلام، فإذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما، فلا يقول: صلى الله عليه فقط، ولا يقول: عليه السلام فقط، لأن اللّه تعالى أمر بهما جميعاً(٤).

---

(١) سورة الأحزاب٥٦.

(٢) سورة الأحزاب:٤٣.

(٣) سورة الأحزاب٥٦.

(٤) انظر: كتاب التوحيد، الفوزان، ص٨٨.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الألوهية.

أولاً: الشرك.

١. تعريف الشرك في اللغة و الاصطلاح :

أ- تعريف الشرك في اللغة:

و في اللسان: الشِّرْكة والشَّركَة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا؛ وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما، والشريك المشارك، والشرك كالشريك، والجمع أشراك وشركاء[١].

وأشرك بالله: كفر، أي: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك، قال تعالى: [...وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ] [٢]معناه الذين صاروا مشركين بطاعتهم للشيطان، وليس المعنى أنهم آمنوا بالله وأشركوا بالشيطان، ولكن عبدوا الله وعبدوا معه الشيطان، فصاروا بذلك مشركين[٣] .

ب- تعريف الشرك في الاصطلاح:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله نداً - أي: مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه"[٤].

٢. أنواع الشرك الواردة في السورة.

أ- شرك الطاعة.

ولقد ورد في السورة في أكثر من آية الحديث عن الطاعة:

قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [٥].

وقال الله تعالى: [يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا] [٦].

---

(١) انظر: لسان العرب ، ١٠٠/٧.

(٢) سورة النحل:١٠٠.

(٣) انظر: تاج العروس، ٢٢٤/٢٧.

(٤) مجموع الفتاوى،٩٢/١.

(٥) سورة الأحزاب:١.

(٦) سورة الأحزاب:٦٦.

وقال الله تعالى: [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا] [(١)].

وقوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [(٢)].

يقول الإمام ابن القيم: "وقوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] [(٣)] فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر، فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الإتباع، لا واجب الإتباع، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه، ولو ترك الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصياً لله ورسوله. فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه، ويحرم عليهم مخالفته، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله؟ فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه، فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به، ونهى عما نهى عنه، فكان مبلغاً محضاً ومخبراً لا منشئاً ومؤسساً، فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله، لم يجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول، فإن طابقته، ووافقته، وشهد لها بالصحة، قبلت حينئذ، وإن خالفته، وجب ردها واطِّراحها"[(٤)].

فالعبد المؤمن يجب أن يقبل حكم الله، وافق هواه أول خالفه، فهنا يتضح هل المؤمن يطيع الله في كل أمره، يطيعه في السراء والضراء، أم أن الطاعة في السراء، وعندما يوافق هواه، أما في الضراء عندما لا يوافق هواه تكون عدم الطاعة.

ب - شرك التوكل:

"التوكل على الله عز و جل، وهو اعتماد القلب عليه وثقته به وإنه كافيه، قال الله ﷻ: [...وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] [(٥)]، فجعله تعالى شرطاً في الإيمان، كما وصف المؤمنين

---

(١) سورة الأحزاب:٦٧.

(٢) سورة الأحزاب:٣٦.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط،٣٨/١، مؤسسة الرسالة،ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤.

(٥) سورة المائدة:٢٣.

أنهم أهله، إذ قال تعالى: [... وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] ، [وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ] [1]"[2].

والتوكل من أعظم أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى، فالتوكل على الله تعالى في دفع المضار وتحصيل الأرزاق وما لا يقدر عليه إلا هو من أعظم أنواع العبادة والتوكل على غيره في ذلك شرك أكبر قال تعالى [... وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] أي على الله وحده توكلوا ولا تتوكلوا على غيره؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر وجعل الله تعالى التوكل شرطاً في صحة الإيمان، كما جعله شرطاً في صحة الإسلام فقال [...فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ] .

والتوكل الشركي وهو نوعان:

النوع الأول: ما يكون فيه التوكل شركاً أكبر، وهذا يكون باعتماد القلب على غير الله في جلب المنافع ودفع المضار كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم في تحقيق المطالب من النصر والحفظ والرزق والشفاعة.

النوع الثاني: ما يكون فيه التوكل شركاً أصغر.

كما يتوكل على الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على سلطان أو أمير أو أي شخص حتى قادر فيما أقدره الله عليه من عطاء أو دفع أذى ونحوه فذلك شرك أصغر لأنه اعتماد على أشخاص أو أسباب[3].

ثانياً: النفاق[4].

لقد كان للمنافقين دور خطير في مرحلة حاسمة من مراحل إقامة الدولة الإسلامية على يد النبي ﷺ، ولقد شكل تآمرهم مع أعداء الإسلام، ومواقف المنافقين التي خذلت النبي ﷺ عند الشدائد مثل فعلهم يوم أحد، ويوم الخندق، طعنة في ظهر المسلمين، لذلك كان خطرهم شديد.

لذلك توعدهم الله ﷻ بأشد فقال تعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا] [5]

---

(١) سورة المائدة:٢٣.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر،٢/٤٤٥، دار ابن القيم ،ط١ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٣) مباحث في العقيدة، عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ص١٣، مكتبة الرشد ناشرون،١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م.

(٤) ولقد أوردت للنفاق مبحثاً خاصاً به سوف أتحدث فيه بالتفصيل، انظر ص١٥٥وما بعدها.

(٥) سورة النساء:١٤٥.

المبحث الثالث

توحيد الأسماء والصفات نواقضه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الأسماء الصفات.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الأسماء الصفات.

أولاً: توحيد الأسماء و الصفات لغةً.

١. الأسماء لغةً:

جمع اسم وفي اللسان: "اسم هو مشتق من السمو، وهو الرفعة"(١)ويقول ابن القيم: "الاسم هو اللفظ الدال على المسمى"(٢).

٢. الصفات لغةً:

جمع صفة، والصفة أصلها وصف، والواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفا، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء(٣).

ثانياً: توحيد الأسماء و الصفات اصطلاحاً.

"هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، ووصف به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت بلا كيف، كما جمع الله تعالى بين إثباتها ونفي التكييف عنها"(٤).

"وهو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوي وعلى الملك احتوى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى"(٥).

ثالثاً:مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات.

يرى أهل السنة والجماعة إثبات ما أثبته الخالق لنفسه، مما نطق به وحيه أو شهد له به رسوله ﷺ،على ما وردت به الأخبار الصحاح ونقلته العدول الثقات ويثبتون لله ما أثبته لنفسه دون تشبيه لصفاته بصفات خلقه ودون تحريف بها عن معانيها الحقيقية.

---

(١) لسان العرب،٣٨١/٦.

(٢) بدائع الفوائد، ٢٩/١.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة،١١٥/٦.

(٤) أعلام السنة المنشورة ، ص٦١.

(٥) تيسير العزيز الحميد ،ص١٩.

كما فعل المعتزلة والجهمية[1]والقاعدة عندهم [...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] [2].

ويقول ابن تيمية[3]: "فالأصل في هذا الباب، أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفياً وإثباتاً؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه.

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات ،من غير إلحاد: لا في أسمائه ولا في آياته؛ فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] [4]،وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] [5]، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: [...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] [6]، ففي قوله: [...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...] رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: [...وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] رد للإلحاد والتعطيل".

---

(١) الجهمية: أصحاب الجهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال، قال الذهبي في الميزان: هو رأس الجهمية، هلك في زمان التابعين ، ما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً عظيماً، وقال البخاري في رسالة خلق أفعال العباد: إن الجهم بن صفوان يأخذ من الجعد بن درهم الذي ضحى به والي العراق خالد القسري يوم عيد الأضحى. انظر: معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف: عامر فالح، ص١٢٨، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) سورة الشُورى: ١١.

(٣) مجموع الفتاوى، ٣/٤.

(٤) سورة الأعراف:١٨٠.

(٥) سورة فصِّلت:٤٠.

(٦) سورة الشُورى:١١.

المطلب الأول: توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: الأسماء الواردة في السورة.

١. العليم :

- ولقد ورد اسمه العليم في مائة وسبعة وخمسين موضعاً في القرآن الكريم [١].

"والعلم إدراك الشيء بحقيقته" [٢]،وجاء في اللسان: "من صفات الله ﷻ العليم والعالم والعـــلام، قال الله ﷻ: [... هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ] [٣]،وقال: [...عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...] [٤].

وقال: [... عَـلَّامُ الغُيُـوبِ] [٥]، فهو الله العالم بما كان، وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن قبل أن يكون، لم يزل عالماً، ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليـــه خافيـــة فـــي الأرض، ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها، وظاهرها، دقيقهـــا، وجليلها على أتم الإمكان"[٦].

"والعليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلـــق، وجـــاء علـــى فعيـــل للمبالغة في وصفه بالعلم" [٧].

ولقد دلت السورة على أن من أسمائه تعالى العليم في أربع آيات:

أ- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [٨].

ب- [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] [٩] .

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، ٢١٣/١، مكتبة الامام الذهبي، الكويت، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، تحقيق/ محمد كيلانـــي ،ص٣٤٣ دار المعرفة – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة.

(٣) سورة الحجر:٨٦.

(٤) سورة الأنعام:٧٣.

(٥) سورة المائدة:١٠٩.

(٦) لسان العرب، ٣٧٠/٩.

(٧) الأسماء والصفات،البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر،تحقيق/ عبد الله بن محمد الحاشدي، ١٢٤/١، مكتبـــة السوادي – جدة، ط١،بدون سنة طبعة.

(٨) سورة الأحزاب:١ .

(٩) سورة الأحزاب:٤٠.

ت- [تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] [١].

ث- [إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] [٢].

فالآية الأولى: فيها أمر من الله ﷻ للنبي ﷺ ألا يطيع المنافقين، فإن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة[٣].

وأما الآية الثانية: تتحدث أنه لم يكن النبي أباً على الحقيقة لأحد من الناس المعاصرين له، وإنما هو رسول الله لتبليغ رسالته للناس، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده، وكان الله وما يزال تام العلم بكل شيء، ولا يفعل إلا الأصلح[٤].

"وأن الله أحاط علمه بجميع الأشياء، ويعلم حيث يجعل رسالاته، ومن يصلح لفضله، ومن لا يصلح" [٥].

وأما الآية الثالثة: فمن توسعة اللّه على رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك القسم بين زوجاته، على وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك، فهو تبرع منه، وختم الآية أنه واسع العلم، كثير الحلم، ومن علمه، أن شرع لكم ما هو أصلح لأموركم، وأكثر لأجوركم. ومن حلمه، أن لم يعاقبكم بما صدر منكم، وما أصرت عليه قلوبكم من الشر[٦].

وأما الآية الرابعة: فإن الله يثبت في هذه الآية أن الله عليم بكل أمر من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك[٧].

٢. **الحكيم**:

- ولقد ورد اسم الحكيم في القرآن الكريم أربعاً وتسعين مرة[٨].

---

(١) سورة الأحزاب:٥١.

(٢) سورة الأحزاب:٥٤.

(٣) انظر: جامع البيان ، ٦٦٠٩/٨.

(٤) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي،٣/ ٢٠٧٣، دار الفكر -دمشق، ط١،١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص٦١٤ .

(٦) انظر: المرجع السابق، ص٦٦٩.

(٧) انظر: جامع البيان ، ٦٦٩٧/٨.

(٨) انظر: النهج الأسمى ، ٢٤٢/١.

جاء في اللسان أن: الحكيم ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، لأفضل العلوم. وأن الحكم والحكيم، هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، وهو فعيل بمعنى فاعل، وفيه أيضاً أن الحكيم المتقن للأمور، أحكم الأمر: أتقنه[١].

وقال ابن كثير:" الحكيم في أفعاله و أقواله فيضع الأشياء في محلها بحكمه وعدله"[٢].

ولقد دلت السورة على أن من أسمائه تعالى الحكيم في آية واحدة هي:

[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [٣].

ولقد تم الحديث عن هذه الآية في موضع سابق[٤].

٣. **الخبير**:

- "وورد اسم الله الخبير في القرآن خمساً وأربعين مرة"[٥].

جاء في كتب اللغة: أن الخبير فعله خبر"، وخبرت الأمر أخبره، إذا عرفته على حقيقته"[٦].

وفيه أيضاً خبرت بالأمر:أي علمته، والله -سبحانه وتعالى -خبير " لأنه لا تعزب عنه الأخبار الباطنة، فلا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها "[٧].

ولقد ورد اسم الله عز وجل الخبير في السورة في موضعين هما:

أ- [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] [٨].

ب- [وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا] [٩].

---

(١) انظر: سان العرب، ٩٥١/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١٨٤/١.

(٣) سورة الأحزاب:١.

(٤) انظر: البحث نفسه ص٤٨.

(٥) النهج الأسمى، ٢٦٨/١.

(٦) لسان العرب ،١٢/٤.

(٧) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق/ بسام عبد الوهاب الجابي، ص١٠٣، الجفان والجابي – قبرص، ط١٤٠٧،١ هـ/ ١٩٨٧م.

(٨) سورة الأحزاب:٢.

(٩) سورة الأحزاب:٣٤.

وفي الآية الأولى: يبين الله ﷻ للنبي ﷺ، عداوة المشركين والمنافقين للدعوة الإسلامية، واتباع الوحي فإنه هو الهدى والرحمة، وَارْجُ بذلك ثواب ربك، فإنه بما تعملون خبير، يجازيكم بحسب ما يعلمه منكم، من الخير والشر(١).

وفي الآية الثانية: الحديث موجه لنساء النبي ﷺ، إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيراً بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجاً(٢).

٤. الوكيل:

- "ورد(الوكيل) في القرآن أربع عشرة مرة"(٣).

ولقد ورد اسم الله تعالى (الوكيل) في السورة مرتين.

أ- [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] (٤).

ب- [وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] (٥).

وفي الآية الأولى: يقول مخاطباً ﷺ: وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضائه [...وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] ، يقول: وحسبك بالله قيماً بأمورك، وحافظاً لك وكالئاً(٦).

وفي الآية الثانية: هذه الآية والآيات السابقة فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم، وهذه الآية تضمنت من أسمائه ﷺ ستة أسماء، وأمره بالتوكل عليه، وآنسه بقوله: [...وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] ، وفي قوة الكلام وعد بنصر و(الوكيل) الحافظ القائم على الأمر(٧).

٥. الغفور. ٦. الرحيم:

- وسمى الله نفسه بالغفور، في إحدى وتسعين آية في القرآن(٨).

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٥.

(٢) انظر: جامع البيان، ٦٦٦٢/٨.

(٣) النهج الأسمى، ٢٤/٢.

(٤) سورة الأحزاب:٣.

(٥) سورة الأحزاب:٤٨.

(٦) انظر: جامع البيان، ٤٠٦١/٧.

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٤٩/٧.

(٨) انظر: النهج الأسمى، ١٧٥/١.

والغفر في اللغة: " التغطية والستر، وغفر الله ذنوبه، أي سترها"[١]، والغافر والغفار والغفور، جميعها أسماء للمولى جل ثناؤه منها ما هو للمبالغة، كالغفور والغفار، والغفران والمغفرة من الله، هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب "[٢].

- واسم الله (الرحيم) ذكر مائة وأربع عشرة مرة في القرآن[٣].

جاء في اللسان" أن الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد تراحم القوم رحم بعضهم بعضاً، ورحيم فعيل بمعنى فاعل، كما قالوا سميع بمعنى سامع، وقدير بمعنى قادر"[٤].

"والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف الباري بها فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعليه روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف "[٥].

" ورحمة الله تامة وعامة، أما تمامها فمن حيث إنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها، وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق"[٦].

ورحمة الله مطلقة لأن الرحمة كما يرى الإمام الغزالي: " لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم، فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم، والرب ــ سبحانه وتعالى ــ منزه عنها .

إذ إن الرحيم عن رقة وتألم، يكاد يقصد بفعله دفع ألم الرقة عن نفسه، فيكون قد نظر في نفسه وسعى في غرضها"[٧].

ولقد ورد اسم الله (الغفور الرحيم) في السورة في خمس آيات.

أ- [ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] [٨].

---

(١) لسان العرب، ٩١/١٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن، ص٤٠٥.
(٣) النهج الأسمى، ٧٧/١.
(٤) لسان العرب، ١٧٤/٥.
(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ٢١٦.
(٦) المقصد الأسنى، ٦٢/١.
(٧) المرجع السابق، ٦٣/١.
(٨) سورة الأحزاب:٥.

ب- [لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا] (١).

ت- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٢).

ث- [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٣).

ج- [لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٤).

ولقد ورد اسم الله ﷻ (رحيم) مرة واحدة منفرداً في السورة.

[هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] (٥).

وفي الآية الأولى: وتؤكد الآية أنه يجب على المسلمين أن ينسبوا الأولاد الذين تبنوهم إلى آبائهم الحقيقيين، فذلك أعدل في حكم اللّه وشرعه، وأصوب من نسبة الابن لغير أبيه، فإن جهلتم آباء الأدعياء، فهم إخوة في الدين وأنصار لكم وبنو عمومتكم، ولا إثم عليكم بنسبة بعض الأولاد لغير آبائهم خطأً، أي نسيانا في الماضي قبل النهي، وإنما الإثم يحصل بتعمد نسبة الابن لغير أبيه، وهو يدري أنه ابن غيره، وكان اللّه واسع المغفرة، شامل الرحمة لمن تاب وأناب، أي لما مضى من فعلهم في ذلك، والمغفرة والرحمة صفتان مطّردتان في كل شيء، والخطأ في الآية: بمعنى النسيان، وليس مقابل العمد(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٢٤.

(٢) سورة الأحزاب:٥٠.

(٣) سورة الأحزاب:٥٩.

(٤) سورة الأحزاب:٧٣.

(٥) سورة الأحزاب:٤٣.

(٦) انظر: التفسير الوسيط ٢٠٥٤/٣.

قال ابن كثير:" أمر الله تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آباءهم، فإن لم يعرفوا آبائهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضاً عما فاتهم من النسب"(١).

وفي الآية الثانية: يخبر الله ﷻ أن الكل تحت مشيئة الله في الدنيا، إن شاء بقوا على ما هم عليه حتى يلقوه، فيعذبهم، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى الإقلاع عن النفاق إلى الإيمان والعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان، أي إن الهداية إلى الإيمان والتوبة، ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه، قال: [...إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا] (٢)، حيث ستر ذنوبهم، ورحمهم ورزقهم الإيمان ووفقهم إلى التوبة، ولا يعاقبهم على ما مضى بعد التوبة، وهذا حث على التوبة والإيمان قبل فوات الأوان(٣).

وفي الآية الثالثة: يقول تعالى، ممتناً على رسوله بإحلاله له ما أحل مما يشترك فيه، هو والمؤمنون، وما ينفرد به، ويختص، أما إعطاء المهور، فهذا من الأمور المشتركة بينه وبين المؤمنين.

وكذلك أحللنا لك [...وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ...] أي: الإماء التي ملكت [...مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ...] من غنيمة الكفار من عبيدهم، والأحرار من لهن زوج منهم، ومن لا زوج لهن، وهذا أيضا مشترك.

وكذلك من المشترك، قوله [...وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ...] شمل العم والعمة، والخال والخالة، القريبين والبعيدين، وهذا حصر المحللات.

يؤخذ من مفهومه، أن ما عداهن من الأقارب، غير محلل، كما تقدم في سورة النساء، فإنه لا يباح من الأقارب من النساء، غير هؤلاء الأربع، وما عداهن من الفروع مطلقًا، والأصول مطلقًا، وفروع الأب والأم، وإن نزلوا، وفروع من فوقهم لصلبه، فإنه لا يباح.

وقوله [...اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ...] قيد لحل هؤلاء للرسول، كما هو الصواب من القولين، في تفسير هذه الآية، وأما غيره عليه الصلاة والسلام، فقد علم أن هذا قيد لغير الصحة.

وأحللنا لك [...وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ...] امْرَأَةً مُؤْمِنَةً بمجرد هبتها نفسها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤٠٢/٦.

(٢) سورة الأحزاب:٢٤.

(٣) انظر: التفسير المنير، ٢٧٦/٢١-٢٧٧.

[... إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ...] أي: هذا تحت الإرادة والرغبة، [... خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...]، يعني: إباحة الموهبة وأما المؤمنون، فلا يحل لهم أن يتزوجوا امرأة، بمجرد هبتها نفسها لهم.

[...قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ...] أي: قد علمنا ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل، من الزوجات وملك اليمين، وقد علمناهم بذلك، وبينا فرائضه.

وقوله: [...خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...] وأبحنا لك يا أيها النبي ما لم نبح لهم، ووسعنا لك ما لم نوسع على غيرك، [...لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ...] وهذا من زيادة اعتناء اللّه تعالى برسولهﷺ.

[...وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] أي: لم يزل متصفاً بالمغفرة والرحمة، وينزل على عباده من مغفرته ورحمته، وجوده وإحسانه، ما اقتضته حكمته، ووجدت منهم أسبابه[(١)].

وأما الآية الرابعة: قال ابن كثير: "يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن"[(٢)].

وأما الآية الخامسة: وهي تتحدث عن أن الناس ينقسمون إلى فريقين: فريق المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، الذين يعذبهم اللّه لخيانتهم الأمانة، وتكذيب الرسل، ونقض الميثاق، وفريق المؤمنين والمؤمنات الذين يتوب اللّه عليهم إذا تابوا، وأدوا ما حملوه من الأمانات من العبادة، وغيرها؛ لأن اللّه غفور لذنوبهم، كثير الرحمة بهم. والآية دليل على أن اللّه أعلم الإنسان بأنه غفور رحيم، وبصَّره بنفسه فرآه ظلوماً جهولاً، ثم عرض عليه الأمانة، فقبلها مع ظلمه وجهله، لعلمه بما يجبرها من الغفران والرحمة.

والمعنى أن هناك مرضاً جبلياً في الإنسان، وأن هناك علاجاً ودواء لهذا المرض وهو سعة المغفرة وكثرة الرحمة الإلهية إذا تعرض الإنسان لهما في الجملة بالتوبة والإنابة والطاعة[(٣)].

أما الآية التي ورد فيها اسم الجلالة (الرحيم) منفرداً: فالآية تتحدث عن إن اللّه ربكم الذي تذكرونه، وتسبحونه، هو الذي يرحمكم، وملائكته تستغفر لكم، وهو بهذه الرحمة يريد

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٦٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٥٠٤/٦.

(٣) انظر: التفسير المنير ،١٢٧/٢٢.

هدايتكم، وإخراجكم من ظلمات الكفر، والجهل، والضلال، إلى نور الحق، والهدى والإيمان، وكان ربكم وما يزال رحيماً تام الرحمة بعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريق الذي حاد عنه سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأتباعهم، وأما في الآخرة، فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته أن يتلقوهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم[١].

٧.البصير:

- "ولقد ورد هذا الاسم في القرآن اثنتين وأربعين مرة"[٢].

"البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك"[٣].

و(البصير) الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع، وأيضا سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة[٤].

ولقد ورد اسم الله البصير في السورة مرة واحدة وهي:

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] [٥].

---

(١) انظر: التفسير المنير، ٤٢/٢١.

(٢) النهج الأسمى، ٢٣٥/١.

(٣) شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٧.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص ٩٤٦.

(٥) سورة الأحزاب:٩.

وكان الله بأعمالكم يوم الأحزاب، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدّة، وثباتهم لعدوّهم، وغير ذلك من أعمالهم، بصيراً لا يخفى عليه من ذلك شيء، يحصيه عليهم، ليجزيهم عليه[١].

وفي الآية يذّكر تعالى عباده المؤمنين، نعمته عليهم، ويحثهم على شكرها، حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز، من فوقهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاقدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول والصحابة، وذلك في وقعة الخندق، فهزمهم وشتت شملهم[٢].

٨.**الولي**. ٩.**النصير**:

(الولي) في كتب اللغة: الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق، القائم بها، والولاية: النصرة[٣].

والولي من أبنية المبالغة فعيل،" والولي والمولي يستعملان في ذلك كل واحد منهما يقال في معنى الفاعل: أي الموالي وفي معنى المفعول:أي الموالى" [٤].

"الولي هو الوالي، ومعناه مالك التدبير، ولهذا يقال للقيم على اليتيم: ولي اليتيم، وللأمير الوالي"[٥].

- أما اسم الجلالة النصير فقد ورد أربع مرات في القرآن الكريم[٦].

والنصير: فعيل بمعنى فاعل أو مفعول لأنَّ كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور وقد نصره ينصره نصراً إذا أعانه على عدوه وشدَّ منه.[٧] "والنصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله" [٨].

والله عز وجل النصير، ونصره ليس كنصر المخلوق [...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] [٩].

---

(١) انظر: جامع البيان ،٦٦٢١/٨.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٦٥٩.

(٣) انظر: لسان العرب ،٤٠٠/١٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص٥٣٣.

(٥) الأسماء والصفات،٤٨٠/٢.

(٦) انظر: النهج الأسمى ، ٣٢٣/١.

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث، ٦٤/٥.

(٨) الأسماء والصفات،١٧٩/١.

(٩) سورة الشُّورى:١١.

ولقد ورد اسم الله الولي والنصير في السورة مرة واحدة.

[قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] (١).

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: قل يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون:(إن بيوتنا عورة) هرباً من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قِبَله؟"(٢).

١٠.القوي ١١. العزيز:

- أما(القوي) فقد جاء هذا الاسم في تسعة مواضع من الكتاب العزيز (٣).

وفي اللسان: " أن القوة نقيض الضعف، يقال: قوى الله ضعفك، أي: أبدلك مكان الضعف قوة(٤).

ومعنى القوي أنه التام القدرة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال(٥).

- أما اسم الله (العزيز) فقد ذكر في القرآن اثنتين وتسعين مرة (٦).

وفي اللسان: العزيز من صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى، قال الزجاج(٧) :هو الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القوي الغالب كل شيء وقيل هو الذي ليس كمثله شيء ومن أسمائه عز وجل المعز وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده والعز خلاف الذل، والعز في الأصل القوة والشدة والغلبة والعز والعزة الرفعة والامتناع والعزة لله(٨).

يقول ابن القيم :" يعرف العبد عزته في قضائه، وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما يشاء، وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء، وحال بين العبد وقلبه وجعله مريداً شائياً لما شاء منه العزيز الحكيم، وهذا من كمال العزة إذ لا

---

(١) سورة الأحزاب:١٧.

(٢) جامع البيان ، ٦٦٣٢/٨.

(٣) انظر: النهج الأسمى ، ٣٦/٢.

(٤) انظر: لسان العرب ،٣٦٢/١١-٣٦٣.

(٥) انظر: الأسماء والصفات،١١٧/١.

(٦) النهج الأسمى ، ١٣٥/١.

(٧) الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السِّري، نحوي زمانه، له من التصانيف: معاني القرآن، توفي: ٣١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٦٩٥/١. والأعلام، ٤٣/٣.

(٨) انظر: لسان العرب،١٨٥/٩.

يقدر على ذلك إلا الله، وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك، وأما جعلك مريداً شائياً لما يشاؤه منك ويريده فلا يقدر عليه، إلا ذو العزة الباهرة، فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه، وتمكن شهوده منه كان الإشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله لا مع نفسه، ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد، ومن شهود عزته أيضا في قضائه، أن يشهد أن الكمال والحمد والغنى التام والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة، وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه، وكذلك بالعكس فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة، ومنها أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية، فإذا شهد جريان الحكم وجعله فاعلاً لما هو غير مختار له مريد بإرادته ومشيئته واختياره، فكأنه مختار غير مختار مريد غير مريد شاء غير شاء، فهذا يشهد عزة الله وعظمته وكمال قدرته"(١).

ولقد ورد في السورة في موضع واحد:

[وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] (٢).

يقول تعالى ذكره: أنه رد الكافرين من قُرَيش وغطفان بكربهم وغمهم، بفوتهم ما أمَّلوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طَمِعوا فيه من الغَلَبة فلم يصيبوا من المسلمين مالاً ولا إساراً(٣).

١٢. القدير:

- وأما اسم الجلالة القدير فورد خمساً وأربعين مرة في القرآن(٤).

وفي اللسان" القدير هو القادر، من صفات الله ﷻ يكونان من القدرة، ويكونان من التقدير، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه، و قدر على الشيء قدرة أي ملكه، فهو قادر وقدير" (٥).

ولقد جاء في السورة في موضع واحد:

[وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] (٦).

---

(١) مدارج السالكين، ١٦٢/١.

(٢) سورة الأحزاب:٢٥.

(٣) انظر: جامع البيان، ٦٦٤٢/٨.

(٤) انظر: النهج الأسمى، ١١١/٢.

(٥) لسان العرب، ٥٥/١١.

(٦) سورة الأحزاب:٢٧ .

وفي هذه الآية ذكر اللّه هزيمة بني قريظة، الذين تواطؤوا مع قريش في غزوة الأحزاب، فإن اللّه تعالى أنزلهم من حصونهم وقلاعهم، وأجلاهم عنها، وألقى في نفوسهم الخوف الشديد، لممالأتهم المشركين على محاربة النبي ﷺ، وصار أمرهم أن قتل المسلمون فريقا منهم، وهم الرجال المقاتلون، وأسروا فريقا منهم، وهم النساء والصبيان.

وجعل اللّه أراضيهم المزروعة، ومنازلهم المعمورة ،وأموالهم المدخرة، وأرضاً أخرى لم تطأها أقدام المؤمنين في عهد النبوة، وهي التي ستفتح في المستقبل، جعلها الله كلها للمسلمين، مثل خيبر ومكة وفارس والروم، وكان اللّه وما يزال تام القدرة على كل شيء، ينصر من يشاء، ويذل من يشاء[١].

١٣.اللطيف:

- "ورد هذا الاسم سبع مرات في القرآن الكريم"[٢].

واللطيف صفة من صفات الله واسم من أسمائه، ومعنى اللطيف هو الرفيق بعباده ، وهو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح، وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه[٣].

ومعنى اللطيف:" هو البر بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون"[٤].

ولقد ورد اسم الله اللطيف في السورة مرة واحدة.

[وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آَيَاتِ اللهِ وَالحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا] [٥].

ولقد تم الحديث عن هذه الآية في موضع سابق[٦].

١٤.الحسيب:

- "ورد اسمه الحسيب في القرآن الكريم ثلاث مرات"[٧].

---

(١) انظر:التفسير الوسيط، ٣/ ٢٠٦٥.
(٢) النهج الأسمى، ٢٥٩/١
(٣) انظر: لسان العرب، ٢٨٣/١٢.
(٤) الأسماء والصفات،١٦٥/١.
(٥) سورة الأحزاب:٣٤.
(٦) انظر: البحث نفسه ص٥٠.
(٧) النهج الأسمى، ٣٦٤/١.

جاء في كتب اللغة أن الحسيب: " الكافي، فعيل بمعنى يفعل، من أحسبني الشيء، إذا كفاني، أحسبته، وحسبته بالتشديد: أعطيته ما يرضيه حتى يقول حسبي"(١).

والحسب: العد والإحصاء، [...وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا] (٢)،يكون بمعنى محاسباً ويكون بمعنى كافياً(٣).

" ومعناه المدرك للأجزاء والمقادير، التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب، لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئاً فشيئاً، ويعلم الجملة عند انتهاء حسابه، والله تعالى لا يتوقف علمه بشيء على أمر يكون، وحال يحدث، وقد قيل: الحسيب هو الكافي، فعيل بمعنى مفعل، تقول العرب: نزلت بفلان فأكر مني وأحسبني، أي أعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي"(٤).

ولقد ورد اسم الله الحسيب في السورة مرة واحدة.

[الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا] (٥).

وفي الآية يوجه النداء للأنبياء، ألا يحسبون للخلق حساباً، فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة، ولا يخشون أحداً إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ .

فهو وحده الذي يحاسبهم، وليس للناس عليهم من حساب(٦).

١٥.الحليم:

- ورد اسم الله(الحليم) في القرآن إحدى عشرة مرة(٧).

وجاء في اللسان" أن الحليم الذي لا يستخفه عصيان العصاه، ولا يستفزه الغضب عليهم"(٨).

---

(١) انظر: لسان العرب ،١٦١/٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود الطناحي، ٣٨١/١، مؤسسة التاريخ العربي، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) سورة الأحزاب:٣٩.

(٣) انظر: لسان العرب، ١٦١/٣-١٦٢.

(٤) الأسماء والصفات،١٢٨/١.

(٥) سورة الأحزاب:٣٩.

(٦) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٧٠/٥.

(٧) انظر: النهج الأسمى، ٢٧٤/١.

(٨) لسان العرب، ٣٠٥/٣.

ومعنى الحليم : إنه الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البــر التقــي، وقــد يقيــه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلاً عن أن يدعوه كما يقيها الناسك الذي يــسأله، وربمــا شغلته العبادة عن المسألة.

وهو ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهــل، ولا عــصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم، وإنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، المتــأني الذي لا يعجل بالعقوبة(١).

ولقد ورد اسم الله الحليم في السورة مرة واحدة وهي:

[تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] (٢).

ولقد تم الحديث عن هذه الآية في موضع سابق(٣).

١٦. الرقيب:

جاء في كتب اللغة: أن الرقيب على وزن فعيل، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنــه شــيء ورقب الشيء يرقبه، وراقبه مراقبه أي حرسه، ورقيب القوم حارسهم (٤).

" وهو الذي لا يغفل عما خلق ، فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلتــه عنــه، وقال الزجاج: الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء"(٥).

والرقيب هو:" المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت "(٦).

ولقد ورد في السورة في موضع واحد وهو:

---

(١) انظر: الأسماء والصفات،١/١٤٣.

(٢) سورة الأحزاب:٥١.

(٣) انظر: البحث نفسه ص٤٨.

(٤) انظر: لسان العرب، ٥/٢٧٩.

(٥) الأسماء والصفات، ١/١٩٤.

(٦) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني،ص٣٤، مكتبة الصفا،ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- ولقد ورد هذا الاسم في القرآن ثلاث مرات[١].

[لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا] [٢].

أي يحرم عليك أيها الرسول الزواج بغير هؤلاء النساء التسع اللاتي عندك الآن، جزاء لاختيارهن اللّه ورسوله وهذا هو الحكم الأول: تحريم بقية النساء عليه. و الحكم الثاني: منع استبدالهن وتحريم طلاقهن، أي ولا يحلّ لك أيها الرسول أن تتزوج غير اللاتي في عصمتك، وأن تستبدل بهن غيرهن، بأن تطلق واحدة منهن وتتزوج بدلها أخرى، وإن أعجبك حسنها، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، مثل مارية القبطية التي أهداها المقوقس له، فتسرّى بها، وولدت له إبراهيم ومات رضيعاً، [...وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا] ، أي وكان اللّه وما يزال مطلعاً على كل شيء، عالماً مراقباً، كل ما يكون من أحد وما يحدث في الكون، فاحذروا مخالفة أوامره، فإن اللّه يجازي كل امرئ بما عمل[٣].

١٧.الشهيد:

- ولقد ورد هذا الاسم في القرآن ثماني عشرة مرة [٤].

وهو على وزن فعيل، وهو من أبنية المبالغة، فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد"[٥].

وذهب آخرون أن الشهيد هو" الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حركات الجوارح"[٦].

ولقد ورد اسم الله الشهيد في السورة مرة واحدة.

[لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] [٧].

---

(١) النهج الأسمى، ٣٩٣/١.
(٢) سورة الأحزاب:٥٢.
(٣) انظر: التفسير المنير،٦٨/٢١.
(٤) انظر: النهج الأسمى، ٤٤٠/١.
(٥) لسان العرب، ٢٢٢/٧.
(٦) تفسير النسفي،٣٩٦/٣.
(٧) سورة الأحزاب:٥٥.

قال ابن كثير:" لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب، قال تعالى: [لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آَبَائِهِنَّ ...] ، قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها، وقوله تعالى: [...وَلَا نِسَائِهِنَّ ...] ، يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات، وقوله تعالى: [...وَلَا مَا مَلَكَتْ ...] ، يعني به أرقاءهن من الذكور والإناث، وقوله تعالى: [...وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] ، أي واخشينه في الخلوة والعلانية، فإنه شهيد على كل شيء لا تخفى عليه خافية فراقبن الرقيب"(١).

ثانياً: الصفات الواردة في السورة.

تنقسم الصفات إلى قسمين(٢):

١. صفات ذات: وهي الصفات التي لا تنفك عن الله، ومثال الصفات الذاتية؛ العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والوجه واليد والرجل والملك والعظمة والكبرياء والعزة والعلو والإصبع والقدم والغنى والرحمة والكلام.
٢. صفات فعل: وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة، ومثال الصفات الفعلية؛ الاستواء والنزول والمجيء والضحك والرضى والعجب والسخط والإتيان والإحياء والإماتة والفرح والغضب والكره والحب.

وسأعتمد على هذا التقسيم لشرح الصفات الواردة في سورة الأحزاب.

١. الصفات الذاتية.

ولقد ورد في السورة بعض الصفات الذاتية منها:

أ- إثبات صفة العلم:

ولقد دلت السورة على إثبات صفة العلم لله ﷻ .

والعلم صفة ذاتية لله عز وجل، فقد ثبت علمه في كثير من آيات القرآن.

وهناك أسماء لله تعود بوجه عام، إلى معنى تحقق صفة العلم لله تعالى، وهي ثلاثة عشر اسماً وهي: (العليم- اللطيف- الخبير- الشهيد- الحسيب- المحصي- الواجد- السميع- البصير-

---

(١) تفسير القرآن العظيم،٦/٤٧٦-٤٧٧.

(٢) انظر: مختصر الأسئلة الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز المحمد السلمان، ص٣٠، ط١٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الرقيب - المهيمن - الواسع - المؤمن)[1]، ولقد ورد منها في السورة سبعة أسماء هـي:(العلـيم - اللطيف - الخبير - الشهيد - الحسيب - البصير - الرقيب)

ومنها (العليم)، ولقد تحدثنا بما يغني في معرض حديثنا عن اسم الله العليم، و جاء اسـم الله العليم الذي يدل على صفة العلم لله ﷻ في أربع آيات في السورة، فالآيات دلت على أنه تعـالى عالم بعلم، وأن علمه محيط بكل الأشياء، فقال تعالى: [...إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [2]. وقال تعالى: [... وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] [3]، وقال تعالى: [... وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] [4]، وقال تعالى: [... فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] [5].

ومن الأسماء التي تدل على صفة العلم اسم الله (الخبير)، ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون، وورد اسم الله(الخبير) في آيتين فقال تعالى: [... إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] [6]، وقـال تعالى: [... إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا] [7]، ومن الأسماء أيضاً الواردة في السورة التي تدل على علم الله اسم الله (الحكيم)، ويختص بأن يعلم بدقائق الأوصاف ولقد ورد اسم الله (الحكيم) فـي آيـة واحدة، فقال تعالى: [... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [8]، ومن الأسماء أيضاً الواردة في السورة التـي تدل على علم الله اسم الله(الشهيد)، ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه أنه لا يغيب عنه شيء ولقد ورد اسم الله (الشهيد) في السورة مرة واحدة فقال تعالى: [... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا] [9] .

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص١٦٩، دار القلم، دمشق،ط٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
(٢) سورة الأحزاب:١ .
(٣) سورة الأحزاب:٤٠.
(٤) سورة الأحزاب:٥١.
(٥) سورة الأحزاب:٥٤.
(٦) سورة الأحزاب:٢.
(٧) سورة الأحزاب:٣٤.
(٨) سورة الأحزاب:١.
(٩) سورة الأحزاب:٥٥.

والعلم صفة ثابتة لله ﷻ، قال السفاريني[1]: "يجب الجزم بأنه تعالى عالم بعلم واحد، وجودي قديم باق ذاتي، ينكشف به المعلومات عند تعلقه بها، وإنما قلنا بأن علمه كسائر صفاته تعالى للرد على الحكماء القائلين بنفي الصفات وإثبات غايتها، وللرد على المعتزلة القائلين بأنه يعلم بالذات، لا بصفة زائدة عليها، والدليل على أن صفاته زائدة على ذاته ورود النصوص بأنه تعالى عالم وحي وقادر ونحوها، وكونه عالماً يعلل بقيام العلم به في الشاهد، فكذلك في الغائب، وقس عليه سائر الصفات"[2].

ولقد دلت السنة على أن صفة العلم من الصفات الذاتية الثابتة لله ﷻ .

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ،قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: (**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر، ولا أقدر وتعلم، ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال عاجل أمري وآجله، فاقدره لي، ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، ثم أرضني قال ويسمي حاجته**)[3].

ب- صفتا الرحمة والمغفرة:

ولقد دلت السورة على إثبات صفتي (الرحمة والمغفرة) لله ﷻ في السورة في خمس آيات.

ولقد دلت الكثير من الآيات في القرآن على ثبوت صفتي (الرحمة والمغفرة) لله.

قال الإمام الطبري:" غفوراً يعني ساتراً ذنوب عباده المؤمنين، بالعفو لهم عن العقوبة عليها"[4].

وأما (الرحيم) فهو المنعم المتفضل على عباده، لأنها من المولى إحسان وإفضال، "وإذا وصف الباري بها فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد"[5].

---

(١)السفاريني: هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون(١١١٤- ١١٨٨ هـ= ١٧٠٢-١٧٧٤ م) عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها. انظر: الأعلام، ١٤/٦.

(٢) لوامع الأنوار، ١/١٤٥-١٤٦.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، حديث رقم(١١٦٢)،٢/٥٦.

(٤) جامع البيان ،٤/ ٢٣٩.

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد المفضل الأصفهاني، ص ٢١٦، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

أو كما يقول الإمام العيني[1]:" إذ المغفرة ستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات"[2]، يؤكد ذلك أن ثمة آيات كريمات بينت أن رحمة الله متنوعة متعددة، منها كشف الضر، ومنها الغيث، وخلاصة الأمر أن كل أشكال النعم وأنواعها تعتبر من رحمة الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: [وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] [3]، وقال تعالى: [قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا] [4] .

ولقد قرن النبي ﷺ بينهما في الحديث الشريف الذي أورده الإمام البخاري: عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ : علمني الدعاء أدعو به في صلاتي، قال :(**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**)[5].

ت- صفة الحكمة:

ومن أسماء الله تعالى (الحكم والحكيم) هما بمعنى الحاكم وهو القاضي، والحكيم فعيل بمعنى فاعل أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل .

وقيل: الحكيم : ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم [6]،و اسم الله تعالى(الحكيم) من لوازمه ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله ووضعه الأشياء في مواضعها وإيقاعها على أحسن الوجوه فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه وكذلك سائر أسمائه الحسنى[7].

ولقد دلت السورة على إثبات صفة الحكمة لله ﷻ، في آية واحدة،قال تعالى: [... إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [8].

---

(١) العينى: هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي: (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ = ١٣٦١ - ١٤٥١ م) مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري). انظر: الأعلام، ١٦٣/٧.

(٢) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، تحقيق:عبد الله محمود عمر،٤٥٤/٢٢، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٣) سورة المؤمنون:٧٥.

(٤) سورة الإسراء:١٠٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الدعاء قبل السلام، حديث رقم(٨٤٣)،١٦٦/١.

(٦) انظر: النهاية في غريب الأثر، ٤١٨/١-٤١٩.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ٣٦/١.

(٨) سورة الأحزاب:١.

ث- صفة العزة:

ولقد وردت في السورة في موضع واحد وهو:قوله تعالى: [... وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] [١]، واسم الله(العزيز) في الآية يشتق منه صفة (العزة)، وهو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله ﷻ، واقتران اسم الله العزيز بالقوي يفيد أنه سبحانه وصف نفسه بالقوة والعزة، فبقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا، وبعزته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كل شيء ذليل لديه، فقير إليه، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوه هو المقهور[٢].

ج- صفة القدرة:

والقدرة صفة وجودية من شأنها أن يكون لها أثر، كإيجاد الأشياء الممكنة، أو عدمها، أو التصرف في الموجودات بجمعها، أو تفريقها، أو تحويلها، أو نحو ذلك، وقد جاء في المأثور من أسماء الله الحسنى تسعة أسماء تعود إلى معنى تحقق صفة القدرة الكاملة لله تعالى،وهي: (القوي- المتين- القادر- المقتدر- الواجد- العزيز- المقيت- مالك الملك- الملك- الوارث)[٣]. ولقد ورد في السورة من هذه الأسماء ثلاثة أسماء هي(القدير- القوي- العزيز).

قال تعالى: [...وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] [٤]،و قال تعالى: [...وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] [٥].

٣. الصفات الفعلية.

ولقد ورد في السورة بعض الصفات الفعلية منها:

أ. صفة الأخذ:

قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] [٦].

وفي الآية دلالة على أن الله أخذ من النبيين العهد المؤكد على أن يصدق بعضهم بعضاً[٧].

ويذكر الله ﷻ أنه أخذ العهد المؤكد على جميع الأنبياء، وبالأخص أولي العزم من الرسل في أنهم يبلغون رسالة الله إلى أقوامهم، وينشرون دين الله تعالى، ويتناصرون ويتعاونون فيما بينهم

---

(١) سورة الأحزاب:٢٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٣٦/٥.

(٣) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص١٦٠-١٦١.

(٤) سورة الأحزاب:٢٥.

(٥) سورة الأحزاب:٢٧.

(٦) سورة الأحزاب:٧.

(٧) انظر: جامع البيان، ٦٦١٨/٨.

بإكمال بعضهم رسالة من تقدمه، كما قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ] (١)، أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمداً رسول الله، ويعلن محمد ﷺ أن لا نبي بعده(٢).

ب. صفة الإرسال:

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (٣).

وفي الآية إشارة إلى ما فعل الله بالأحزاب من إرسال ريح باردة عليهم في ليلة شاتية، وإرسال الملائكة، وقذف الرعب في قلوبهم(٤).

فالله ﷻ ينصر عباده المؤمنين، ويرسل على لأعدائهم من جنوده، الذي لا يعلمهم إلا الله، قال تعالى: [... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ...] (٥).

ت. صفة الإرادة.

قال تعالى: [قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] (٦).

"والإرادة من صفات الذات"(٧).

والإرادة على نوعين(٨) :

١. إرادة كونية: وهي تتعلق بكل ما يشاء الله فعله؛ كما قال تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ

---

(١) سورة آل عمران:٨١.

(٢) انظر: التفسير المنير، ٢٤٨/٢١-٢٤٩

(٣) سورة الأحزاب:٩.

(٤) انظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي،١٩٩/٢٥، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٥) سورة المدّثر:٣١.

(٦) سورة الأحزاب:١٧.

(٧) الأسماء والصفات، ١/ ٤٧٩.

(٨) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد هراس، ص٣٣٥.

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] [1].

٢. وإرادة شرعية: وهي تتعلق بما يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه ، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: [... يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ...] [2].

وهناك من أسماء الله الحسنى ما يعود إلى الإرادة منها: الرحمن وهو المريد لرزق كل حي، ومنها الرحيم وهو المريد لإنعام أهل الجنة، ومنها الغفار وهو المريد لإزالة العقوبة بعد الاستحقاق، ومنها الودود وهو المريد للإحسان للمؤمنين، ومنها العفو وهو المريد لتسهيل الأمور على أهل المعرفة، ومنها الرؤوف وهو المريد للتخفيف عن العباد، ومنها الصبور وهو المريد لتأخير العقوبة، ومنها الحليم وهو المريد لإسقاط العقوبة في الأصل عن المعصية، ومنها الكريم وهو المريد لتكثير الخيرات عند المحتاج،ومنها البر وهو المريد لإعزاز أهل الولاية[3] .

ث. صفة الوعد.

ولقد دلت السورة على هذه الصفة الفعلية، فقال الله تعالى: [وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] [4].

ولقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أن المؤمنين الصادقين لما رأوا الأحزاب، يعني جنود المشركين من قريش وغطفان،الذين جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، قالوا: [... قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ...] ولم يبيّن هنا الآية التي وعدهم إياه فيها، ولكنّه بيّن ذلك في موضع آخر وهو قوله تعالى: [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ] [5][6] .

---

(١) سورة يس:٨٢.

(٢) سورة البقرة:١٨٥.

(٣) انظر: الأسماء والصفات، ٣٤٩/١

(٤) سورة الأحزاب:٢٢.

(٥) سورة البقرة:٢١٤.

(٦) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٥٧٤/٦، مكتبة العلوم والحكم، بدون رقم طبعة،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

ووعد الله ﷻ متحقق للمؤمنين، قال تعالى: [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] (١).

ج.صفة التوبة.

ولقد دلت السورة على هذه الصفة الفعلية، فقال الله تعالى: [...وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٢).

والتوبة صفة من صفات الأفعال، ولا يوجد لها مقابل، وقد اشتق منها اسم الله سبحانه وتعالى (التواب)، وتوبة الله سبحانه وتعالى قسمان: توبة سابقة لتوبة العبد، وتوبة لاحقة لتوبة العبد، والسابقة هي أن يوفق الله عبده أن يتوب، واللاحقة أن يتقبل الله توبة العبد، فأولاً يوجه قلبه للتوبة، ثم بعد ذلك إن شاء تاب عليه توبة ثانيه وهي قبول توبته، وإن شاء لم يتب عليه(٣).

وورد في المفردات أن: " العبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده"(٤).

والله ﷻ لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر معاصي المذنبين، فمن توجه إلى الله بتوبة نصوحة تاب الله عليه(٥).

والتوبة ليست نقصاً، بل هي أفضل الكمالات، وهي واجبة بحق الخلق، فغاية كل مؤمن هي التوبة(٦).

---

(١) سورة النور:٥٥.

(٢) سورة الأحزاب:٧٣.

(٣) انظر: سلسلة الأسماء والصفات، محمد الحسن الشنقيطي،٨/٧، الموسوعة الشاملة.

(٤) المفردات، ص٧٦.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٩٤٦.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ١٥/١٥.

المطلب الثاني: نواقض توحيد الأسماء والصفات.

إن الله ﷻ أثبت لنفسه صفات وأسماء، وأثبت له رسوله ﷺ صفات وأسماء ، ونفى الله ﷻ عن نفسه صفات وأسماء، ونفى النبي ﷺ عنه صفات وأسماء، فمن نفى أو أنكر أو انتقص شيئاً مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله فقد كفر، وكفر الصفات نوعان: كفر نفي وكفر اثبات[1].

ولقد ورد في السورة آيتين يمكن تصنفيها في نواقض توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: الآية الأولى.

قوله تعالى: [وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا] [2] .

وفي الآية إثبات لصفة سلبية، لم يثبتها الله ﷻ لنفسه ولم يثبتها النبي ﷺ لله ﷻ .

فالمنافقون ينفون وعد الله ﷻ للمؤمنين بالنصر والتمكين، وعلى عكسهم المؤمنون، فقد قالوا: [... هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] [3] .

ولقد وعد الله ﷻ عباده بالنصر والتمكين في مواضع كثيرة في القرآن الكريم منها:

قال تعالى: [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ] [4].

ثانياً: الآية الثانية.

قال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا] [5] .

ولقد أريد بالإيذاء في هذه الآية؛ إما فعل ما يكره الله ورسوله من الكفر -والإيذاء في حق الله تعالى على المجاز لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى- وقيل في إيذائه تعالى هو قول

---

(١) انظر: الإيمان، محمد نعيم ياسين، ص١٥٨.

(٢) سورة الأحزاب:١٢.

(٣) سورة الأحزاب:٢٢.

(٤) سورة النور:٥٥.

(٥) سورة الأحزاب:٥٧.

اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة، وثالث ثلاثة، والمسيح ابن الله، والملائكة بنات الله[1].

"وقيل: معنى يؤذون الله: أي يلحدون في أسمائه وصفاته"[2].

وكان إيذاء اليهود لله ﷻ متنوع ولقد ذكرها القرآن منها :

قال تعالى: [وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ...] [3].

وقال تعالى: [وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ...] [4].

وقال تعالى: [... قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...] [5].

أما إيذاء النصارى فكان قولهم [...وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ...] [6]، وقالوا: [... إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...] [7].

وأما إيذاء المشركين بينه الله تعالى في قوله: [وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ] [8].

وكل هذه الصفات لا تليق بحق الله ﷻ، فالله ليس أبا أحد لا المسيح ولا عزير، فقد أثبت الله ذلك في مواضع كثيرة في القرآن مثل سورة الإخلاص، قال تعالى: [قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) اللهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] [9]..

وأيضاً وصفهم بأن الله يده مغلولة فرد الله عليهم [... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...] [10].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود،١١٤/٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة. البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ٢٣٩/٧، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

(٢) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، ١٥٩/٥، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٣) سورة التوبة:٣٠.

(٤) سورة المائدة:٦٤.

(٥) سورة آل عمران:١٨١.

(٦) سورة التوبة:٣٠.

(٧) سورة المائدة:٧٣.

(٨) سورة النحل:٥٧.

(٩) سورة الإخلاص:١-٤.

(١٠) سورة المائدة:٦٤.

الفصل الثاني

النبوات في سورة الأحزاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنبياء والرسل ووجوب توقيرهم.

المبحث الثاني: خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث: مكانة النبي ﷺ وآله في سورة الأحزاب.

المبحث الأول

الأنبياء والرسل ووجوب توقيرهم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنبي وبالرسول والفرق بينهما.

المطلب الثاني: أولو العزم من الرسل والمفاضلة بينهم.

المطلب الثالث: وجوب توقير الأنبياء والرسل.

المطلب الأول: التعريف بالنبي وبالرسول والفرق بينهما.

أولاً: التعريف بالنبي وبالرسول.

١. التعريف بالنبي وبالرسول في اللغة :

أ- النبي في اللغة:

قال الفراء:" النبي هو من أنبأ عن الله، قال: وإن أخذت من النبوة، والنباوة وهي الارتفاع (عن الأرض) أي أنه أشرف على سائر الخلق"[١].

(نبأ) الشيء نبئا ونبوءاً، ارتفع وظهر، ويقال: نبأ نبئاً، ونبأ الرجل نبأ: أخبر.

(نبأه) الخبر وبالخبر: خبره، ويقال: نبأت زيداً عمراً خارجاً أعلمته، و تنبأ ادعى النبوءة.

و النبوءة هي: سفارة بين الله ﷻ وبين ذوي العقول لإزاحة عللها- وتبدل الهمزة واواً وتدغم فيقال النبوة-،و النبيء هو المخبر عن الله ﷻ وتبدل الهمزة ياء وتدغم، فيقال: النبي[٢].

ب- الرسول في اللغة:

والرسالة مشتقة من رسل، والرسل هو القطيع من كل شيء، والجمع إرسال، والترسل والرسل: الرفق والتؤدة، وترسل في قراءته في كلامه ومشيه ولم يعجل، والإرسال التوجيه وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه صاحب رسالة[٣].

أما الرسول فهو مشتق من رسل، والراء والسين واللام أصل واحد، يدل على الانبعاث[٤].

٢. التعريف بالنبي و بالرسول في الاصطلاح والفرق بينهما:

واختلفت عبارة العلماء والباحثين حول تعريف النبي والرسول اصطلاحاً، ولقد وضعوا عدة تعريفات لكل من النبي والرسول في الاصطلاح، ولم يتفقوا علي رأي واحد، وكان من أهم آرائهم:

أ. منهم من قال أن النبي والرسول بمعنى واحد.

وقد قال بهذا الرأي المعتزلة، ولقد ذكر الرازي في تفسيره هذا الرأي فقال: "وقالت المعتزلة: كل

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٤٦/١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، ٨٩٦/٢.

(٣) انظر: لسان العرب،٢١٣/٥-٢١٤.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة، ٣٩٢/٢.

رسول نبي، وكل نبي رسول، ولا فرق بينهما"[١].

ب. من العلماء من قال أن اللفظين مختلفين.

وقد قال بهذا الرأي جمهور العلماء، واختلفوا في تعيين الفرق بين النبي والرسول إلى عدة آراء منها:

الرأي الأول: وقد قال بعض العلماء أن الفارق بين النبي والرسول الأمر بالتبليغ، فالنبي لم يأمره الله بالتبليغ، أما الرسول فقد أمره الله أن يبلغ، وممن قال بهذا الرأي:

شارح الطحاوية فقال: "وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها، أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها "[٢].

ووافقه على ذلك صاحب معارج القبول فقال:" والرسول هو كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول"[٣].

ويوافقهم سيد قطب[٤] رحمه الله فيقول:" والرسول هو صاحب الدعوة من الأنبياء المأمور بإبلاغها للناس، والنبي لا يكلف إبلاغ الناس دعوة إنما هو في ذاته صاحب عقيدة يتلقاها من الله"[٥].

ووافقهم الإمام السفاريني فقال: والرسول وهو إنسان أوحي إليه بشرع، وإن لم يؤمر بتبليغه، فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور، فبين النبي والرسول عموم وخصوص

---

(١) التفسير الكبير، ٥٠/٢٣.

(٢) شرح الطحاوية، على بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد بن علي، ص٩٨، دار الحديث، بدون رقم طبعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ،٩٥/٢.

(٤) سيد قطب: هو سيد قطب بن إبراهيم: (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧ م) مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط.تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ انضم إلى الاخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم،فعكف على تأليف الكتب ونشرها إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم.انظر: الأعلام ، ١٤٧/٣.

(٥) في ظلال القرآن، /٢٣١٣.

مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، والرسول أفضل من النبي إجماعاً؛ لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة[١].

الرأي الثاني: وقد قال بعض العلماء أن الفارق بين النبي والرسول هو الشريعة، فمن جاء بشرع جديد فهو رسول ومن جاء لتقرير شريعة من قبله فهو نبي.

قال الألوسي: "يراد بالرسول من بعث بشرع جديد وبالنبي من بعث لتقرير شرع من قبله أو يراد بالرسول من بعث بكتاب وبالنبي من بعث بغير كتاب"[٢].

ووافقه صاحب كتاب الرسل والرسالات فقال:" الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله"[٣].

الرأي الثاني: الفارق هنا هو حال المرسل إليهم، فالنبي أُرسل إلى قوم مؤمنين، والرسول أُرسل إلى قوم كافرين.

وقد قال بذلك ابن تيمية:" فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي، وليس برسول"[٤].

والرسول هو الذي يرسل إلى أمة كافرة فيؤمن به بعضهم ويكفر به بعضهم، كنوح عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الكفار، آمن به بعضهم وكفر به بعضهم، هود عليه السلام رسول، صالح عليه السلام رسول، والذين أرسلوا بشرائع يرسلون إلى أمم كافرة، وينزل عليهم شرائع، أوامر ونواهٍ، يؤمن به بعضهم، ويكفر به بعضهم، مثل نوح، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونبينا ﷺ ، أما النبي فهو الذي يرسل إلى قوم مؤمنين ويكلف بالعمل بشريعة سابقة[٥] .

والنبي من أوحي إليه بأمر ونهي وخبر، وأُمر بتبليغه لقوم يؤمنون به ويعرفون أن ما جاء به حق وأنه من الله، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، فمهمة الأنبياء كمهمة العلماء، وأما الرسول فهو من أوحي إليه وأُرسل إلى مخالفين كفار لا

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية، ٥٠/١.

(٢) روح المعاني، ١٧٣/١٧.

(٣) انظر: الرسل والرسالات،ص١٣.

(٤) النبوات، ابن تيمية، ص ٢٥٥،دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية(لفضيلة العلماء الأجلاء) ، ١٠٢/١.

يعرفون ما جاء به، فيدعوهم إلى توحيد الله ويكذبونه، فيقع بينه وبينهم نزاع، وقد يكون له أتباع منهم وقد لا يكون[١].

٣. مناقشة الآراء.

أ. أما بالنسبة للرأي الذي يقول أنه لا فرق بين النبي والرسول، فلا يصح قول من يقول أنه لا فرق بين النبي والرسول، فالقرآن شاهد بعدم صحة هذا، فقد قال الله تعالى: [**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آَيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**] [٢].

فقد فرق الله ﷻ بين الرسول والنبي، وعطف الرسول على النبي، والعطف يقتضي المغايرة، يقول ابن تيمية:" وعطف الشيء على الشيء في القرآن، وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما"[٣].

ب. أما بالنسبة للرأي الذي يقول أن الفارق بين النبي والرسول هو الأمر بالتبليغ، فالنبي لم يأمره الله بالتبليغ، أما الرسول فقد أمره الله أن يبلغ، فهذا رأي مردود على أصحابه لثلاث أسباب[٤]:

الأول: أن الله أرسل الأنبياء والرسل، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبيّ البلاغ .

الثاني: وليس من المعقول أن يترك النبي البلاغ، ويكتم وحي الله عن الناس.

الثالث: ومن الأدلة من السنة أن النبي مأمور بالتبليغ، قول الرسول ﷺ فيما يرويه عنه ابن عباس**(عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد)** [٥].

فالنبي إن لم يبلغ فكيف يكون له أتباع كما ورد في الحديث.

---

(١) انظر: مباحث المفاضلة في العقيدة، محمد الشظيفي، ص١١٠، دار ابن القيم – دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢) سورة الحج:٥٢.

(٣) كتاب الإيمان، ص١٦٣.

(٤) انظر: الرسل والرسالات،ص١٤-١٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، حديث رقم (٥٧٥٢)، ١٣٤/٧.

ت. أما بالنسبة للرأي الذي يقول أن الفارق بين النبي والرسول هو الشريعة، فمن جــاء بشرع جديد فهو رسول ومن جاء لتقرير شريعة من قبله فهو نبي، فلا يصح هذا الرأي ولقد رد عليه ابن تيمية فقال: " وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فان يوسف كان رســولاً وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة"(١).

والراجح هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية هو أن الفارق هو حال المرسل إليهم، **فــالنبي أُرسل إلى قوم مؤمنين، والرسول أُرسل إلى قوم كافرين.**

ثانياً: دلالة السورة على التفريق بين النبي والرسول:

ولقد ورد في السورة ما يدل على التفريق بين النبي والرسول، فقال تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] (٢).

وهذه الآية دليل على أن كل رسول نبي، فإذا انتفت النبوة فلا رسالة، فكفى ذكــر كونــه خــاتم النبيين عن ذكر كونه خاتم المرسلين، لأنه إذا كان خاتم النبيين فهو خاتم المرسلين حتماً(٣).

---

(١) النبوات، ص٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٣) انظر: ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التــاريخ، عبــد الــرحمن الميــداني،٤٦٢/١،دار القلــم، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

المطلب الثاني: أولو العزم من الرسل والمفاضلة بينهم.

ولقد دلت السورة على أولي العزم من الرسل، فقال الله تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] (١) .

يقول ابن كثير: "وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ ، قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي "الأحزاب" و "الشورى"، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل"(٢).

وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلاً لهم، وقيل: لأنهم أصحاب الشرائع والكتب وأولو العزم من الرسل وأئمة الأمم، ويحتمل أن يكون هذا تعظيماً في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين، أي هذا مما لم تختلف فيه الشرائع أي شرائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،أي كان في ابتداء الإسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب متأكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الإيمان، وهو سبب وكيد فأما التوارث بين مؤمن وكافر فلم يكن في دين أحد من الأنبياء الذين أخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في الدين ولا تمالئوا الكفار ونظيره(٣).

ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا ﷺ مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى(٤).

يقول ابن القيم وهو يتحدث عن الأنبياء: "وأرفعهم عنده درجة وأحبهم إليه وأكرمهم عليه وبالجملة، فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله وبهم عبد وأطيع، بهم حصلت محابه تعالى في الأرض، وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى...] (٥)،وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم"(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٧.

(٢) تفسير ابن كثير،٣٠٥/٧.

(٣) انظر: جامع البيان، ٦٨/١٧،.

(٤) انظر: فتح القدير،٣١٦/٤-٣١٧.

(٥) سورة الشورى:١٣.

(٦) طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية ،ص٣٧٤، مكتبة القدس، ط١٤٢٨،١هـ/٢٠٠٧م.

المطلب الثالث: وجوب توقير الأنبياء والرسل.

ذكرت آيات في السورة ذات دلالات واضحة على وجوب توقير الأنبياء والرسل، فقال الله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا] (١).

وقال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا] (٢).

جاءت الآية خطاباً لمؤمني هذه الأمة الذين صدقوا بالله وبرسوله، وبما جاء به رسول الله، حيث ينهاهم تعالى عن إيذاء نبيهم ﷺ بأدنى أذى، فلا يكونوا في معاملتهم مع نبيهم كمعاملة بني إسرائيل مع نبيهم موسى حيث آذوه بلسانهم(٣)، فبرأه الله مما قالوا، فهو ذو جاهٍ عند الله فلا يَـرُدّ له مطلباً ولا يخيب له مسعى، وقد حدث الأذى للنبي ﷺ، ومن ذلك:

١-اتهام زوجه عائشة رضي الله عنها بالفاحشة.

٢-قول بعضهم حين قسم النبي ﷺ مالاً: هذه قسمة مُا أريد به وجه الله.

٣-وقول بعضهم: اعدل فينا يا رسول الله، قال له: ويحك إذا لم أعدل أنا فمَنْ يعدل(٤).

وقد اختلف الناس فيما أوذي به محمد ﷺ وموسى عليه السلام ، فحكى ابن كثير في تفسيره أن أذيتهم محمداً ﷺ قولهم: زيد بن محمد. وقيل: أن رسول الله ﷺ ذات يوم قسم قسماً، فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، قال: فقلت: يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ثم قال : (رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوْسَى لَقَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ) (٥)(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٥٧.

(٢) سورة الأحزاب:٦٩ .

(٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى صلى الله عليه وسلم يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في إثره يقول ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضربا بالحجر)، صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، حديث رقم(٢٧٨)، ٦٤/١.الأدرة: وهو انتفاخ الخصية. النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٣٤/٤.

(٤) انظر: أيسر التفاسير،أبو بكر الجزائري، ٤ /٢٩٧- ٢٩٨، مكتبة العلوم والحكمة، بدون رقم طبعة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ، حديث رقم (٤٣٥٥)، ١٥٩/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ٣ / ٥٢١.

أما إيذاء موسى فمختلف فيه، قال بعضهم: هو إيذاؤهم إياه بنسبته إلى عيب في بدنه.

قال بعضهم: إن قارون تآمر مع امرأة أن تقول عند بني إسرائيل: إن موسى زنى بي، فلما جمع قارون القوم، والمرأة حاضرة، ألقى اللّه في قلبها أنها صدقت، ولم تقل ما لقّنت [١].

قال الرازي: وبالجملة الإيذاء المذكور في القرآن كاف، وهو أنهم قالوا له: [... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ...] [٢]وقولهم: [...لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ...] [٣]وقولهم: [... لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ...] [٤]إلى غير ذلك، فقال للمؤمنين: لا تكونوا أمثالهم إذا طلبكم الرسول ﷺ إلى القتال، أي لا تقولوا: [... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ...] [٥]،ولا تسألوا ما لم يؤذن لكم فيه[٦].

قال سيد قطب: "ولم يحدد القرآن نوع الإيذاء لموسى، ولكن وردت روايات تعينه، ونحن لا نرى بنا من حاجة للخوض في هذا الذي أجمله القرآن، فإنما أراد الله تحذير الذين آمنوا من كل ما يؤذي النبي ﷺ، وقد ضرب بني إسرائيل مثلاً للالتواء والانحراف في مواضع من القرآن كثيرة، فيكفي أن يشير إلى إيذائهم لنبيهم، وتحذير المسلمين من متابعتهم فيه، لينفر حس كل مؤمن من أن يكون كهؤلاء المنحرفين الملتوين الذين يضربهم القرآن مثلاً صارخاً للانحراف والالتواء"[٧].

---

(١) انظر: التفسير المنير،١٢١/٢٢.

(٢) سورة المائدة:٢٤.

(٣) سورة البقرة:٥٥.

(٤) سورة البقرة:٦١.

(٥) سورة المائدة:٢٤.

(٦) انظر: تفسير الفخر الرازى، ٢٣٤/٢٥.

(٧) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٨٨٣-٢٨٨٤.

المبحث الثاني

خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اختصاصه بختم النبوة .

المطلب الثاني: خصوصيات النبي ﷺ في أحكام الزواج.

المطلب الثالث: اختصاصه ﷺ بالشهادة على أمته بإبلاغ الرسالة.

المطلب الرابع: اختصاصه ﷺ بنداء الله تعالى له بأعز أوصافه.

تمهيد :

لقد دلت سورة على عدد من خصائص النبي ﷺ، وقبل أن نبدأ بسرد هذه الخصائص النبوية سنتعرض معنى الخصائص، وتعريف الخصائص النبوية.

تعريف الخصائص: "التخصيص، والاختصاص، والخصوصية، والتخصص تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم والتعمم والتعميم"(١).

وتعريف الخصائص النبوية: وهي ما اختص به ﷺ عن سائر الناس من الأنبياء وغيرهم، وما اختص به عن غير الأنبياء(٢)،أو هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء وإما عن سائر البشر(٣).

وفائدة بيان هذه الخصائص أن يعرف المتتبع لشريعة المصطفى ما لا يسوغ الاقتداء به من أمور اختص بها(٤)، ثم بيان فضله على سائر الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

أما عدد هذه الخصائص فكثير ذكرت في كتب الحديث والتفسير والسير والطبقات والتواريخ ومقدمات أبواب النكاح في كتب الفقه، وقد أفرد العلماء لها كتباً خاصة اهتمت ببيان المسائل التي اختص بها النبي ﷺ من الناحيتين التشريعية والتفضيلية، وهذه الخصائص على أربعة أنواع(٥):

أ - ما اختص به في ذاته في الدنيا مثل كونه خاتم النبيين وأفضلهم، والإسراء والمعراج.

ب - ما اختص به هو وأمته في شرعه في الدنيا مثل إحلال الغنائم.

ج - ما اختص به في ذاته في الآخرة مثل كونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يقرع باب الجنة.

د - ما اختص به في أمته في الآخرة؛ مثل بعث أمته غراً محجلين من آثار الوضوء.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص ١٥٥.

(٢) انظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين، علي بن برهان الدين الحلبي،٣٧٢/٣،دار المعرفة، بدون رقم طبعة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٣) انظر: خصائص المصطفى بين الغلو و الجفاء، الصادق بن محمد إبراهيم، ص٢٤، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) انظر: السيرة الحلبية ، ٣٧٢/٣.

(٥) انظر: غاية السول في خصائص الرسول، ابن الملقن عمر بن علي الأنصاري، تحقيق: عبد الله بحر الدين عبد الله، ص١٠-١١، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

المطلب الأول: اختصاصه بختم النبوة .

ولقد دلت السورة على ختم النبوة، فقال الله تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] [1].

يقول ابن كثير" فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس"[2].

"ومن الخصائص التي خص الله بها رسوله ﷺ ورسالته، جعله خاتم النبيين، وجعل رسالته خاتمة الرسالات، فانفرد ﷺ بهذا الأمر وبغيره عن إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأصبح ختم النبوة من خصائصة ﷺ، ولذا فإن من حقه ﷺ على كل من يؤمن به، أن يعتقد بهذا الأمر، بل هو من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة التي لا يعذر المسلم بجهلها"[3].

ولقد أجمعت الأمة الإسلامية وصار معلوماً من الدين بالضرورة، أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده؛ لوصول البشرية إلى نهاية الكمال الذي لا يحتاجون بعده إلى نبي ولا إلى رسالة جديدة، فقد أكمل الله الدين وصار صالحاً للبشرية إلى نهاية هذا الكون، وهذه نعمة من الله تعالى على البشر عامة؛ لتجتمع همتهم على هذا الدين القيم، وتطمئن نفوسهم إلى أنه لا تبديل ولا تغيير لأحكامه، وأن عليهم فقط تنفيذ ما جاء من أحكامه وشرائعه للوصول إلى السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة[4].

وكل من أقر بنبوة محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل، وأقر بتأبيد شريعته ومنع نسخها[5].

وحتى نتعرف إلى عقيدة ختم النبوة لا بد من معرفة معنى الختم في اللغة والاصطلاح.

أولاً: الختم في اللغة.

ورد لفظة ختم في اللغة بعدة معانٍ منها:

---

(1) سورة الأحزاب:٤٠.

(2) تفسير القرآن العظيم، ٤٤٩/٦-٤٥٠.

(3) حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، ١١٠/١، أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(4) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي،٥٩٩/٢، دار البينة للنشر، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(5) انظر: أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، ص١٦٢، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

أ- **الطبع:**

ختمه يختمه ختماً وختاماً، أي طبعه، والختم على القلب: ألا يفهم شيئاً، ولا يخرج منه شيء، كأنه طبع، وفي التنزيل: [**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ** ...] [١]، أي: طبع[٢]،"معنى ختم وطبع واحد في اللغة"[٣].

ب- **تغطية الشيء:**

"هو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء، كما قال ﷻ: [...**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**] [٤]"[٥].

ت- آخر الشيء ونهايته:

وختم الشيء يختمه ختماً: بلغ آخره، وخاتم كل شيء، وخاتمته: عاقبته وآخره، وختام كل مشروب: آخره، وفي التنزيل: [**خِتَامُهُ مِسْكٌ** ...] [٦]، أي آخره، وختام الوادي: أقصاه، وختام القوم، وخاتمهم: آخرهم، وفي التنزيل: [... **وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ...] [٧]، أي: آخرهم[٨].

ثانياً: ختم النبوة في الاصطلاح:

وهو"انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء"[٩].

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم على ختم النبوة:

وهناك بعض الآيات في القرآن الكريم تدلل على ختم النبوة منها:

١. قال الله تعالى: [**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ**

---

(١) سورة البقرة:٧.

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،١٥٥/٥، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) تاج العروس، ٤١/٣٢.

(٤) سورة محمد:٢٤.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم، ١٥٥/٥، تاج العروس،٤١/٣٢.

(٦) سورة المطّففين:٢٦.

(٧) سورة الأحزاب:٤٠.

(٨) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ١٥٦/٥.

(٩) عقيدة ختم النبوة، ص١٩.

شَيْءٍ عَلِيمًا] [1].

٢. [...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ...] [2].

رابعاً: الأدلة من السنة على ختم النبوة:

١. عن أبي هريرة قال: قال النبيﷺ :**(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي و سيكون خلفاء فيكثرون...)** [3].

٢. أن النبي ﷺ قال**(أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي)**[4].

٣. عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون،ويقولون: لولا موضع اللبنة) [5].

٤. وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول اللهﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: **(ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس نبي بعدي)**[6].

وهذه بعض أقوال النبي ﷺ في ختم النبوة، فقد رواها عنه جماعة كبيرة من الصحابة، حيث يتبين من خلالها أن النبي ﷺ صرح بوضوح وجلاء أنه خاتم النبيين،وأنه لا نبي بعده، ولن يأتي أي نبي بعده لانتهاء سلسلة بعث الأنبياء والرسل من الله تعالى، وكل من ادعى بعده النبوة أو الرسالة فهو كذاب دجال معاند لكتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ، فقد قال النبيﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله...)**[7][8].

---

(١) سورة الأحزاب:٤٠.

(٢) سورة المائدة:٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر من بني إسرائيل، حديث رقم(٣٤٥٥)، ١٦٩/٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى، حديث رقم(٢٣٥٤)، ص٩٥٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ ، حديث رقم(٣٥٣٤)،١٨٦/٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، حديث رقم(٤٤١٦)، ٣/٦.

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الفتن، باب...، حديث رقم(٧١٢١)، ٥٩/٩.

(٨) انظر: الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي، محمد بخيت، ص٤٨٢، مكتبة آفاق، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

خامساً: الحكمة من ختم النبوة:

مما لا شك فيه أن كل أمة بحاجة لرسول أو نبي؛ ليبين لها الحق من الباطل، فأرسل الله أنبيائه لهداية الناس، فمن الناس من آمن ومنهم من كفر، واستمر بعث الأنبياء والرسل حتى شاء الله أن تكون نبوة محمدﷺ خاتمة للنبوات؛ وذلك لأنه بعثه إلى الناس كافة إلى أن تقوم الساعة؛ كما قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...] (1)، [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ] (2) [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] (3)، [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...] (4)، وإذا كانت رسالته عامة للناس؛ فهذا يستلزم أن تكون شريعته كاملة شاملة لمصالح البشر، لا يحتاج معها إلى شريعة أخرى، وبعثة نبي آخر؛ كما قال تعالى: [... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ...] (5)، وقال تعالى: [...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ] (6)، وقال تعالى: [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ...] (7) (8).

وفي الآيات، والأحاديث إعلام للناس كافة بانتهاء ابتعاث الأنبياء من الله إليهم.

---

(1) سورة سبأ:٢٨.

(2) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(3) سورة الفرقان:١.

(4) سورة الأعراف: ١٥٨.

(5) سورة المائدة:٣.

(6) سورة النحل:٨٩.

(7) سورة المائدة:٤٨.

(8) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، ص٢٠٠-٢٠١.

المطلب الثاني: خصوصيات النبي ﷺ في أحكام الزواج.

اقتضت ظروف النبوة، وأحوال نشر الدعوة الإسلامية، أن يختص النبي ﷺ ببعض الأحكام في الزواج بالنساء، ومنها هبة المرأة نفسها للنبي من غير مهر، وإعفاؤه من القسم بين الزوجات، والاقتصار على زوجات تسع، وهذا ما نصت عليه الآيات الآتية:

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٥٠) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا(٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا] (١).

وذكر اللّه تعالى في الآية الأولى أربع فئات من النساء المباحات للنبي ﷺ، النساء الممهورات، وملك اليمين،وبنات العم والعمة والخال والخالة، المهاجرات معه من مكة إلى المدينة، المرأة الواهبة نفسها للنبي بغير مهر، وإباحة هؤلاء النساء لك أيها النبي لدفع الحرج والمشقة عنك، ولتتفرغ لتبليغ رسالتك، وكان الله وما يزال واسع المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات، ما لا يمكن التحرز عنه، ورحيماً بك وبالمؤمنين، بدفع الحرج والمشقة، وترك العقاب على ذنب تابوا عنه (٢).

"وإن النبي إنما عدد زوجاته بأمر من الله تعالى، ولهذا كان وراء كل زواج حكم كثيرة" (٣).

وهناك حكم آخر دلت عليه السورة وهو حُرْمةُ نكاح أزواجه: فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٠- ٥٢.

(٢) انظر: التفسير الوسيط، ٢٠٧٩/٣.

(٣) مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، عبد الله الخطيب، ٢٢٢/٦،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا] (١).

لقد حرَّم تعالى نكاح أزواج نبيه ﷺ، وجعلهن كأمهاتنا في حرمة النكاح، حيث قال في موضع آخر من السورة [... وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ...] (٢)، فلا يجوز لأحد بعد النبي ﷺ أن ينكح إحدى أزواجه، ويدل على ذلك النهي الأبدي في قوله تعالى: [...وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ...] والمراد بهذه الأمومة الواردة في الآية، أمومة معنوية وليست حقيقية، إذ أنها لا تبيح النظر إليهن، أو الخلوة بهن، فقد ضرب الله تعالى الحجاب عليهن في قوله: [...وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ...] ، وقد توعَّد تعالى من يخالف ذلك النهي من خلال تعظيم هذا الذنب، ووصفه بأنه جريمة كبرى، كما جاء في خاتمة الآية [...إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا] وقد جعل تعالى العقوبة مبهمة لتذهب النفس في تقديرها كل مذهب، وكذلك جاءت الآية التالية مباشرة تتوعد الذين لديهم رغبة في نكاح إحدى أزواجهﷺ سواء أظهروا ذلك أو أخفوه، فيحرم بذلك مجرد الخاطر في الزواج منهنَّ، حيث قال تعالى: [إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] (٣)، فخاتمة الآية تتضمن الوعيد لهؤلاء، فالله متصف بتمام العلم المطلق بالأشياء الظاهرة والمستترة، لذا فهو سيجازيكم على هذه الرغبة شرَّ الجزاء(٤).

---

(١) سورة الأحزاب:٥٣.

(٢) سورة الأحزاب:٦.

(٣) سورة الأحزاب:٥٤.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، ٢٨٨/٤.

المطلب الثالث: اختصاصه ﷺ بالشهادة على أمته على إبلاغ الرسالة.

وقد دلت السورة على أن النبي ﷺ يكون شاهداً جميع الخلائق، فقال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا] (١)،ولقد وصف الله بها رسوله محمدًاﷺ، بصفات هي المقصود من رسالته، وزبدتها وأصولها، التي اختص بها، وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه [...شَاهِدًا...] أي: شاهدًا على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: [... لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...] (٢) [فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا] (٣) فهوﷺ شاهد عدل مقبول(٤).

"هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم، وهذه الآية تضمنت من أسمائه ﷺ ستة أسماء ولنبينا ﷺ أسماء كثيرة وسمات جليلة منها [...شَاهِدًا...] ، وهو شاهد على أمته بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم"(٥).

وجمع الله تعالى له في هذه الآية ضروباً من رتب الأثرة، وجملة أوصاف من المدح، فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهى من خصائصه ﷺ، ومبشراً لأهل طاعته، ونذيراً لأهل معصيته، وداعياً إلى توحيده وعبادته، وسراجاً منيرا يهتدى به للحق(٦).

المطلب الرابع: اختصاصه ﷺ بنداء الله تعالى له بأعز أوصافه.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا] (٧).

وصف الله ﷻ النبي ﷺ بسبع صفات أو أسماء، فهو الشاهد على أمته بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم، وهو المبشر للمؤمنين برحمة اللّه وبالجنة، وهو المنذر للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد، وهو الداعي إلى اللّه بتبليغ التوحيد، والأخذ به ومكافحة الكفرة، وهو

---

(١) سورة الأحزاب:٤٥.

(٢) سورة البقرة:١٤٣.

(٣) سورة النساء:٤١.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٧/١٤.

(٦) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، ٢٤/١، دار الكتب العلمية، بدون رقم وسنة طبعة.

(٧) سورة الأحزاب:٤٥-٤٧.

نور كالسراج الوضاء بشرعه الذي أرسله اللّه به، وهو الذي بشر المؤمنين بالفضل الكبير من اللّه تعالى، وهو ذو شرع مستقل مطالب بألا يطيع الكافرين فيما يشيرون عليه من أنصاف الحلول والمداهنة في الدين والممالأة، لكنه مأمور أيضا أن يدع أذاهم مجازاة على إذايتهم إياه، فلا يعاقبهم، وإنما يصفح عن زللهم، معتمدا على اللّه وحده بنصر دينه وحفظه وتأييده وعصمته من الناس[١].

"وفي هذه الآية تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم وهذه الآية تضمنت من أسمائه ﷺ ستة أسماء، ولنبينا ﷺ أسماء كثيرة وسمات جليلة، ورد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة"[٢].

ولقد ورد في السنة عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: **(لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب)**[٣].

وذكر منها ابن العربي[٤]سبعاً وستين اسماً: "أولها الرسول، المرسل، النبي، الأمي، الشهيد، المصدق، النور، المسلم، البشير، المبشر، النذير، المنذر، المبين، العبد، الداعي، السراج، المنير، الإمام، الذكر،المذكر، الهادي، المهاجر، العامل، المبارك، الرحمة، الآمر، الناهي، الطيب، الكريم، المحلل، المحرم، الواضع، الرافع، المخبر، خاتم النبيين، ثاني اثنين، منصور، أذن خير، مصطفى، أمين، مأمون، قاسم، نقيب، مزمل، مدثر، العلي، الحكيم، المؤمن، الرءوف، الرحيم، الصاحب، الشفيع، المشفع، المتوكل، محمد، أحمد، الماحي، الحاشر، المقفي، العاقب، نبي التوبة، نبي الرحمة، نبي الملحمة، عبد الله، نبي الحرمين"[٥].

---

(١) انظر: التفسير المنير، ٥٠/٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٤٧/١٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول ﷺ ، حديث رقم(٣٥٣٢)، ١٨٥/٤.

(٤) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي(٤٦٨ - ٥٤٣ هـ = ١٠٧٦ - ١١٤٨ م) قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وهو غير محيي الدين ابن عربي.انظر: الأعلام ، ٢٣٠/٦.

(٥) أحكام القرآن ، محمد بن عبد الله الأندلسي ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ٥٨٠/٣-٥٨١، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

وسمي النبي ﷺ سراجاً لإضاءة الدنيا بنوره، ومحو الكفر وظلامه بنوره، شبهه بالشمس؛ لأنها الغاية من النيرات، وقال بعضهم: سمي سراجاً؛ لان دينه يضئ بين الأديان كالسراج في الليلة المظلمة (١).

---

(١) انظر: الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد زغلول، ص١٧٥، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

المبحث الثالث

مكانة النبي ﷺ وآله في سورة الأحزاب.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الولاية على المؤمنين.

المطلب الثاني: الصلاة عليه.

المطلب الثالث: اقتران أذية الله تعالى بأذية الرسول ﷺ .

المطلب الرابع: تطهير أهل بيته.

المطلب الأول: الولاية على المؤمنين.

ولقد ثبتت ولاية النبيﷺعلى المؤمنين في السورة، فقال تعـالى: [النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِـنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا] (١).

فالنبي ﷺ قائد الأمة ونبيها، وأبوته المعنوية ورحمته شـاملة لجميـع المـؤمنين ، بـدون استثناء، وهذا يجعل الإنسان المؤمن يحب النبي ﷺ أكثر من محبته لنفسه، ويدفعه للامتثـال لأوامره (٢).

وولاية النبي ﷺ ولاية عامة تشمل رسم منهاج الحياة بحذافيرها، وتشمل مشاعرهم فيكـون شخصه ﷺ أحب إليهم من أنفسهم . فلا يرغبون بأنفسهم عنه؛ ولا يكون في قلوبهم شـخص أو شيء مقدم على ذاته! جاء في الصحيح: (**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكـون أحـب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين**)(٣)(٤).

وفي الآية يخبر تعالى المؤمنين، خبرًا يعرفون به حالة الرسول ﷺ ومرتبته، فيعاملونه بمقتـضى تلك الحالة فقال: [النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ...] أقرب ما للإنسان، وأولى مـا لـه نفـسه، فالرسول أولى به من نفسه، لأنه عليه الصلاة والسلام، بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفـة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول اللّه، أعظم الخلق مِنَّةً عليهم، من كل أحـد، فإنـه لـم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديـه وبـسببه، فلذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس، مع مراد الرسول، أن يقـدم مراد الرسول، وألا يعارض قول الرسول، بقول أحد، كائنًا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم

وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقـدموا بـين يديه(٥).

وتشمل الولاية العامة كذلك التزاماتهم، جاء في الصحيح (**ما من مؤمن إلا وأنا أولـى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم** [النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ...] **فأيما مؤمن**

---

(١) سورة الأحزاب:٦.

(٢) انظر: التفسير الوسيط ، ٣٠٥٥/٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب النبي ﷺ من الإيمان، حديث رقم(١٥)، ١٢/١.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٢٨/٥.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٦-٦٠٧.

ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه) [١]،والمعنى أنه يؤدي عنه دينه إن مات وليس له مال يفي بدينه؛ ويعول عياله من بعده إن كانوا صغاراً [٢].

المطلب الثاني: الصلاة عليه.

وقد دلت السورة على الصلاة على النبي ﷺ فقال الله تعـالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [٣].

وهذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بهـا سـوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك، أمر الله تعـالى عبـاده بالصلاة على نبيه محمد ﷺ دون أنبيائه تشريفاً له، وبيان مكانته، ولا خلاف في أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات، وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه[٤].

قال بعض العلماء: أما معنى قولنا اللهم صل على محمد أي عظمه في الدنيا بإعلاء ذكـره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمتـه، وتـضعيف أجـره ومثوبتـه، وإعطائه المقام المحمود [٥].

أمرنا الله تعالى بالصلاة على النبي ﷺ – كما جاء في الآية – وهي علـى الوجـوب مـرة واحدة في العمر، قال الإمام القرطبي في تفسيره مذكراً عن إجماع العلماء على هـذا الوجـوب: "لا خلاف في أن الصلاة عليه ﷺ فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبـات وجـوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه" [٦].

وذكر ابن القيم أن صلاة الله سبحانه على عبده فنوعان عامة وخاصة:

([١]) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك ديناً، حديث رقم(٢٣٩٩)، ١١٨/٢.

([٢]) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٢٩/٥.

([٣]) سورة الأحزاب:٥٦.

([٤]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٧١/١٤.

([٥]) انظر: تفسير آيات الأحكام من القـرآن، محمـد علـي الـصابوني، ٢٦٢/٢، دار الـصابوني، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

([٦]) تفسير القرطبي، ١٧١/١٤ .

أما العامة: فهي صلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: [هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ...] (١)ومنه دعاء النبي بالصلاة على آحاد المؤمنين، كقوله(**اللهم صل على آل أبي أوفى**)(٢).

النوع الثاني: صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله، خصوصاً على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ (٣).

وقد وردت طرق كثيرة في صيغة صلاة المؤمنين عليه ﷺ، حيث وردت السنة النبوية في صور مختلفة عن كيفية الصلاة عليه، واختلافها يشعر بأن الغرض ليس تحديد "كيفية خاصة" وإنما هي ألوان من التعظيم والثناء له ﷺ (٤).

وفي رواية: قال: رجل يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ وقد أجابهم ﷺ بقوله: (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيْمَ، إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ**) (٥).

وهناك الكثير من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ منها.

الأولى: امتثال أمر الله ﷻ، والثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه، الثالثة: موافقة ملائكته فيها،والرابعة: يحصل المصلي على النبي ﷺ في المرة الواحدة على عشر صلوات من الله ،والخامسة: أنه يرفع عشر درجات،و السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات،والسابعة: أنه يمحي عنه عشر سيئات، والثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه فهي تصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين، والتاسعة: أنها سبب لشفاعته إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو افردها، والعاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب،و الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه،والثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه يوم القيامة(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٤٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، حديث رقم(١٤٩٧-٤١٦٦-٦٣٣٢-٦٣٥٩).

(٣) ولقد ذكر ابن القيم اثني وثلاثين فائدة للصلاة على النبي ﷺ ، انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ص٦١٢-٦١٦.

(٤) انظر: تفسير آيات الأحكام، ٢٦٠/٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب في تفسير عن رسول الله ، باب إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ ، حديث رقم(٣٣٧٠- ٤٧٩٧- ٦٣٥٧)، ١٤٦/٤.

(٦) انظر: جلاء الأفهام، ص٦١٢-٦١٦.

المطلب الثالث: اقتران أذية الله تعالى بأذية الرسول ﷺ .

ولقد قرن الله عز وجل أذية الله تعالى بأذية النبي ﷺ ، فقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا] (١).

وفي هذه الآية قرن الله بين أذى النبي ﷺ وأذاه، كما قرن في آيات أخر بين طاعته وطاعة نبيه، وفى هذا وغيره بيان لتلازم الحقين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة، فمن آذى الرسول فقد آذى الله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، لأن الذي أوصل الشريعة للأمة هو الرسول ﷺ، وليس لأحد منهم طريق غيره ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور (٢).

أي الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه، وركوبهم ما حرم عليهم،وأما أذاهم لرسول الله ﷺ فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي(٣).

إن من يؤذي اللّه ورسوله يستحق اللعنة والطرد من رحمة اللّه في الدنيا والآخرة، وله عذاب محقر مؤلم في نار جهنم. وإيذاء اللّه: يكون بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك إليه، ووصفه بما لا يليق به، كقول اليهود: [... يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ...] (٤)، وقولهم: [... عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ...] (٥)، وقول النصارى: [...الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ...] (٦)، وقول المشركين: الملائكة بنات اللّه، والأصنام شركاؤه، وجاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: **(يقول اللّه عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر، وأنا الدهر. أقلّب ليله ونهاره)**(٧).

وقد ميّز اللّه بين آذاه سبحانه وآذى الرسول ﷺ وآذى المؤمنين، فجعل الأول كفراً موجباً اللعن، والثاني كبيرة، فقال في آذى المؤمنين: [...فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا] (٨)(٩).

---

(١) سورة الأحزاب:٥٧.

(٢) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني ، محمد شودري، ٤٠/١-٤١، رمادي للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/١٩٩٧م.

(٣) انظر: جامع البيان،٦٧٠١/٨.

(٤) سورة المائدة:٦٤.

(٥) سورة التوبة:٣٠.

(٦) سورة التوبة:٣٠.

(٧) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب(وما يهلكنا إلا الدهر)، حديث رقم(٤٨٢٦)،١٣٣/٦.

(٨) سورة الأحزاب:٥٨.

(٩) انظر: التفسير المنير، ١٠٤/٢١-١٠٥.

أما إيذاء النبي ﷺ هو تكذيبه نسبة السحر والشعر والكهانة والجنون والافتراء عليه [١].

ويقول سيد قطب: "ويستمر السياق في تحذير الذين يؤذون النبي ﷺ في نفسه أو في أهلــه؛ وفي تفظيع الفعلة التي يقدمون عليها، وذلك على طريقين: الطريق الأول: تمجيد رســول الله ﷺ وبيان مكانته عند ربه وفي الملأ الأعلى، والطريق الثانية: تقرر أن إيــذاءه إيــذاء لله ســبحانه، وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته في الدنيا والآخرة، والعذاب الذي يناسب الفعلة الشنيعة، وفــي ظل هذا التمجيد الإلهي يبدو إيذاء الناس للنبي ﷺ بشعاً شنيعاً ملعونــاً قبيحــاً، ويزيــده بــشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبيده، وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله، إنما هذا التعبير يصور الحــساسية بإيذاء رسوله، وكأنما هو إيذاء لذاته جل وعلا "[٢].

والسورة دلت على أصل عظيم، وهو الفرق بين أذى الله و رسوله، و بين أذى المؤمنين فقال تعالى: [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا] [٣]، فــلا يجوز أن يكون مجرد أذى المؤمنين بغير حق، موجباً للعنة الله فــي الــدنيا والآخرة،وللعــذاب المهين إذ لو كان كذلك لم يفرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين، ولم يخصص مــؤذي الله ورسوله باللعنة المذكورة، ويجعل جزاء مؤذي المؤمنين أنه احتمل بهتاناً وإثماً مبينــاً، كمــا قال في موضع آخر: [وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا] [٤]، كيف والعليم الحكيم إذا توعد على الخطيئة زاجراً عنها فلابد أن يذكر أقصى ما يخاف على صاحبها، فإذا ذكر خطيئتين إحداهما أكبر من الأخرى متوعداً عليهما زاجراً عنهما، ثم ذكر في إحــداهما جزاء عنها، و ذكر في الأخرى ما هو دون ذلك، ثم ذكر هذه الخطيئة في موضع آخر متوعــداً عليها بالعذاب الأدنى بعينه، علم أن جزاء الكبرى لا يستوجب بتلك التي هي أدنى منها فهذا دليل يبين لك أن لعنة الله في الدنيا والآخرة، وإعداده العذاب المهين لا يستوجب مجرد القــذف الــذي ليس فيه أذى الله و رسوله[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٦٨٣.

(٢) في ظلال القرآن ، ٢٨٧٩/٥.

(٣) سورة الأحزاب:٥٨.

(٤) سورة النساء:١١٢.

(٥) انظر: الصارم المسلول، ٤٨/١.

المطلب الرابع: تطهير أهل بيته.

ولقد دلت الآيات على مكانة آل النبي ﷺ، فقال الله تعالى: [وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] (1).

إن من مكانة النبي ﷺ عند الله، أن الله تعالى اختار أهل بيته خاصة -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، وزكاهم وأبعد عنهم الأذى والسوء والشر وطهّر نفوسهم غاية الطهارة(2).

ولقد استدلت الشيعة على جزء من هذه الآية على عصمة الأئمة، وأطلقت عليه آية التطهير، وهي قوله تعالى: [... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] .

ويرى الشيعة أنه لا صلة للآية بما قبلها ولا بما بعدها، وإنما التطهير خاص بالنبي ﷺ، والسيدة فاطمة الزهراء، على،وبنيهما الحسن والحسين، رضي الله تعالى عنهم جميعاً، وأنه يدل على عصمتهم، ومن ثم يستدلون به على مذهبهم في الإمامة، وقد ذهبوا إلى أن المراد بأهل البيت هم هؤلاء الخمسة فقط(3).

وسأقوم باستعراض أدلة الشيعة، والرد عليها.

أولاً: أدلة الشيعة.

وقد ذهبوا إلى أن المراد بأهل البيت هم هؤلاء الخمسة فقط مستدلين بشيئين:

الأول: الخطاب في قوله تعالى [... عَنْكُمُ...] ، [... يُطَهِّرَكُمْ...] ، بالجمع المذكر يدل - كما يقولون -على أن الآية الشريفة في حق غير زوجات رسول الله ﷺ، وإلا فسياق الآيات يقتضى التعبير بخطاب الجمع المؤنث؛ أي " عنكن " و " يطهركن " فالعدول عنهما إلى الخطاب بالجمع المذكر، يشهد بأن المراد من أهل البيت غير الزوجات(4).

---

(1) سورة الأحزاب: ٣٣.

(2) انظر: مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، عبد الله الخطيب،٢٢٢/٦.مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٣) انظر: مع الشيعة الاثنى عشرية في الأصول والفروع، علي السالوس، ٧٢/١، دار التقوى للنشر والتوزيع، دار الثقافة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٤) المرجع السابق،٧٣/١.

قال الطبرسي[١]: " واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة، بأن قالوا: إن لفظة (إنما) محققة لما أثبت بعدها نافية لما لم يُثبت، فإن قول القائل: إنما لك عندي درهم، وإنما في الدار زيد يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد، وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأول؛ لأن الله تعالى قد أراد في كل مكلف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق؛ ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجردة، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية غير مقطوع على عصمته، فثبت أن هذه الآية مختصة بها لبطلان تعلقها بغيرها، ومتى قيل إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج، فالقول فيه: أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه والقرآن من ذلك مملوء"[٢].

الثانى: أخبار تدل على أنها في الخمسة الأطهار[٣].

ومن هذه الأخبار حديث الكساء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال:** [... إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا])[٤].

ثانياً: الرد على استدلالهم.

١. سياق الآية يدل على خلاف رأيهم، "والظاهر من ملاحظة سياق الآية وسباقها، إنما هو هذا لأن أولها [يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ....] [٥]إلى قوله [... وَالحِكْمَةِ ...] خطاب للأزواج المطهرات، وأمر ونهي لهن فذكر حال الآخرين بجملة معترضة بلا قرينة ولا رعاية

---

(١) الطبرسي: هو الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، أمين الدين، أبو علي(٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م) مفسر محقق لغوي. من أجلاء الأمامية. نسبته إلى طبرستان، توفي في سبزوار، ونقل إلى المشهد الرضوي. الأعلام، ١٤٨/٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن حسن الطبرسي، ١٣٩/٥، منشورات دار مكتبة الحياة، بدون رقم وسنة طبعة.

(٣) انظر: مع الشيعة الاثنى عشرية، ص٧٣.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبيﷺ ، حديث رقم(٢٤٢٤)، ص٩٨٦.

(٥) سورة الأحزاب:٣٢

نكتة، ومن غير تنبيه على انقطاع كلام سابق، وافتتاح كلام جديد، مخالف لوظيفة البلاغة التي هي أقصى الغاية في كلام الله تعالى، فينبغي أن يعتقد تنزهه عن تلك المخالفة"(١).

٢. أما قولهم أن الخطاب في قوله تعالى [... عَنْكُمُ...] ، [... يُطَهِّرَكُمْ...] ،بالجمع المذكر يدل على أن الآية الشريفة في حق غير زوجات رسول الله ﷺ، فنرد عليهم أنه بالرجوع إلى كتاب الله تعالى نجد قوله: [قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ] (٢)وهذا خطاب لامرأة إبراهيم ﷺ.

وقوله تعالى: [فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ] (٣)ومعلوم أن موسى سار بزوجته ابنة شعيب، وقوله تعالى : [وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ] (٤) ، وقوله: [...إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ] (٥)،وقوله تعالى: [... وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ] (٦) .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تبين أن الاستعمال القرآني لا يمنع أن يكون المراد بأهل البيت في الآية الكريمة نساء النبي مع الخطاب بالجمع المذكر، بل إن المذكر هو الذي يتمشى مع هذا الاستعمال، فلم أجد التعبير بالمؤنث مع كلمة الأهل - سواء أريد بها الزوجات أم غيرهن - في القرآن الكريم كله، كما أن المعنى اللغوي للأهل لا يخرج الزوجات(٧).

٣.وبالنسبة لحديث الكساء، ونحن لا ندري ما علاقة هذا الحديث بإخراج أمهات المؤمنين من الآية !.

غاية ما فيه إدخال مجموعة من أقرباء النبي ﷺ، الذين لم يكونوا يساكنونه في بيته في حكم الآية، وليس فيه قصر المعنى عليهم وحدهم أو إخراج غيرهم منه، إذ ليس من شرط دخول

(١) مختصر التُحفة الاثنى عشرية، شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصار: السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص١٤٩، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، بدون رقم طبعة، ١٤٠٤هـ.

(٢) سورة هود:٧٣.

(٣) سورة القصص:٢٩.

(٤) سورة القصص:١٢.

(٥) سورة العنكبوت:٣٣.

(٦) سورة يوسف:٢٩.

(٧) انظر: مع الشيعة الاثنى عشرية ، ص٧٣-٧٤.

هؤلاء خروج أولئك، ورحمة الله وسعت كل شيء، فلن تضيق بأحد من أجل أحد ، إن قول القائل مشيراً إلى أربعة من أصدقائه " إن هؤلاء هم أصدقائي " لا يعني قصر الصداقة عليهم، ولو كان لأحدهم عشرة إخوة فأشار إلى ثلاثة منهم كانوا معه، فقال معرفاً بهم: " إن هؤلاء إخوتي " لم يدل قوله بلفظ هذا على عدم وجود إخوة آخرين له، إلا إذا لم يكن له في الواقع غيرهم ، فالقرينة التي تحدد معنى اللفظ سِعة وضيقاً هي واقع الأمر ذاته، أما اللفظ لغة فلا ينفي ولا يثبت، وأهل بيت النبي ﷺ في الواقع كثيرون فبأي حجة نقتصر باللفظ على بعضهم دون بعض ؟! .

وهذا يرد في القرآن كثيراً كقوله تعالى : [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ...] [1]، أي ذلك الدين القيم وليس الدين القيم مقصوراً على عدة الشهور وكون أربعة منها حرماً فقط[2] .

الخلاصة:

وآل البيت هم على الراجح عند أهل السنة والجماعة: أولاده ﷺ وأزواجه[3]، وعلي والحسن والحسين منهم، وكذلك بنو أعمامه: العباس وأبو طالب [4][5].

ولقد أخرج الشيعة أزواج النبي ﷺ من آل البيت، وهذا لا دليل له بل هو باطل لان سياق الآيات يؤيد دخول الزوجات في أهل البيت لأنها نزلت تخاطب نساء النبي ﷺ ومما يدل على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين، في آل بيته روايات عديدة في كتب السنة منها:

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: جئت أريد علياً رضي الله عنه فلم أجده، فقالت فاطمة رضي الله عنها: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فاجلس، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما،

---

(1) سورة التوبة:٣٦.

(2) انظر: آية التطهير و علاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني، ص١٩-٢٠، دار الإيمان، بدون رقم طبعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(3) قال ابن عباس رضي الله عنهما إن هذه الآية نزلت في نساء النبي خاصة، وقال عكرمة رضي الله عنه : من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم ابن منظور، ١٧٧/٣، دار الفكر، ط١٤٠٨،١هـ/١٩٨٨م.

(4) أخرج مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أذكركم الله في أهل بيتي، فقيل لزيد رضي الله عنه : ومن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. ، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ، حديث رقم(٢٤٠٨)، ص٩٨٠.

(5) انظر: مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، ٢٢٢/٦.

قال: (**فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لف عليهم ثوبه وأنا شاهد فقال:** [...إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا])[١]،وتدل آية تزكية آل البيت على أن محبة آل البيت فرض على كل مسلم ومسلمة، ويؤيد هذا قول الله تعالى: [... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ)] [٢][٣].

ونخرج من هذا بأن آية التطهير في نساء النبي وغيرهم من أهل البيت كما بين الرسول ﷺ، ولكن إذا كان لأحد أن يتكلم في شمولها لأمهات المؤمنين فليس هناك دليل على الإطلاق يخرج باقي قرابة رسول الله ﷺ، فأي دليل يمنع شمولها لباقى بنات النبي ؟ ومفارقتهن للحياة قبل نزول الآية لا يعنى عدم إرادة تطهيرهن في حياتهن، وما الذي يمنع دخول باقي ذرية الإمام على ؟ وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس ؟

وعلى القول بأنها منحصرة في الخمسة كيف تتعداهم إلى غيرهم من باقي الأئمة الاثنى عشر؟ ولماذا لم تشمل أئمة الزيدية مثلاً أو الإسماعيلية أو باقي فرق الشيعة التي جاوزت السبعين ؟[٤].

و أهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، وأهل البيت هم آل النبي ﷺ الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم: آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ وبناته من أهل بيته، كما قال تعالى: [...إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] ، فأهل السنة يحبونهم ويحترمونهم ويكرمونهم لأن ذلك من احترام النبي ﷺ وإكرامه، ولأن الله ورسوله قد أمرا بذلك قال تعالى: [...قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى...] [٥]، وذلك إذا كانوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم؛ كالعباس وبنيه،وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين، فإنه لا تجوز محبته ولو كان من أهل البيت[٦].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٤٥١/٢ ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة الشورى: ٢٣

(٣) انظر: مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، ٢٢٢/٦.

(٤) انظر: مع الشيعة الاثنى عشرية، ص٨٧.

(٥) سورة الشورى: ٢٣.

(٦) انظر: شرح العقيدة الواسطية ،لمجموعة من العلماء،١١٠١-١١٠٢.

الفصل الثالث

الغيبيات في سورة الأحزاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الملائكة.

المبحث الثاني: اليوم الآخر.

المبحث الثالث: القضاء والقدر.

المبحث الأول

الملائكة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالملائكة .

المطلب الثاني: ذكر بعض أعمال الملائكة.

المطلب الأول: التعريف بالملائكة .

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، والملائكة هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام، الكرام خلقاً، والكرام على الله تعالى البررة، الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً المطيعين لله ﷻ، وهم عباد من عباد الله ﷻ خلقهم الله تعالى من النور؛ لعبادته ليسوا بنات، ولا أولاداً، ولا شركاء معه، ولا أنداداً تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً[(١)].

أولاً: الملائكة لغة:

"والملك واحد، الملائكة أصله مألك من الألوكة، ثم تصرفوا في لفظه لتخفيفه، فقالوا ملأك ثم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة، فقالوا ملك ملائك وملائكة"[(٢)].

ثانياً: الملائكة اصطلاحاً:

تنوعت عبارة العلماء في تعريف الملائكة في الاصطلاح، منها:

١."وهم نوع من خلق الله ﷻ، أسكنهم سماواته، ووكلهم بشئون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون"[(٣)].

٢.وهم" أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها في السماوات"[(٤)].

٣."وهم عالم من عالم الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، خلقهم الله تعالى من النور؛ لعبادته وتنفيذ أوامره في مخلوقاته"[(٥)].

---

(١) انظر: معارج القبول، ٢/ ٦٥٩.

(٢) المعجم الوسيط، ٢٤/١.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، ص٦٢، دار الهداية، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ٣٦٦/٦-٣٦٧، دار المعرفة، بدون رقم وسنة طبعة.

(٥) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الفوزان، ص٢٧، دار العاصمة، بدون رقم وسنة طبعة.

ثالثاً: تعريف الإيمان بالملائكة:

هو التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور وإنهم كما وصفهم الله عباد مكرمون يسبحون الليل لا يفترون وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها(١).

"وهو الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله مربوبون مسخرون و [... بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ] (٢)، [لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ] (٣)، [...لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] (٤)، [... لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ] (٥)، [يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ] (٦)، ولا يسأمون ولا يستحسرون"(٧).

رابعاً: كيفية الإيمان بالملائكة:

"والإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ(٨):

الأول: التصديق بوجودهم.

الثاني: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه، والموت جائز عليهم، ولكن الله تعالى جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده، ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

الثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة

---

(١) انظر: مختصر الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، ص١٧، بدون ناشر، ط١٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢) سورة الأنبياء:٢٦.

(٣) سورة الأنبياء:٢٧.

(٤) سورة التَّحريم:٦.

(٥) سورة الأنبياء:١٩.

(٦) سورة الأنبياء:٢٠.

(٧) أعلام السنة المنشورة، ص٨٥.

(٨) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، ٢٩٦/١، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، ص١٣، مكتبة القرآن، ١٩٩٠م.

الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره"[١].

خامساً: مادة خلقهم.

لقد بين النبي ﷺ المادة التي خلق الله منها الملائكة وهي النور، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**)[٢].

ولم يبين لنا رسول الله ﷺ أي نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد ؛ لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث[٣].

المطلب الثاني: ذكر بعض أعمال الملائكة.

أوكل الله ﷻ إلي الملائكة أعمالاً يقومون بها وينفذونها في مخلوقاته، منهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بالقطر والنبات، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور، ومنهم الموكل بحفظ أعمال بني آدم، ومنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالأجنّة في بطون الحوامل، كما في حديث ابن مسعود **(ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)**[٤].

فهم موكلون بأعمال يقومون بها، كما أمر الله تعالى بها: [لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ] [٥]، [يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ] [٦].

فهم يعبدون الله عبادة متواصلة، ومع ذلك يقومون بما أوكل إليهم من تنفيذ الأوامر في المخلوقات، ولهم مهام عظيمة، وخلقتهم لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، تختلف عن خلقة بني

(١) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، ٢٩٦/١، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور، ص١٣، مكتبة القرآن، ١٩٩٠م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم (٢٩٩٦)، ص١١٩٩.

(٣) عالم الملائكة الأبرار، ص٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، حديث رقم(٧٤٥٤)، ١٣٥/٩.

(٥) سورة الأنبياء:٢٧.

(٦) سورة الأنبياء:٢٠.

آدم [... جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ...] (١)، ولبعضهم أكثر من ذلك [...يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ...] .

فجبريل عليه السلام له ستمائة جناح، كل جناح منها سد الأفق، فلا يعلم خلقتها ولا كيفيتها إلا الله.

أما البشر فلا يستطيعون رؤية الملك على صورته، وإنما يأتي الملك في صورة إنسان كما كان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ في صورة إنسان، ويجلس إليه ويكلمه، ولم يره النبي ﷺ على صورته الملكية إلا مرتين، مرة وهو في بطحاء مكة رآه في الأفق، ومرة عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، وما عدا هاتين المرتين فإن جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة إنسان، وكثيراً ما يأتي في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه (٢).

ولقد دلت سورة الأحزاب على أن لله ملائكة أسند إليهم بعض المهام منها.

أولاً: مساعدة المؤمنين في قتال الكفار.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (٣).

وقال تعالى: [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] (٤).

وفي الآية الأولى: [... وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا...] بعث الله تعالى عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد،وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر، حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إلي فإذا اجتمعوا قال لهم: النجاء النجاء، لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب، والجنود والملائكة ولم تقاتل يومئذٍ(٥).

---

(١) سورة فاطر:١.

(٢) انظر: التعليقات المختصرة، ص١٢٨.

(٣) سورة الأحزاب:٩.

(٤) سورة الأحزاب:٢٥.

(٥) انظر:الجامع لأحكام القرآن، ١٠٧/١٤.

وفي الآية الثانية: " [َ... وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَال...] بجنود من الملائكة والـــريح التـــي بعثها عليهم"[١].

١. اختلاف العلماء في قتال الملائكة مع النبي ﷺ .

وقد مدّ الله المؤمنين بجنوده من الملائكة عند قتالهم للكفار، في ثلاث غزوات: (بدر - أحـــد – الأحزاب)، ولقد اختلف العلماء في قتال الملائكة مع النبي ﷺ ومع المؤمنين في هذه الغـــزوات الثلاث على عدة أراء هي:

أ.منهم من قال أن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر:

"وقيل: قاتلت يوم بدر، ولم تقاتل يوم الأحزاب، ويوم حنين، وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك أصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصاً؟ قال: من الملائكة. فقال أبـــو جهل: هم غلبونا لا أنتم"[٢].

وفي تفسير ابن كثير: " كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر" [٣].

وقال الشوكاني: "وأخرج ابن أبي شيبة[٤] عن مجاهد قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر"[٥].

ب. ومن العلماء من قال إن قتال الملائكة مع المؤمنين لم يكن محصوراً في غزوة بدر فقط بل قاتلت في أُحد، وفي الخندق ومن الأدلة على ذلك:

يقول الإمام النووي[٦] في شرحه للحديث **(رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام)**[٧]وفي الرواية الأخرى" أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره يقاتلان عنه كأشد القتال" فيه بيان كرامـــة

(١) جامع البيان ، ٦٦٤٢/٨.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريـــا عميران، ٣٧٩/٣، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان ،١٤١٦ هـــ / ١٩٩٦ م

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١١٢/٢.

(٤) ابن أبي شيبة: هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مولاهم، الكوفي، أبو بكر: (١٥٩ - ٢٣٥ هـــ = ٧٧٦ - ٨٤٩ م) حافظ للحديث، له فيه كتب، منها " المسند "و" المصنف في الاحاديث والآثار، انظر الأعلام، ١١٨/٤.

(٥) فتح القدير، الشوكاني، ٤٢٥/٢.

(٦) النووي: هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: (٦٣١ - ٦٧٦ هـــ = ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، انظر الأعلام ، ١٤٩/٨.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قتال جبريل و ميكائيل...، حديث رقم (٢٣٠٦)، ص٩٤٤.

النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه، بإنزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن الملائكة تقاتل، وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب، خلافاً لمن زعم اختصاص، فهذا صريح في الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة، والله أعلم"[١].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق، ووضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال:(**وضعت السلاح فوالله ما وضعته فقال رسول الله ﷺ فأين قال ها هنا وأومأ إلى بني قريظة قالت فخرج إليهم رسول الله ﷺ**)[٢].

ويعلق الإمام العيني على الحديث فيقول:" قوله يوم الخندق هو خندق مدينة رسول الله، حفره الصحابة لما تحزبت عليهم الأحزاب فيوم الخندق هو يوم الأحزاب قال مالك كانت غزوة الخندق في سنة أربع وقيل سنة خمس قوله وقد عصب رأسه أي ركب رأسه الغبار وعلق به كالعصابة وبني قريظة قبيلة من اليهود وفيه قتال الملائكة بالسلاح ومصاحبتهم المجاهدين في سبيل الله تعالى وأنهم في عونهم ما استقاموا فإن خانوا فارقتهم"[٣].

وقد حاربت الملائكة في مواقع أخر؛ ففي غزوة الخندق أرسل الله ملائكته: [... **وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا**...]، والمراد بالجنود التي لم يروها الملائكة[٤].

ولقد استند البعض على أن الملائكة لم تقاتل إلا في غزوة بدر إلى أحاديث منها:

الأول: عن ابن عباس قال: (**كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض، قد أرسلوها إلى ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمر، ولم تقاتل الملائكة في يوم إلا يوم بدر، إنما كانوا يكونون عدداً ومدداً؛ لا يضربون)** [٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، تحقيق: هاني الحاج- عماد البارودي ،٦٨/١٥، المكتبة الوقفية، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الغسل بعد الحرب والغبار،حديث رقم(٢٨١٣)، ٢١/٤.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٥٥/١٤.

(٤) عالم الملائكة الأبرار، ص٧٦.

(٥) المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، حديث رقم(١٢٠٨٥)، ٦٠/٩، مكتبة ابن تيمية، بدون رقم وسنة طبعة، قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً ؛ مسلسل بالعلل، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ٩٠/٩-٩١، دار المعارف، ط١٤١٢،١هـ/ ١٩٩٢م.

الثاني: (لم تقاتل الملائكة مع النبي ﷺ إلا يوم بدر، وكانت فيما سوى ذلك أمداداً، ولم يكن مع النبي ﷺ من الخيل إلا فرسان؛ أحدهما من المقداد بن الأسود، والآخر لأبي مرثد الغنوي)[1].

وهذه أحاديث ضعيفة جداً، لا يعتد بها في مجال إثبات قتال الملائكة أو عدمه.

والذي يرجحه الباحث، أن الملائكة قد شاركت في القتال في غزوة الأحزاب، والدليل قول الله ﷻ: [... وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا...] ، فالجنود يكونوا للقتال، وليس لشيء آخر.

١. فائدة في حكمة قتال الملائكة مع النبي ﷺ.

سُئل السبكي[2] عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ، مع أن جبرئيل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فأجاب بأن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصورة الأسباب، وسنتها التي أجراها الله في عباده، والله سبحانه هو فاعل الجميع.

وقال الزمخشري[3] في قوله تعالى: [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ] [4]، فإن قلت فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق؟

قلت إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبرئيل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة، ولكن الله فضل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار الأنبياء أولي العزم من الرسل، فضلاً عن حبيب النجار وأولاده، من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يؤته أحداً، فمن ذلك انه انزل له جنوداً من السماء، وكأنه أشار بقوله: [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني ، حديث رقم(٩١٢٥)، ٣٨٩/١١. قال الألباني: وهذا إسناد ضعيف جداً، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني،٩٢/٩.

(٢) السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن،(٦٨٣ - ٧٥٦ هـ = ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م) وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. ولد في سبك (من أعمال المنوفيه بمصر) وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيها، انظر الأعلام ، ٣٠٢/٤.

(٣) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ = ١٠٧٥ - ١١٤٤ م) : من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. انظر: الأعلام ، ٧/ ١٧٨.

(٤) سورة يس:٢٨.

السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ] ، إلى إن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك وما كنا نفعله بغيرك[1].

ثانياً: الصلاة:

ولقد دلت سورة الأحزاب على صلاة الملائكة في آيتين:

قال تعالى: [هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] [2].

وقال تعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [3].

أخبرنا الله أن الملائكة تصلي على الرسول ﷺ: [إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...] ، وهم يصلون على المؤمنين أيضاً : [هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا] [4][5].

ومن حق النبي ﷺ الذي شرع الله له على أمته أن يصلوا و يسلموا عليه، فقد قال الله تعالى: [إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] [6].

و قد ورد أن معنى صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، و صلاة الآدميين: الاستغفار، و قد أخبر الله سبحانه في هذه الآية عن منزلة عبده و نبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة و التسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالم العلوي و السفلي[7].

---

(١) الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي،تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون، ٣٥٤/١، مكتبة الأهرام، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) سورة الأحزاب:٤٣.

(٣) سورة الأحزاب:٥٦.

(٤) سورة الأحزاب:٤٣.

(٥) ولقد تحدث الكاتب عن نماذج من الأعمال التي تصلي الملائكة على صاحبها مثل(معلم الناس الخير - الذين ينتظرون صلاة الجماعة- الذين يصلون في الصف الأول- الذين يسدّون الفرج بين الصفوف- الذين يتسحرون - الذين يصلون على النبي ﷺ - الذين يعودون المرضى) انظر: عالم الملائكة الأبرار، ص٦٥-٦٧.

(٦) سورة الأحزاب:٥٦.

(٧) كتاب التوحيد، الفوزان، ص٨٨.

المبحث الثاني

اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر وغيبيته .

المطلب الثاني: النار و خلود أهلها.

المطلب الثالث: أحوال الناس يوم القيامة .

المطلب الأول: التعريف باليوم الآخر وغيبيته .

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ولا يكون المسلم مؤمناً إلا إذا كان على يقين أن هناك يوم يجمع فيه الخلائق للحساب، فإما جنة إما نار.

ومن الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت .

فيؤمن بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه، ثم بعد هذه الفتنة - إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون،وتنشر الدواوين - وهي صحائف الأعمال - فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، كما قال سبحانه وتعالى: [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا(١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا] [(١)]ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقرون بها، والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم .

فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[(٢)].

أولاً: التعريف باليوم الآخر:

هو الاعتقاد الجازم بكل ما أخبر الله عنه في كتابه، أو أخبر عنه رسوله ﷺ في سنته، عن ما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وبعث الناس من قبورهم، وحشرهم،

---

(١) سورة الإسراء:١٣-١٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، صالح الفوزان، ص١٢٧-١٢٨، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٧، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

والعرض وتطاير الصحف، والحساب والميزان والحوض والشفاعة، والصراط، نهايـــة بـــدخول الناس إما إلى الجنة وإما إلى النار[١].

ثانياً: موعد الساعة من الأمور الغيبية:

ولقد دلت السورة على هذا المعنى فقال الله تعالى: [يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا] [٢].

والآية تتحدث عن سؤال الناس عن الساعة، واستعجالهم بها، وشكهم فيها، وجواب عن هــذا السؤال يدع أمرها إلى الله، مع تحذيرهم من قربها، واحتمـــال أن تأخـــذهم علـــى غـــرة أخـــذاً سريعاً[٣].

ولقد صرح القرآن أن وقت وقوع الساعة من خصائص علم الله، ولذا فإنه لم يطلع أحدا على وقت وقوعها، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فقال الله تعـالى: [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] [٤]، وقال فـــي الآيـــة الأخـــرى: [يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا] [٥]، [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا(٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا(٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا] [٦].

وهذه الآيات واضحة الدلالة على أن معرفة الوقت الذي تكون فيه الساعة لا يعرفـــه إلا رب العزة ، وأنها تأتي بغتة ، وأن الرسول ﷺ لا يدري متى هي .

والساعة إحدى مفاتح الغيب الخمسة التي هي من مكنونات علم الله، قال تعالى: [إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [٧].

---

(١) انظر: الإيمان، محمد ياسين، ص٧٠.
(٢) سورة الأحزاب: ٦٣.
(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٨٢/٥.
(٤) سورة الأعراف:١٨٧.
(٥) سورة الأحزاب:٦٣.
(٦) سورة النازعات : ٤٢-٤٤.
(٧) سورة لقمان:٣٤.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: (**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلا هذه الآية** [إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...] [1])[2] [3].

و لا يزال أهل جهنم في رجاء الفرج إلى أن يذبح الموت، فحينئذ يقع منهم الإياس، و تعظم عليهم الحسرة و الحزن، و في الصحيحين، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: (**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة و النار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون و ينظرون، و يقولون : نعم هذا الموت، و يقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون و ينظرون، فيقولون : نعم هذا الموت، قال : فيؤمر به فيذبح، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت، و يا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ:** [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] [4])[5][6].

ويقول تعالى مخبراً لرسولهﷺ : أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك، وأرشده أن يرد علمها إلى الله ﷻ، كما قال له في سورة "الأعراف"، وهي مكية وهذه مدنية، فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها، لكن أخبره أنها قريبة بقوله: [... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا] [7]، كما قال: [اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ] [8]، وقال [اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ] [9]، [أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] [10][11].

والساعة غيب قد اختص به الله سبحانه، ولم يشأ أن يطلع عليه أحداً من خلقه جميعاً، بما فيهم الرسل والملائكة المقربون،وفي حديث حقيقة الإيمان والإسلام: عن عبدالله بن عمر رضي

---

(١) سورة لقمان:٣٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير ، باب قوله [إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...]، حديث رقم(٤٧٧٧)، ١١٥/٦.

(٣) انظر: القيامة الصغرى، عمر الأشقر، ص١١٨-١١٩، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٤) سورة مريم:٣٩.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة مريم، باب قوله تعالى: [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ ...] ، حديث رقم(٤٧٣٠)، ٩٣/٦

(٦) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير عيون، ص٢٠٨، دار المؤيد، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٧) سورة الأحزاب:٦٣.

(٨) سورة القمر:١.

(٩) سورة الأنبياء:١.

(١٠) سورة النحل: ١.

(١١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٥٠٥/٦.

الله عنهما قال: (**حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه؛ وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام .**

فقال : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، « قال: صدقت! فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت! قال: فأخبرني عن الإحسان .

قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال : فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل... ثم قال رسول الله ﷺ فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم) (١).

فالمسؤول رسول الله ﷺ والسائل جبريل عليه السلام كلاهما لا يعلم علم الساعة؛ [...إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ ...] (٢)، على وجه الاختصاص والتفرد من دون عباد الله .

قدر الله هذا لحكمة يعلمها؛ نلمح طرفاً منها ، في ترك الناس على حذر من أمرها، وفي توقع دائم لها، وفي استعداد مستمر لفجأتها . ذلك لمن أراد الله له الخير، وأودع قلبه التقوى. فأما الذين يغفلون عن الساعة، ولا يعيشون في كل لحظة على أهبة للقائها، فأولئك الذين يختانون أنفسهم ، ولا يقونها من النار .

وقد بين الله لهم وحذرهم وأنذرهم؛ وجعل الساعة غيباً مجهولاً متوقعاً في أية لحظة من لحظات الليل والنهار (٣).

المطلب الثاني: النار وخلود أهلها.

ولقد دلت السورة على خلود النار، فقال الله تعالى: [إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] (٤).

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم(١)، ص٣٦.

(٢) سورة الأحزاب:٦٣.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٨٢/٥.

(٤) سورة الأحزاب:٦٣.

يقول الطبري: " [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...] يقول: ماكثين في السعير أبدًا إلى غير نهاية"[1].

والقرآن دل على خلود النار دلالة قطعية، فانه سبحانه و تعالى اخبر أنه عذاب مقيم، و أنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، و أنهم خالدين فيها أبداً، و ما هم بخارجين منها أي من النار و ما هم منها بمخرجين، و أنهم لا يقضي عليهم فيموتوا و لا يخفف عنهم من عــذابها، و أن عذابها كان غراماً، أي مقيماً لازماً، قالوا: وهذا يفيد القطع بدوامه و استمراره[2].

" [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا...] باقين فيها عهداً طويلاً، لا يعلم مداه إلا الله؛ ولا نهاية له إلا في علم الله، حيث يشاء الله، وهم مجردون من كل عون، محرومون من كل نصير، فلا أمــل فــي الخلاص من هذا السعير، بمعونة من ولي ولا نصير "[3].

أولاً: قول العلماء بخلود النار.

و قال الطحاوي في عقيدته: " والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان ولا تبيدان "[4].

قال تعالى: [...وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] [5]الخلود في اللغة: طول المكث، ومن كلامهم خلد في السجن كما في الأساس، وفي الشرع : الدوام الأبدي ، أي لا يخرجون منها ولا هي تفنى بهم فيزولــوا بزوالها ، وإنما هي حياة أبدية لا نهاية لها[6].

وقال ابن حزم: "اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنــار ولا لعذابها"[7].

قال ابن تيمية: "وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة، على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقــات

(١) جامع البيان ، ٦٧٠٦/٨.
(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، ٧٤٥/٢ ،دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨م.
(٣) في ظلال القرآن، ٢٨٨٣/٥.
(٤) شرح الطحاوية، ص٣٥٢.
(٥) سورة الأحزاب:٦٣.
(٦) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ٢٣٤/١، دار المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.
(٧) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: محمد نصر -عبد الرحمن عميرة، ٦٩/٤، دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين؛ كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهـذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها"(١).

وقال ابن القيم: "وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال، والأعمال والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه، كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض ثم يجعله في جهنم، مع أهله فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث، وطيب دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم، أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض"(٢).

وقال السفاريني: " فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما هو فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، ودليل ذلك الكتاب والسنة، وزعمت الجهمية أن الجنة والنار يفنيان، وقال هذا إمامهم جهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له في ذلك سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الدين، ولا قال به أحد من أهل السنة"(٣).

ثانياً: الأدلة من السنة بخلود النار.

ولقد ذكرت الأحاديث خلود أهل النار فيها ومنها:

١. عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ :(**إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ثم ينادي مناد، يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم**)(٤).

٢. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (**يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، زاد أبو كريب فيوقف بين الجنة والنار، واتفقا في باقي الحديث، فيقال يا أهل الجنة، هل تعرفون**

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٠٧/١٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٤٢-٤٣.

(٣) لوامع الأنوار البهية، ٢٣٤/٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم(٦٥٤٨)، ١١٣/٨.

هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم، هذا الموت، قال: ويقال يا أهل النار هــل تعرفــون هذا قال فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال: ثــم قــرأ رســول الله ﷺ [وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] (١) وأشار بيده إلى الدنيا) (٢).

هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل النار فيها لا إلى غايــة، و لا إلــى أمــد مقيمين على الدوام، و السرمد من غير موت، ولا حياة، ولا راحة، ولا نجاة، بل كما قــال فــي كتابه الكريم و أوضح فيه من عذاب الكافرين [وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ] (٣)إلى قولــه [...مِنْ نَصِيرٍ] و قــال [... كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ...] (٤)و قال [... فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ(١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ(٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ(٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ] (٥)، و قد تقدمت هذه المعاني كلها .

فمن قال: إنهم يخرجون منها و أن النار تبقى خالية، و بجملتها خاوية على عروشــها، و أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المعقول، و مخالف لما جاء به الرسول، و مــا أجمــع عليه أهل السنة و الأئمة العدول(٦).

المطلب الثالث: أحوال الناس يوم القيامة .

أولاً: العذاب الذي يصيب الكفار.

ولقد دلت السورة على مشهد من مشاهد عذاب الكفار في النار، فقال الله تعالى: [يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ...] (٧).

وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا] (٨).

---

(١) سورة مريم:٣٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، حديث رقم(٢٨٤٩)، ص١١٤٣.
(٣) سورة فاطر:٣٦ .
(٤) سورة النساء:٥٦ .
(٥) سورة الحج: ١٩-٢٢.
(٦) انظر: التذكرة للقرطبي، تحقيق: الصادق بن إبراهيم، ص٩٢٦، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ
(٧) سورة الأحزاب: ٦٦.
(٨) سورة الأحزاب:٥٧.

وفي الآية الأولى: انظر إلى هذا المنظر، الذي تقشعر لهوله الأبدان: [يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ...] [1]، أرأيت كيف يقلب اللحم على النار، والسمك في المقلى، كذلك تقلب وجوههم في النار، نعوذ بالله من عذاب أهل النار[2].

ويعرض السياق مشهداً من مشاهد الساعة، لا يسر المستعجلين بها ، يوم تقلب وجوههم في النار، ويوم يندمون على عدم طاعة الله ورسوله، ويوم يطلبون لسادتهم وكبرائهم ضعفين من العذاب، وهو مشهد مفجع لا يستعجل به مستعجل.

والنار تغشاهم من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها، والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال! [3].

ويقول القرطبي: "معنى تقلب السعير وجوههم، وهذا التقليب تغيير ألوانهم، بلفح النار فتسود مرة وتخضر أخرى، وإذا بدلت جلودهم بجلود أخر، فحينئذ يتمنون أنهم ما كفروا [يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا...] ويجوز أن يكون المعنى: يقولون يوم تقلب وجوههم في النار، يا ليتنا [...أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا] أي لم نكفر فننجو من هذا العذاب كما نجا المؤمنون"[4].

أما الآية الثانية: [... مُهِينًا] مأخوذ من الهوان وهو ما اقتضى الخلود في النار دائماً بخلاف خلود العصاة من المسلمين فإن ذلك تمحيص لهم وتطهير كرجم الزاني وقطع يد السارق[5].

"وعذاب الكفار في النار لا يفتر عنهم، ولا ينقطع، ولا يخفف بل هو متواصل أبداً، قال الله ﷻ : [إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ(٧٥)] [6]" [7].

والعذاب المهين: هو عذاب جهنم في الآخرة، وهو مهين لأنه عذاب مشوب بتحقير وخزي[8]، والمهين المذل أي فيه كيفية احتقارهم[9].

ثانياً: الندم على طاعة كبراء القوم في معصية الله ﷻ .

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٢) انظر:الجنة والنار، عمر الأشقر، ص٩٥، دار النفائس، بدون رقم طبعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٣) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٨٣/٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٨٤/١٤.

(٥) المرجع السابق، ٣٠/٢.

(٦) سورة الزُّخرف: ٧٤-٧٥.

(٧) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ص١٩٤.

(٨) التحرير والتنوير، ١٠٤/٢٢.

(٩) المرجع السابق، ٦٠٦/١.

ولقد دلت السورة على هذا الندم، فقال الله تعالى:

[إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا(٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا(٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا(٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا(٦٧) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا] [١].

فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها، وترك إتباع الحق الذي يجب إتباعه: فهذا هو المقلد المذموم، وهذه حال اليهود والنصارى؛ بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق؛ كما قال تعالى: [يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا] [٢] [٣].

ومن مقولات الكفار يوم القيامة [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا] وهذا اعتراف منهم بضلالهم وتحديد لمن أضلهم وهم سادتهم وكبرائهم، ومن مقولاتهم ضد من أضلوهم [رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا]، وكل تلك المقولات منهم عند تحليها وتدبر محتواها، هي ندم على ما كان منهم من كفر، وهؤلاء يوم القيامة تتجلى أمامهم الحقائق، وينكشف يومئذٍ ما كان خافياً عنهم، وما كان ضلالهم وشياطينهم من الإنس والجن يحلون بينهم وبين رؤيته.

وعندئذٍ يعرفون أن الذين ضللوهم وأساءوا إليهم هم كبراؤهم، وسادتهم ومشايخهم ورؤساؤهم وعلماؤهم، وأن هؤلاء السادة الكبراء كانوا يتحدون الله ورسوله، ويزينون لهم هذا التحدي وهذا الكفر، يتكشف لهم كل ذلك، فيتبادلون التهم ويتخاصمون[٤].

الكفار في هذه الآيات يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا، ممن أطاع الله وأطاع الرسول، كما أخبر الله عنهم في حال العرصات، بقوله: [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا] [٥]، وقال تعالى: [رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ] [٦]، وهكذا

(١) سورة الأحزاب: ٦٤-٦٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/١٩٧.

(٤) انظر: التربية الإسلامية في سورة الأحزاب، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٥) سورة الفرقان: ٢٧-٢٩.

(٦) سورة الحجر:٢.

أخبر عنهم في حالتهم هذه، أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله، وأطاعوا الرسول في الدنيا، [وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا] . وسادتنا: يعني الأشراف، وكبراءنا: يعني العلماء، أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء(١).

ولما علموا أنهم هم وكبراءهم مستحقون للعقاب، أرادوا أن يشتفوا ممن أضلوهم، فقالوا: [رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا] ، فيقول اللّه لكل ضعف، فكلكم اشتركتم في الكفر والمعاصي، فتشتركون في العقاب، وإن تفاوت عذاب بعضكم على بعض بحسب تفاوت الجرم(٢).

وهم في هذا التمني كاذبون، بل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون، كما أخبر اللّه تعالى عنهم، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين من كلا الفريقين : العابدين والمعبودين، ويظهر اللّه لهم أعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها ، فوجبت لهم النار، وأضيفت هذه الأعمال إليهم من حيث إنهم مأمورون بها، وأما إضافة الأعمال الفاسدة إليهم فمن حيث عملوها،وقوله: [... وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ] (٣)دليل على خلود الكفار فيها، وأنهم لا يخرجون منها، كقوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ] (٤)(٥).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٥٠٥/٦.

(٢) انظر:تيسير الكريم الرحمن، ص٦١٩.

(٣) سورة المائدة:٣٧.

(٤) سورة الأعراف:٤٠.

(٥) انظر: التفسير المنير، ١١٦/٢٢.

المبحث الثالث

القضاء والقدر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر.

المطلب الثالث: الهداية.

المطلب الرابع: الأخذ بالأسباب .

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر.

والإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان الستة، كما جاء في حديث جبريل عندما سأل رسول الله ﷺ "ما الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله، قال: صدقت .." [(١)].

رُوي عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[(٢)].

قال الإمام النووي رحمه الله: "تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد، من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى"[(٣)].

ولقد دلت السورة على الإيمان بالقضاء والقدر، فقال الله تعالى: [...وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] [(٤)]، وقال تعالى: [... وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا] [(٥)].

ولقد سمى البخاري باباً في صحيحه بهذه الآية: قال البخاري رحمه الله تعالى باب [...وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] [(٦)].

أولاً: تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً:

١. القضاء لغةً:

القضاء أصله القطع والفصل، يقال قضى يقضي قضاء فهو قاض، إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق، وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أدي أداء أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي، فقد قضي ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقدر التقدير

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، حديث رقم(١٠)، ص٣٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ، (٢٧٤٩٠)، ٤٨٢/٤٥، وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح، رجاله ثقات على ضعف هشام، ولكنه قد توبع، ولحديثه شواهد ،انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد الألباني، ص١٢٤، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي،،١٥٥/٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٨.

(٥) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب القدر، ١٢٣/٨.

وبالقضاء الخلق، كقوله تعالى: [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ...] [1]، أي خلقهن فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء[2].

٢. القضاء اصطلاحاً:

"إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال"[3].

وقال العلماء: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيل[4].

ثانياً: القدر لغةً واصطلاحاً:

١. القدر لغةً:

القدر القضاء الموفق، يقال: قدر الإله كذا تقديراً، وإذا وافق الشيء الشيء[5].

"والقدر مصدر تقول قدرت الشيء، بتخفيف الدال وفتحها، أقدره بالكسر والفتح قدراً وقدراً، إذا أحطت بمقداره، والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء، وأزمانها قبل إيجادها"[6].

والقدر "بتحريك الدال وتسكن، مصدر قدرت الشيء بفتح الدال، مخففة؛ إذا أحطت بمقداره، و " أل " فيه وفي القضاء عوض عن مضاف إليه، أي بتقدير الله تعالى لذلك"[7].

٢. القدر اصطلاحاً:

والمراد به في لسان الشرع أن الله ﷻ علم مقادير الأشياء، وأزمانها أزلاً، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها[8].

---

(١) سورة فصّلت:١٢.
(٢) انظر: لسان العرب، ٢٠٩/١١.
(٣) لوامع الأنوار البهية، ٣٤٥/١.
(٤) انظر: فتح الباري ، ابن حجر،٤٧٧/١١.
(٥) انظر: لسان العرب، ٥٥/١١.
(٦) فتح الباري ، ابن حجر، ١١٨/١.
(٧) لوامع الأنوار البهية، ٣٤٥/١.
(٨) انظر: شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس، ص٦٥.

قال ابن حجر: "والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"(١).

والإيمان بالقدر:" أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ذلك كله فضل من الله ﷻ (٢).

ثالثاً: القضاء والقدر اصطلاحاً.

قال النووي رحمه الله تعالى: "واعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"(٣).

المطلب الثاني: مراتب القضاء والقدر.

ولقد دلت سورة الأحزاب على مراتب القدر الأربع، التي من لم يؤمن بها لم يتحقق له الإيمان بالقضاء والقدر،و المراتب الأربع هي(٤):

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة: مشيئته لها .

المرتبة الرابعة: خلقه لها.

أولاً: المرتبة الأولى: العلم.

وهو" الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار"(٥).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١١٨/١.

(٢) أُصُول السُنَّة، عبد الله بن الزبير الحُميديُّ، تحقيق: مشعل الحداري، ص٣٦، دار ابن الأثير، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي،١٥٥/١.

(٤) انظر: شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مصطفى الشلبي، ٩١/١، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م.

(٥) أعلام السنة المنشورة، ص١٤٨-١٤٩.

ولقد دلت السورة على مرتبة العلم آيات منها:

قال تعالى: [قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا] (١).

قال تعالى: [...قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٢).

قال تعالى: [... وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] (٣).

أما في الآية الأولى: كان من المنافقين من يرجع من الخندق فيدخل المدينة فإذا جاءهم أحد قالوا له: ويحك اجلس فلا تخرج، ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر : أن ائتونا بالمدينة فإنا ننتظركم، يثبطونهم عن القتال، وكانوا لا يأتون العسكر إلا ألا يجدوا بداً .

فيأتون العسكر ليرى الناس وجوههم، فإذا غفل عنهم عادوا إلى المدينة، فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ، فقال : أنت ههنا ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف ؟ فقال: هلم إلي فقد أحيط بك وبصاحبك (٤).

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن إحاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم [...هَلُمَّ إِلَيْنَا...] أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار "(٥).

فالله ينبئ رسوله بكم بأن فِعْل أولئك تعويق للمؤمنين، وقد جعل هذا الاستئناف تخلصاً لذكر فريق آخر مِن المعوّقين(٦).

"والمعنى: إن اللّه ليعلم علما محيطا شاملا الذين يثبطون المسلمين عن شهود الحرب، تخذيلاً ونفاقاً، ويعلم القائلين لأصحابهم وخلطائهم من أهل المدينة: تعالوا إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وقرّبوا أنفسكم إلينا، واتركوا محمدا والحرب معه"(٧).

---

(١) سورة الأحزاب: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٥١.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٨/٢٥٠-٢٥١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٦/٤١٥.

(٦) انظر:التحرير والتنوير، ٢١/٢٩٣.

(٧) التفسير المنير،٢١/٢٧٠.

أما الآية الثانية: " [قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ...] أي: قد علمنا ما على المؤمنين، وما يحل لهم، وما لا يحل، من الزوجات وملك اليمين. وقد علمناهم بذلك، وبينا فرائضه"(١).

قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة، إلا بولي عصبة وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع(٢).

أما الآية الثالثة: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة، يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة [...وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا] وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها (٣).

الله يعلم ما في قلوبكم وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا، تنبيهاً منه لنا على أنه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا إلى بعض من عندنا من النساء دون بعض، وهو العالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم السر وأخفى لكنه سمح في ذلك إذ لا يستطيع العبد أن يصرف قلبه عن ذلك الميل أي: من الميل إلى بعضهن دون بعض، مما لا يمكن دفعه(٤).

والآيات السابقة دلت دلالة واضحة على هذه المرتبة، وهي العلم السابق، فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم، واتفق عليه جميع الصحابة، ومن تبعهم من الأمة، وخالفهم مجوس الأمة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونه (٥).

ثانياً: المرتبة الثانية: الكتابة.

وهو الإيمان بأن الله تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وفي ضمن ذلك الإيمان باللوح والقلم(٦).

ولقد دلت السورة على مرتبة الكتابة في آية هي:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٦١٦.

(٢) انظر: جامع البيان، ٦٦٧٨/٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٦٦٨٣/٨.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٦٦/٦.

(٥) انظر: شفاء العليل، ٩١/١.

(٦) انظر: أعلام السنة المنشورة، ص١٤٩.

قال تعالى: [النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُورًا] (١).

وهذا الحكم، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول، الذي لا يبدل، ولا يغير.

وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي(٢).

"قد سطر الله ﷻ هذا الأمر، وكتب، وقدره اللّه، فلا بد من نفوذه"(٣).

يقول الإمام ابن القيم في هذه المرتبة: "وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله، وكلامه، فتبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب" (٤).

ثالثاً: المرتبة الثالثة: المشيئة.

وهي"الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن؛ فما شاء الله تعالى فهو كائن بقدرته لا محالة وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله إياه لا لعدم قدرة الله علي، تعالى الله عن ذلك وعز وجل: [...وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا] (٥)"(٦).

ولقد دلت السورة على مرتبة المشيئة:

قال تعالى: [لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا] (٧).

---

(١) سورة الأحزاب: ٦.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٠٦/٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٠٧.
(٤) شفاء العليل، ٩٥/١.
(٥) سورة فاطر:٤٤.
(٦) أعلام السنة المنشورة ، ص١٤٩.
(٧) سورة الأحزاب: ٢٤.

"أي فيهديهم إذا شاء إلى الإيمان ويشرح له صدورهم" (١).

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق، ومنافق، فقال : [لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ...] والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر، وأخبر سبحانه أنه فى يوم القيامة، لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه (٢).

" [...وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ...] وهم الناقضون لعهد الله، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان"(٣).

"وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال، نفاة المشيئة بالكلية، ونفاة مشيئة أفعال العباد، وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته، وتارة إن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع، وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره، وكتبه وأنه لو شاء ما عصى، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى، وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين، وكونه القائم بتدبير عباده، فلا خلق، ولا رزق، ولا عطاء، ولا منع، ولا قبض، ولا بسط، ولا موت، ولا حياة، ولا إضلال، ولا هدى، ولا سعادة، ولا شقاوة، إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه، إذ لا مالك غيره، ولا مدبر سواه ولا رب غيره"(٤).

رابعاً المرتبة الرابعة: الخلق.

وهو" الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه ما من ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما إلا والله خالقها وخالق حركاتها وسكناتها سبحانه، لا خالق غيره ولا رب سواه"(٥).

ولقد دلت السورة على مرتبة الخلق:

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٢٤٧/٥،دار الفكر ،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م.

(٢) انظر: مدارج السالكين ، ٢٦٩/٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٢٠/٦.

(٤) شفاء العليل، ١٠٠/١.

(٥) أعلام السنة المنشورة ، ص١٤٩.

قال تعالى: [مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ] (1).

[مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...] جعل بمعنى خلق(2)، فإياكم أن تقولوا عن أحدٍ إن له قلبين في جوفه، فتكونوا كاذبين على الخلقة الإلهية(3).

"والمراد بالجعل المنفي في قوله: [...وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ...] الجعل الخَلْقي أيضاً كالذي في قوله : [مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ...] ، أي: ما خلقهن أمهاتكم إذ لسن كذلك في الواقع ، وذلك كناية عن انتفاء الأثر الشرعي الذي هو من آثار الجعل الخَلْقي لأن الإسلام هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها"(4).

قال ابن تيمية:" فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون؛ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك؛ فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته"(5).

المطلب الثالث: الهداية.

ولقد دلت السورة على الهداية :

فقال تعالى: [**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**] (6).

[**...وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**] أي واللّه هو الذي يقرر الصدق، والعدل، ويقول الواقع، ويرشد إلى السبيل الأقوم الصحيح والطريق المستقيم، فدعوا قولكم، وخذوا بقوله ﷻ(7).

---

(1) سورة الأحزاب: ٤.

(2) التفسير المنير، ٢٣٢/٢١.

(3) انظر:تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٠٦.

(4) التحرير والتنوير، ٢٥٧/٢١.

(5) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، ص٣٩٠، مكتبة الصفاء، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(6) سورة الأحزاب: ٤.

(7) انظر: التفسير المنير،٢٣٦/٢١.

" [...هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ] المستقيم، المتصل بناموس الفطرة الأصيل، الذي لا يغني غناءه سبيل آخر من صنع البشر، يصنعونه بأفواههم، بكلمات لا مدلول لها من الواقع، فتغلبها كلمة الحق والفطرة التي يقولها الله ويهدي بها السبيل"(١).

والحق يرجع إلى الله وعليه طريقه، ومنها أي ومن السبيل ما هو جائر عن الحق، ولو شاء لهداكم أجمعين، فأخبر عن عموم مشيئته، وأن طريق الحق عليه موصلة إليه، فمن سلكها فإليه يصل، ومن عدل عنها فإنه يضل عنه، والمقصود أن هذه الآيات تتضمن عدل الرب تعالى، وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه، وحمده وعدله وإحسانه فهو على صراط مستقيم، في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه، يقول الحق، ويفعل العدل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، فهذا العدل، والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان، وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه(٢).

المطلب الرابع: الأخذ بالأسباب .

ولقد دلت السورة على الأخذ بالأسباب: قال تعالى: [قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا] (٣)(٤) .

ولا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب، التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل، كما يقدح فى الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل، فإن تركها عجزا ينافى التوكل الذى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب؛ وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزاً(٥).

واتفقت جميع الكتب السماوية، والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها، فالله سبحانه وتعالى قدر المقادير وهيأ لها أسبابا وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه

---

(١) في ظلال القرآن، ٢٨٢٥/٥.

(٢) انظر: شفاء العليل، ٨٧/١.

(٣) سورة الأحزاب: ١٦-١٧.

(٤) ولقد تحدثت بالتفصيل عن تفسير هذه الآية، انظر البحث نفسه: ص١٨-٢٠.

(٥) انظر: زاد المعاد، ١٥/٤.

له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها، كان أشد اجتهاداً في فعلها، والقيام بها، وأعظم منه في أسباب معاشه، ومصالح دنياه من كون الحرث سبباً في وجود الزرع، والنكاح سبباً في وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة، والعمل السيء سبب في دخول النار، وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر، ما كنت بأشد اجتهاد مني الآن وقال النبيﷺ:(**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل**)[١][٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، حديث رقم(٢٦٦٤)، ص١٠٦٩.

(٢) انظر: معارج القبول، ٣/٩٥٤-٩٥٥.

الفصل الرابع

أصناف الناس في سورة الأحزاب.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول:المؤمنون.

المبحث الثاني: المنافقون.

المبحث الثالث: الكفار.

المبحث الرابع: اليهود.

المبحث الأول

المؤمنون

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين الإسلام والإيمان.

المطلب الثاني: صفات المؤمنين.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

المطلب الأول: الفرق بين الإسلام والإيمان.

أولاً: تعريف الإسلام لغةً واصطلاحاً:

١. **تعريف الإسلام لغةً:**

"يقال فلان مسلم، وفيه قولان، أحدهما: هو المستسلم لأمر الله، والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، سلم له الشيء أي خلص له، قال الأزهري: فمعناه أنه دخل في باب السلامة حتى يسلم المؤمنون من بوائقه، قال ابن الأثير: يقال أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه في الهلكة ولم يحمه من عدوه، وهو عام في كل من أسلم إلى شيء لكن دخله التخصيص وغلب عليه الإلقاء في الهلكة"(١)، و"(سلم) انقاد ورضي بالحكم"(٢).

٢. **تعريف الإسلام اصطلاحاً:**

قال ابن تيمية: " فالإسلام يتناول من أظهر الإسلام، وليس معه شيء من الإيمان، وهو المنافق المحض، ويتناول من أظهر الإسلام مع التصديق المجمل في الباطن، ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا وهم الفساق يكون في أحدهم شعبة نفاق ويتناول من أتى بالإسلام الواجب وما يلزمه من الإيمان" (٣).

والإسلام هو:" الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك"(٤).

"الانقياد لله بقبول رسوله بالتلفظ بكلمتي الشهادة، والإتيان بالواجبات والانتهاء عن المنكرات"(٥).

ثانياً: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً:

١. **تعريف الإيمان لغةً:**

والإيمان: فهو مصدر: آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن، ولقد اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن " الإيمان " معناه: التَّصديق؛ وقال الله تعالى: [**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ...**] (٦)(٧).

---

(١) لسان العرب، ٣٤٥/٦.

(٢) المعجم الوسيط، ٤٤٦/١.

(٣) مجموع الفتاوى، ٤٢٧/٧.

(٤) أعلام السنة المنشورة ، ص٣٣.

(٥) عمدة القاري، ١٨٣/١.

(٦) سورة الحجرات:١٤.

(٧) انظر: تهذيب اللغة، ٥١٣/١٥.

"والإيمان: التصديق؛ في قوله ﷻ: [...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ..] [١]أي بمصدق"[٢].

٢. تعريف الإيمان اصطلاحاً:

"و الإيمان قول وعمل، إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان"[٣].

وعرفه الإمام ابن القيم" :"هو حقيقة مركبة من معرفة ماجاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان"[٤].

وهو تصديق تام، قائم بالقلب، مستلزم لما وجب من الأعمال القلبية وأعمال الجوارح[٥].

ثالثا: أقوال العلماء في الفرق بين الإسلام والإيمان ودلالة السورة على هذا الفرق:

اختلف العلماء في الإسلام والإيمان، فذهب المحققون إلى أنهما متغايران، وهو الصحيح، وذهب بعض المحدثين والمتكلمين، وجمهور المعتزلة، إلى أن الإيمان هو الإسلام والإسمان مترادفان شرعاً، وقال الخطابي[٦]: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام، ولا يطلق وذلك أن المسلم قد يكون في بعض الأحوال دون بعض، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات، واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها، وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام، والانقياد، فقد يكون المرء مسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون صادقاً بالباطن غير منقاد في الظاهر[٧].

ولقد دلت السورة على التفريق بين الإسلام والإيمان.

---

(١) سورة يوسف:١٧.

(٢) المحيط في اللغة، ٤١٤/١٠.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: نشأت المصري، ٢٩٥/١، المكتبة الاسلامية، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٤) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: طه سعد، ص١٢٩،دار إحياء الكتب العربية، بدون رقم وسنة طبعة.

(٥) انظر: شرح العقيدة السفارينية، محمد مانع، ص١٩٢، أضواء السلف، بدون رقم وسنة طبعة.

(٦) الخطابي: هو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان(٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨م): فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). انظر: الأعلام، ٢٧٣/٢.

(٧) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨٣/١.

وقال تعالى: [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...] (١).

فقوله: [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...] دليل على أن الإيمان غير الإسلام، وهو أخص منه، لقوله تعالى: [قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ...] (٢).

وفي الصحيحين: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...)**(٣)، فيسلبه الإيمان، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين(٤).

وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل، عليه السلام، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه(٥).

وقال ابن تيمية: "ولقد فرق النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، فقالﷺ: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً...)** (٦).

وقال ﷺ: **(الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...)** (٧)" (٨).

وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها فكهذا اسم الإسلام

---

(١) سورة الأحزاب:٣٥.

(٢) سورة الحجرات:١٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، حديث رقم(٢٤٧٥)، ١٣٦/٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٣٩/٦-٤٤٠.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٣٨٩/٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، حديث رقم(١)، ص٣٦.

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان...، حديث رقم(١)، ص٣٦.

(٨) الإيمان، ابن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ص٦، دار الحديث- القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي(١).

كذلك الإسلام والإيمان: إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...] .

وقوله ﷺ:(**اللهم لك أسلمت وبك آمنت...**)(٢)، كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر. وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره ، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا(٣).

المطلب الثاني: صفات المؤمنين.

وقال تعالى: [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا] (٤).

"وهذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة، فهي الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، والتصدق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيراً، ولكل منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة "(٥).

ولقد ذكرت السورة عشر صفات للمؤمنين هي:

١. **الإسلام:**

" [إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...] وهذا في الشرائع الظاهرة، إذا كانوا قائمين بها "(٦).

٢. **الإيمان:**

"والإسلام: الاستسلام، والإيمان التصديق، وبينهما صلة وثيقة، أو أن أحدهما هو الوجه الثاني،

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن محمد، ص٦٠، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب التهجد بالليل ، حديث رقم(١١٢٠)، ٤٨/٢.

(٣) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، ص٢٨٢.

(٤) سورة الأحزاب:٣٥.

(٥) في ظلال القرآن، ٢٨٦٢/٥-٢٨٦٣.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص٦١٢.

فالاستسلام إنما هو مقتضى التصديق، والتصديق الحق ينشأ عنه الاستسلام"[١].

[...وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...] وهذا في الأمور الباطنة، من عقائد القلب وأعماله [٢].

٣. القنوت:

يقول ابن كثير:" القنوت: هو الطاعة في سكون" [٣].

القنوت: "دوام الطاعة، والاستمرار فيها على كل حال؛ فهو مطيع لله، ثابت على طاعته، مديم لها في كل حال" [٤].

والقنوت: الطاعة الناشئة من الإسلام والإيمان، عن رضى داخلي لا عن إكراه خارجي[٥].

" [....وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ...] أي: المطيعين والمطيعات" [٦].

٤. الصدق:

والصدق يفسر بأنه مطابقة القول للعمل، أو مطابقة العمل للقول.

يعني: أن يصدق قوله عمله، وهذا من لوازم الإسلام والإيمان، فالذي يسلم ويؤمن ولكنه لا يصدق لا يقبل منه، فلابد من الصدق، فلذلك وصفهم الله بقوله: [....وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ...]، ولابد من الصبر؛ فإن الذي يسلم ويؤمن يؤمر بالأعمال، فإذا أمر بالأعمال فلابد أن يصبر على الطاعات ولو كان فيها مشقة، ويصبر عن المحرمات ولو نازعته نفسه إليها، فإذا لم يصبر انثلم إيمانه، وانخرمت أوصافه الدينية، فلابد أن يكون متصفاً بهذه الأعمال كلها [٧].

---

(١) في ظلال القرآن،٢٨٦٣/٥.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٤٠/٦.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ٨٧/١، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٥) انظر: في ظلال القرآن، ٢٨٦٣/٥.

(٦) جامع البيان، ٦٦٦٤/٨.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن جبرين، ٤٢٤/٢.

"والصدق: هو الصفة التي يخرج من لا يتصف بها من صفوف الأمة المسلمة لقوله تعالى: [إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللهِ ...] (1) فالكاذب مطرود من الصف، صف هـذه الأمـة الصادقة"(2).

"من حصَل منهم صدق القول وهو ضد الكذب، والصدق كله حسن، والكـذب لا خيـر فيـه إلا لضرورة، وشمل ذلك الوفاءَ بما يُلتزم به من أمور الديانة كالوفاء بالعهد والوفاء بالنذر"(3).

٥. الصبر:

ولقد وصف الله ﷻ المؤمنين في هذه الآية بالصبر.

"والصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله؛ لأن الله تعالى أثنى على أيـوب ﷺ بالصبر، بقوله [....إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا...] (4)"(5).

"الصبر حبس النفس عند الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة، يصبر صـبراً، وصـبرته أنـا حبسته"(6).

هذه سجية الأثبات، وهي الصبر على المصائب، والعلم بأن المقـدور كـائن لا محالـة، وتلقي ذلك بالصبر والثبات(7).

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلم، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب، قـال الله تعالى: [فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...] (8)،فـأمره بالـصبر علـى المـصائب والاستغفار من المعائـب، وقـال تعـالى: [مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ...] (9)، قال ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويـسلم، فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل صبروا لحكم الله وإن كان ذلك بـسبب

(١) سورة النحل:١٠٥.

(٢) في ظلال القرآن،٢٨٦٣/٥.

(٣) التحرير والتنوير، ٢١/٢٢.

(٤) سورة ص:٤٤.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : محمد الداية، ص ٤٤٧، دار الفكـر المعاصر، دار الفكر، ط١، ١٤١٠ هـ.

(٦) لسان العرب، ٢٧٦/٧.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٤٠/٦.

(٨) سورة غافر:٥٥.

(٩) سورة التغابن:١١.

ذنب غيرهم كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك فعليهم أن يصبروا لما أصـابهم وإذا لاموا الأب لحظوظهم ذكر لهم القدر،و" الصبر " واجب باتفاق العلماء(١).

" [...وَالصَّابِرِينَ...] على الشدائد والمصائب"(٢).

ولعظم منزلة الصبر جعل الله لكل شيء جزاءً معلوماً، وأجراً معيناً مقدراً، إلا الصبر فلـم يخصه الله بجزاء معين، وإنما جعل أجره لا يحصى، قال تعالى: [... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ] (٣) (٤).

والصبر: هو الصفة التي لا يستطيع المسلم حمل عقيدته، والقيام بتكاليفها إلا بها .

وهي تحتاج إلى الصبر في كل خطوة من خطواتها، الصبر على شهوات النفس، وعلـى مـشاق الدعوة، وعلى أذى الناس، وعلى التواء النفوس وضعفها، وعلى الابـتلاء والامتحـان والفتنـة، وعلى السراء والضراء، والصبر على كلتيهما شاق عسر(٥).

"والصبر محمود في ذاته لدلالته على قوة العزيمة، ولكن المقصود هنا هو تحمل المـشاق فـي أمور الدين، وتحمُّل المكاره في الذبّ عن الحوزة الإسلامية"(٦).

٦. الخشوع:

والخشوع: هي صفة القلب والجوارح، الدالة على تأثر القلـب بجـلال الله، واستـشعار هيبته وتقواه(٧).

وقال ابن القيم رحمه الله: "والخشوع قيام القلب بين يـدي الـرب بالخـضوع والـذل، والجمعية عليه، وقيل الخشوع الانقياد للحق، وهذا من موجبات الخشوع.

---

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى، ص٢٦٤، دار الفـضيلة، بدون رقم وسنة طبعة.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٢.

(٣) سورة الزُّمر:١٠.

(٤) انظر: خماسيات مختـارة فـي تهـذيب الـنفس الأمـارة، فـضل عبـاس، ص٧٤، دار البـشير، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٥) انظر: في ظلال القرآن،٢٨٦٣/٥.

(٦) التحرير والتنوير، ٢٢/٢٢.

(٧) انظر: في ظلال القرآن،٢٨٦٣/٥.

فمن علاماته: أن العبد إذا خوف ورد عليه بالحق، استقبل ذلك بالقبول والانقياد، وقيل الخشوع خمود نيران الشهوة، وسكون دخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب،و الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح"[1].

" [....وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ...] والخشوع: السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع. والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته"[2].

و الخشوع، هو الخضوع للَّه والخوفُ منه، وهو يرجع إلى معنى الإِخلاص بالقلب فيما يعمله المكلف، ومطابقة ذلك لما يَظهر من آثاره على صاحبه.

والمراد: الخشوع للَّه بالقلب والجوارح[3].

٧. **التصدق:**

"والتصدق: وهو دلالة التطهر من شح النفس، والشعور بمرحمة الناس، والتكافل في الجماعة المسلمة والوفاء بحق المال، وشكر المنعم على العطاء"[4].

والصدقة: هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كسب لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحساناً إلى خلقه، وقد ثبت في الصحيحين: **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)** فذكر منهم: **(ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)**[5].

وعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار ولو بشق تمرة)** [6][7].

---

(١) مدارج السالكين، ٣٩٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٤٤٠/٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ٢٢/٢٢.

(٤) في ظلال القرآن، ٢٨٦٣/٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، حديث رقم(١٤٢٣)، ١١١/٢، صحيح مسلم كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم(١٠٣١)، ص٣٩٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ] ، حديث رقم(٧٤٤٣)، ١٣٢/٩، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة...، حديث رقم(١٠١٦)، ص٣٩٢.

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٤٠/٦.

٨. الصوم:

والصوم: وهو استعلاء على الضرورات، وصبر عن الحاجات الأولية للحياة[١].

"قال سعيد بن جبير: من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر، دخل في قوله: [....وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ...] ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة، كما قال رسول الله ﷺ: **(يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**[٢]" [٣].

٩. حفظ الفروج:

" [....وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ...] أي: عن المحارم والمآثم إلا عن المباح، كما قال تعالى: [وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ] [٤]"[٥].

وأما حفظ الفروج فلأن شهوة الفرج شهوة جبلية، وهذا الحفظ له حدود سنتها الشريعة، فالمراد: حفظ الفروج عن أن تستعمل فيما نهي عنه شرعاً، وليس المراد: حفظها عن الاستعمال أصلاً وهو الرهبنة، فإن الرهبنة مدحوضة في الإسلام بأدلة متواترة المعنى[٦].

١٠. ذكر الله:

وقوله: [...وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ...] أي: في أكثر الأوقات، خصوصًا أوقات الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، وأدبار الصلوات المكتوبات[٧].

وقد اشتملت هذه الخصال العشر على جوامع فصول الشريعة كلها.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن،٢٨٦٣/٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم(٥٠٦٥)، ٣/٧، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، حديث رقم(١٤٠٠)، ص٥٤٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم،٤٤١/٦.

(٤) سورة المؤمنون: ٥-٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٤٤١/٦.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ٢٢/٢٢.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦١٢.

فالإسلام:يجمع قواعد الدين الخمس المفروضةَ التي هي أعمال، والإيمان يجمع الاعتقادات القلبية المفروضة، وهو شرط أعمال الإسلام كلها، قال تعالى: [ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا...] [1]،والقنوت: يجمع الطاعات كلّها مفروضَها ومسنُونها، وتركَ المنهيات، والإقلاع عنها ممن هو مرتكبها، وهو معنى التوبة، فالقنوت هو تمام الطاعة، فهو مساوٍ للتقوى، فهذه جوامع شرائع المكلفين في أنفسهم

والصدق: يجمع كلّ عمل هو من موافقة القول، والفعل للواقع في القضاء والشهادة والعقود والالتزامات، وفي المعاملات بالوفاء بها وترك الخيانة، ومطابقة الظاهر للباطن في المراتب كلّها، ومن الصدق صدق الأفعال .

والصبر: جامع لما يختص بتحمل المشاقّ من الأعمال؛ كالجهاد، والحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة المسلمين، وتحمل الأذى في الله، وهو خلق عظيم هو مفتاح أبواب محامد الأخلاق، والآداب، والإنصاف من النفس .

والخشوع: الإخلاص بالقلب والظاهر، وهو الانقياد وتجنب المعاصي، ويدخل فيه الإحسان، ويدخل تحت ذلك جميع القُرَب النوافل فإنها من آثار الخشوع، ويدخل فيه التوبة مما اقترفه المرء من الكبائر إذ لا يتحقق الخشوع بدونها .

والتصدق: يحتوي جميع أنواع الصدقات والعطيات وبذل المعروف والإرفاق .

والصوم: عبادة عظيمة، فلذلك خُصصت بالذكر مع أن الفرض منه مشمول للإسلام في قوله: [إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ...] ويفي صوم النافلة، فالتصريح بذكر الصوم تنويه به .

وحفظ الفروج: أريد به حفظها عما ورد الشرع بحفظها عنه، وقد اندرج في هذا جميع أحكام النكاح وما يتفرع عنها وما هو وسيلة لها [2].

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه.

ولقد دلت السورة على زيادة الإيمان:

فقال الله تعالى: [وَلَمَّا رَأَى المُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] [3].

---

(١) سورة البلد:١٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٢٢/٢٢.

(٣) سورة الأحزاب:٢٢.

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم زيادة الإيمان ونقصانه.

توجد الكثير من الآيات التي تدلل على زيادة الإيمان ونقصانه منها:

قال الله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا] (1).

وقال الله تعالى: [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى] (2).

وقال الله تعالى: [وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا] (3).

وقال الله تعالى: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ] (4).

وقال الله تعالى: [... وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا ...] (5).

وقال الله تعالى: [... وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] (6).

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية زيادة الإيمان ونقصانه.

عن أنس عن النبي ﷺ قال:(**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار، من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار، من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**) وفي رواية من إيمان مكان من خير (7).

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ:(**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**) (8).

---

(1) سورة الفتح ٤.

(2) سورة الكهف:١٣.

(3) سورة مريم:٧٦.

(4) سورة محمد: ١٧

(5) سورة المدّثر:٣١.

(6) سورة الأحزاب:٢٢.

(7) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب زيادة الإيمان ونقصانه وقول الله تعالى [...زَادَهُمْ هُدًى...] ...فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص، حديث رقم(٤٥)، ١٨/١.

(8) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم(٤٦٨١)، ص٧٠٢، قال الألباني: صحيح.

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: (**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**)[١].

وقال رسول الله ﷺ : **(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)**[٢].

ثالثاً:اختلاف العلماء على زيادة الإيمان ونقصانه.

ولقد اختلف العلماء في أن الإيمان يزيد وينقص أم لا [٣].

فزيادة الإيمان ونقصانه قول جمهور العلماء، وقد روى هذا الكلام عن طائفة من الصحابة؛ كأبي الدرداء، وأبي هريرة، وابن عباس، وغيرهم من الصحابة، وروي معناه عن علي، وابن مسعود، وعن مجاهد، وغيره من التابعين .

وتوقف بعضهم في نقصه، فقال: يزيد ولا يقال: ينقص وروي ذلك عن مالك، والمشهور عنه كقول الجماعة، وعن ابن المبارك[٤] قال: الإيمان يتفاضل، وهو معنى الزيادة والنقص.

وقد تلا البخاري الآيات التي ذكر فيها زيادة الإيمان، وقد استدل بها على زيادة الإيمان أئمة السلف قديماً، منهم: عطاء بن أبي رباح[٥] فمن بعده .

وتلا البخاري - أيضاً - الآيات التي ذكر فيها زيادة الهدى ، فإن المراد بالهدى هنا : فعل الطاعات كما قال تعالى بعد وصف المتقين بالإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق مما

---

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، كتاب البر والاحسان، باب حسن الخلق، حديث رقم(٤٧٩)، ٢/ ٢٢٧، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

(٢) صحيح مسلم، كتاب، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم(٤٩)، ص٥١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٤٦/١.

(٤) ابن المبارك:هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن(١١٨ - ١٨١ هـ = ٧٣٦ - ٧٩٧ م) : الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الاسفار، حاجا ومجاهدا وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفا من غزو الروم. انظر: الأعلام ، ١١٥/٤.

(٥) عطاء بن أبي رباح: هو عطاء بن أبي رباح مفتي أهل مكة ومحدثهم القدوة العلم أبو محمد بن أسلم القرشي مولاهم المكى الأسود: ولد في خلافة عثمان وقيل في خلافة عمر، سمع عائشة وأبا هريرة وابن عباس وأبا سعيد وأم سلمة وطائفة، قال أبو حنيفة: ما رأيت أحدا أفضل من عطاء ،مات على الأصح في رمضان سنة أربع عشرة ومائة وقيل سنة خمس عشرة بمكة. انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، ٩٨/١، دار الكتب العلمية، ١٣٣٧هـ.

رزقهم وبالإيمان بما أنزل إلى محمد ﷺ وإلى من قبله باليقين بالآخرة، ثم قال: [أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (١)، فسمى ذلك كله هدى، فمن زادت طاعته فقد زاد هداه .

ولما كان الإيمان يدخل فيه المعرفة بالقلب والقول والعمل كله كانت زيادته بزيادة الأعمال ونقصانه بنقصانها .

وقد صرح بذلك كثير من السلف فقالوا: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فأما زيادة الإيمان بزيادة القول ونقصانه بنقصانه : فهو كالعمل بالجوارح - أيضاً - ، فإن من زاد ذكره لله وتلاوته لكتابه زاد إيمانه، ومن ترك الذكر الواجب بلسانه نقص إيمانه .

و أما المعرفة بالقلب: فهل تزيد وتنقص ؟ على قولين: أحدهما: أنها لا تزيد ولا تنقص(٢).

يقول ابن كثير: "وقوله: [...وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] : دليل على زيادة الإيمان، وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قاله جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص"(٣).

"وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل و قول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنة"(٤).

"فإن قلت الآيات دلت على الزيادة فقط، والمقصود بيان الزيادة والنقصان كليهما قلت قال الكرماني(٥): كل ما قبل الزيادة لا بد أن يكون قابلا للنقصان ضرورة"(٦).

"وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل و قول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنة"(٧).

---

(١) سورة البقرة:٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن رجب، تحقيق: محمد عبد المقصود وآخرون، ١/٨-٩، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤١٧/٦.

(٤) أُصُول السُنَّة، ص٣٧.

(٥) الكرماني: هو محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرماني: (٧١٧ - ٧٨٦ هـ = ١٣١٧ - ١٣٨٤م) عالم بالحديث. أصله من كرمان، اشتهر في بغداد، قال ابن حجي: تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة، وأقام مدة بمكة. انظر: الأعلام، ١٥٣/٧.

(٦) عمدة القاري، ٤٠٥/١.

(٧) أُصُول السُنَّة، ص٣٧.

"والإيمان يزيد وينقص، وإذا قبل الزيادة قبل النقص"[1].

"ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطي لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوي نفسه، كان ذلك نقصاً في إيمانه ، فيجب عليه التوبة من ذلك، والرجوع إلى إتباع ما جاء به الرسول ﷺ من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله على هوي النفس ومراداتها كلها[2].

وقال سهل بن المتوكل[3]: « أدركت ألف أستاذ أو أكثر، كلهم يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص»[4].

رابعاً: أسباب زيادة الإيمان[5].

١ــ معرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته .

٢ــ تدبر كتاب الله .

٣ــ معرفة سيرة النبي الكريم ﷺ وسنته .

٤ــ قراءة سير الصحابة الأبرار والسلف الأخيار .

٥ــ التأمل في آيات الله الكونية .

٦ــ البعد عن المعاصي، والجد في فعل الطاعات .

٧ــ مرافقة أهل الخير ومصاحبتهم.

خامساً: أسباب نقص الإيمان[6].

وأما أهم أسباب نقص الإيمان وضعفه، فهي ترجع إلى قسمين :

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبي بكر حسين البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، ص٢١٢، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ص٧٢٧.

(٣) سهل بن المتوكل: هو سهل بن المتوكل بن حجر أبو عصمة البخاري، يروى عن أبى الوليد الطيالسي، وأهل العراق روى عنه أهل بلده. انظر: الثقات، ابن حبان، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، ٢٩٤/٨، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٥٠/٤.

(٥) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق البدر، ص٣٠٤، غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٦) المرجع السابق، ص٣٠٤.

١ــ أمور ترجع إلى الإنسان نفسه، ومن أهمها: النفس الأمارة بالسوء، والجهل بالدين ، والغفلــة والإعراض .

٢ــ مؤثرات خارجية، ولعلها ترجع إلى ثلاثة: **الشيطان**: وهو أعظــم دعــاة إنقــاص الإيمــان وإضعافه وإذهابه، **وقرناء السوء**: وخلطاء الشر والفساد، **والدنيا**: بفتنها ومغرياتها.

المبحث الثاني

المنافقون

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنفاق .

المطلب الثاني: صفات المنافقين .

المطلب الثالث: عقاب المنافقين .

المطلب الأول: التعريف بالنفاق .

أولاً: النفاق لغةً:

والنَّفق: سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر، والنفقــة والنافقــاء جحــر الــضب واليربوع والنافقاء: موضع يرققه اليربوع في جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقــاء برأسه فانتفق منها، وبعضهم يسميه النفقة، وتقول: انفقنا اليربوع، إذا لم يرفق بــه حتــى انتفــق وذهب، وقال أبو عبيد: سمي المنافق منافقاً للنفق وهو السرب في الأرض.

وإنما سمي منافقاً؛ لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافقاء،ويقال قد نفق به ونافق وله [١].

"النفاق وما تصرف منه اسماً وفعلاً، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بــالمعنى المخــصوص به"[٢].

ثانياً: النفاق في الاصطلاح.

" هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر"[٣]، "والمنافق هو الذي وهو الذي يستر كفره، ويظهر إيمانه"[٤].

ثالثاَ: متى ظهر النفاق.

إن المؤمنين في العهد المكي كانوا مبتلين، يعذبون، ويضطهدون ومع ذلك صبروا واحتسبوا فلم يكن في مكة حينئذٍ إلا فريقان: فريق المؤمنين الصابرين، وفريق الكفار والمشركين الجبابرة ولم يكن هناك منافقون؛ لأن النفاق طبيعته المراوغة، والاحتيال وهذا الدين لم يكن يقدر عليــه فــي مكة إلا المؤمنون الصادقون، أما في المدينة وبعد قيام دولة المسلمين، وهيمنة حكم الله وشرعه، فقد وجد المنافقون وهذا أمر معهود من أصحاب النفوس الضعيفة الجبانة، التي تخــاف الــسلطة الإسلامية فتظهر لها الإسلام، وتحب الكفر وأهله ولكنها لا تجرؤ على المصارحة به.

والمنافقون: قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، فهــم فــي الدرك الأسفل من النار كما قــال تعــالى: [**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**] [٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، ١٩٢/٩، لسان العرب، ٣٥٩/١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٨/٥.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٢٨٧/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩٨/٥.

(٥) سورة النساء:١٤٥.

فالكافرون المجاهرون أخف منهم، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد عليهم المنافقون بالكذب والنفاق.

وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم: [... **هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ...] [(1)] [(2)].

رابعاً: أنواع النفاق.

والنفاق على ضروب نفاق كف، ونفاق قلب ولسان وأفعال، وما هو دون ذلك[(3)].

روي الترمذي عن الحسن البصري شيئاً من هذا، أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق التكذيب، ونفاق العمل[(4)].

والنفاق على ضربين:

الضرب الأول: النفاق الاعتقادي.

الضرب الثاني: نفاق عملي.

أما الضرب الأول: فهو مخرج من الملة، وهذا هو النفاق الأكبر وفيه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والنفاق منه ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحود بعض ما جاء به، أو بعضه، أو عدم اعتقاد وجوب إتباعه، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله"[(5)].

وهذا النفاق ستة أنواع[(6)] :

١- تكذيب الرسول ﷺ .

٢- تكذيبُ بعض ما جاءَ به الرسولﷺ .

---

(١) سورة المنافقون:٤.

(٢) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، ص٢٠٧.

(٣) انظر: الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق: علي بن الفقيهي، ٦٠٣/٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢،١٤٠٦هـ.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب بما جاء في علامة المنافق، ص٥٩٣.

(٥) الفتاوى، ٤٣٤/٢٨ .

(٦) انظر: مجموعة التوحيد لابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب ، ص٩، المكتبة السلفية، بدون رقم وسنة طبعة.

٣- بُغضُ الرسول ﷺ.

٤- بغضُ بعض ما جاء به الرسول ﷺ .

٥- المسرَّة بانخفاض دين الرسول ﷺ.

٦- الكراهية لانتصار دين الرسولﷺ.

أما الضرب الثاني: وهو نفاق العمل كقوله في الحديث الصحيح(**آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان**)[١].

وفي الصحيح أيضاً (**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر وإذا ائتمن خان**)[٢].

" فهذا نفاق عمل قد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمل، فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهذا لا يكون إلا منافقاً خالصاً"[٣].

وهذا هو النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال، ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدث، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن، أو يفجر إذا خاصم، ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد، فإنه من خصال المنافقين، قال النبي ﷺ :" من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق"[٤].

خامساً: النبي ﷺ يعرف المنافقين بصفاتهم.

ولقد دلت السورة أن النبي ﷺ لم يكن يعرف كل المنافقين بأسمائهم، بل كان يعرفهم بصفاتهم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم(١٩١٠)، ص٧٩٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم(٣٤)، ١٦/١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، حديث رقم(٥٨)، ص٥٦.

(٣) الصلاة وحكم تاركها ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، ص٥٨، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم(٣٤)، ١٦/١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، حديث رقم(٥٨)، ص٥٦.

وقال تعالى: [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا(٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا] (١) .

يقول ابن كثير:"ففيها دليل على أنه لم يغر بهم، ولم يدرك على أعيانهم، وإنما كانت تذكر له صفاتهم فيتوسمها في بعضهم كما قال تعالى: [وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ...] (٢)، وقد كان من أشهرهم بالنفاق، عبد الله بن أبي بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم، بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين، ومع هذا لما مات صلى عليه ﷺ وشهد دفنه كما يفعل ببقية المسلمين"(٣).

والنبي ﷺ كان يعلم بعض المنافقين، ولا يعلم بعضهم، كما بينه قوله: [وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ] (٤)كذلك خلفاؤه بعده وورثته، قد يعلمون بعض المنافقين ولا يعلمون بعضهم،وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة والعامة، ويسمون " الزنادقة "(٥).

المنافقون في العهد النبوي لما أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر، ولم يطلع الرسول ولم يطلع المسلمون على شيء من أسرارهم، عاملوهم معاملة المسلمين، فكانوا يأخذون منهم الصدقات والزكوات ونحوها مع أنهم كفار، وكانوا يصلون على من مات منهم إذا لم يظهر لهم نفاقه، ولم يقاتلوهم، وكانوا أيضاً يغزون مع المسلمين، وإن لم يكونوا يريدون بذلك الأجر، بل كما أخبر الله عنهم في قوله: [لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ...] (٦)، وفي قوله: [مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا] (٧)، وسماهم الله المرجفين فقال: [...وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ...] (٨)، ومع هذه كله لم يقتلهم، بل أجرى أمرهم على الظاهر، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، وقبل كلامهم لما حلفوا، وأخبر الله أن حلفهم كذب في قوله:

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٠-٦١.

(٢) سورة محمد:٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١٧٩/١.

(٤) سورة التوبة:١٠١.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٣٤/٢٨.

(٦) سورة التوبة:٤٧.

(٧) سورة الأحزاب:٦١.

(٨) سورة الأحزاب:٦٠.

[يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...] (١)، [يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ...] (٢)،ومع ذلك لم يقاتلوهم بناءً على ما ظهر(٣).

وسئل مالك عن الزندقة، فقال: ما كان عليه المنافقون في عهد رسول الله ﷺ من إظهار الإيمان، وكتمان الكفر، هو الزندقة عندنا اليوم، قيل لمالك فلم يقتل الزنديق ورسول الله ﷺ لم يقتل المنافقين وقد عرفهم؟ فقال: إن رسول الله ﷺ لو قتلهم لعلمه فيهم، وهم يظهرون الإيمان لكان ذلك ذريعة إلى أن يقول الناس قتلهم للضغائن والعداوة، أو لما شاء الله غير ذلك فيمتنع الناس من الدخول في الإسلام، هذا معنى قول مالك ،وقد روي عن رسول الله ﷺ في ذلك أنه قال: لا يتحدث الناس أني أقتل أصحابي(٤).

المطلب الثاني: صفات المنافقين.

ولقد دلت سورة الأحزاب على عدة صفات للمنافقين منها:

١. الفرار عند الشدائد:

قال تعالى: [وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا(١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا(١٤)] (٥).

[وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا] وهذه المقالة إحدى ظواهر النفاق التي ظهرت من المنافقين في غزوة الأحزاب، وهي مقالة قالها المنافقون، لأنهم في باطن أمرهم كافرون بالله ورسوله، ويطرحونها لتشكيك المؤمنين بدينهم وبرسولهم.

وردد هذه المقالة ضعفاء الإيمان، وأهل الريب والشك، وأهل الطيش الذي لا بصر لهم بالأمور، ولا رويّة عندهم ولا صبر(٦).

---

(١) سورة التوبة:٩٦.

(٢) سورة التوبة:٦٢.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، ١٢٧/٤.

(٤) الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض، ٣٥٨/٢ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٥) سورة الأحزاب: ١٢-١٤.

(٦) انظر: ظاهرة النفاق، ٣٩٥/١.

وموقف المنافقين في الشدائد في زمن رسول الله ﷺ معلوم، كموقفهم يوم غزوة الأحزاب إذ ذكر الله ذلك عنهم فقال: [وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا] ، وفي وقعة أحد انصرفوا ورجعوا مع عبد الله بن أُبي، وتركوا رسول الله والمسلمين، فالفتن تكشف المنافقين، وتبيِّن الصادقين في إيمانهم، قال الله تعالى: [وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] (١)، فمواقف الفتن والشدائد هي التي تبيّن أهل الإيمان الصادق من النفاق الكاذب، [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِالله ...] (٢)، فوقت الرخاء كلٌّ يقول: [...آَمَنَّا بِالله ...] ، ويتظاهر بالإسلام وبالدين، لكن إذا جاءت الفتن فالمنافق ينعزل، [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ...] يعني: على طَرَف [...فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] (٣)(٤).

[وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا] (٥) ويقول المنافقون للرسول ﷺ : يا رسول الله إن بيوتنا عورة، أي مكشوفة ليس بينها وبين العدو حائل .

وأصل العورة: الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وستر، يقال: اعور مجلسك إذا ذهب ستره أو سقط جداره، ومنه عورة العدو .

وقال مجاهد والحسن: أي ضائعة تخشى عليها السراق، وقال قتادة : قالوا: بيوتنا مما يلي العدو فلا نأمن على أهلنا، فائذن لنا أن نذهب إليها لحفظ النساء والصبيان .

قال الله تعالى : [...وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ...] لأن الله يحفظها [...إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا] فهم يقصدون الفرار من الجهاد، ويحتجون بحجة العائلة(٦).

---

(١) سورة الأحزاب:٢٢.

(٢) سورة البقرة:٨.

(٣) سورة الحج:١١.

(٤) انظر: إعانة المستفيد ، ٥٥/٢.

(٥) سورة الأحزاب: ١٣.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ٤٥٢/٢٨.

٢. كراهية الجهاد في سبيل الله.

قال تعالى: [قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا(١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا] .(١)

وفي هذه الآيات يبين الله ﷻ جبن هؤلاء المنافقين، وكراهيتهم للإسلام وللجهاد.

فيخبر تعالى في هذه الآيات عن إحاطة علمه بالمعوقين، لغيرهم عن شهود الحرب، والقائلين لإخوانهم، أي: أصحابهم وعشرائهم وخلطائهم [...هَلُمَّ إِلَيْنَا...] أي: إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار، وهم مع ذلك [...وَلَا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا(١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ...] أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم(٢).

[...سَلَقُوكُمْ...] وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي، لكن الشدة هنا في الشر لا في الخير . كما قال [...بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ...] وهذا السلق بالألسنة الحادة يكون بوجوه: تارة يقول المنافقون للمؤمنين: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم؛ فإنكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالفتموهم؛ فإن هذه مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمقام هنا والثبات بهذا الثغر إلى هذا الوقت وإلا فلو كنا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا .

وتارة يقولون - أنتم مع قلتكم وضعفكم - تريدون أن تكسروا العدو وقد غركم دينكم كما قال تعالى: [إِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (٣)،وتارة يقولون: أنتم مجانين لا، عقل لكم تريدون أن تهلكوا أنفسكم والناس معكم، وتارة يقولون: أنواعاً من الكلام المؤذي الشديد، وهم مع ذلك أشحة على الخير أي حراص على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم، قال قتادة: إن كان وقت قسمة الغنيمة بسطوا ألسنتهم فيكم،

يقولون: أعطونا فلستم بأحق بها منا، فأما عند البأس فأجبن قوم وأخذلهم للحق، وأما عند الغنيمة فأشح قوم(٤).

---

(١) سورة الأحزاب: ١٨-١٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤١٥/٦.

(٣) سورة الأنفال:٤٩.

(٤) انظر: الفتاوى ، ٤٥٧/٢٨.

٣. **نشر التشكيك والأراجيف عن ضعف المسلمين.**

قال تعالى: [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا] (١).

قال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: " والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم، فيقولون إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ: إنهم قد قتلوا أو هزموا، وإن العدو قد أتاكم، قاله قتادة وغيره؛ وقيل كانوا يقولون: أصحاب الصفة قوم عزاب، فهم الذين يتعرضون للنساء ؛ وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبا للفتنة؛ وقد كان في أصحاب الإفك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حباً للفتنة"(٢).

٤. **خيانة عهد الله.**

قال تعالى: [وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا] (٣).

فقد أمر سبحانه بالوفاء بالعقود وهذا عام، وكذلك أمرنا بالوفاء بعهد الله وبالعهد وقد دخل في ذلك ما عقده المرء على نفسه، بدليل قوله: [وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا] ، فدل على أن عهد الله يدخل فيه ما عقده المرء على نفسه، وإن لم يكن قد أمر بنفس ذلك العهود عليه قبل العهد والنذر والبيع، وإنما أمر بالوفاء به، ولهذا قرنه بالصدق في قوله: [... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] (٤)؛ لأن العدل في القول خبر يتعلق بالماضي والحاضر والوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل، كما قال تعالى: [وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ(٧٥) فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ(٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ] (٥)(٦).

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٠.

(٢) الجامع لإحكام القرآن، ١٨١/١٤.

(٣) سورة الأحزاب: ١٥.

(٤) سورة الأنعام:١٥٢.

(٥) سورة التوبة: ٧٥-٧٧.

(٦) انظر: الفتاوى الكبري، ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مصطفى عبد القادر عطا، ٨٣/٤، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

"والحال أنهم قد [... عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا] ، سيسألهم عن ذلك العهد، فيجدهم قد نقضوه، فما ظنهم إذًا، بربهم؟"[١].

يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون: [... إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ...] عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوّهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم[٢].

٥. **الجبن.**

قال تعالى: [يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا] [٣] .

ولقد وصفهم الله عز وجل في الآيات بثلاثة أوصاف[٤] .

أحدها: أنهم لفرط خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد، وهذه حال الجبان الذي في قلبه مرض، فإن قلبه يبادر إلى تصديق الخبر المخوف وتكذيب خبر الأمن .

الوصف الثاني: أن الأحزاب إذا جاءوا تمنوا أن لا يكونوا بينكم ؛ بل يكونون في البادية بين الأعراب يسألون عن أنبائكم: ما خبر المدينة ؟ وماذا جرى للناس ؟ .

والوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم لم يقاتلوا إلا قليلاً .

وهذه الصفات الثلاث منطبقة على كثير من الناس في هذه الغزوة، كما يعرفونه من أنفسهم ويعرفه منهم من خبرهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٠٨.

(٢) انظر: جامع البيان ، ٦٦٣٠/٨.

(٣) سورة الأحزاب:٢٠.

(٤) انظر: الفتاوى ، ٤٥٨/٢٨.

المطلب الثالث: عقاب المنافقين .

١. إبطال العمل.

قال تعالى: [أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا] (١).

ولقد توعد الله عز وجل المنافقين في هذه الآيات، بإحباط أعمالهم فكان هذا عقاب لنفاقهم.

"وقوله: [... لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ...] يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدّقوا الله ورسوله، ولكنهم أهل كفر ونفاق، [...فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ...] يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها"(٢) .

أي إن أولئك المنافقين هم في الواقع غير مصدقين باللّه ورسوله، ولم يؤمنوا حقيقة ، وإن أظهروا الإيمان لفظا، فأبطل اللّه أعمالهم التي كانوا يأتون بها مع المسلمين ، وكان ذلك الإحباط سهلاً هيناً عند اللّه، بمقتضى عدله وحكمته (٣).

"فإن قلت : هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الإحباط ؟ قلت: لا، ولكنه تعلم لمن عسى يظن أنّ الإيمان باللسان إيمان وإن لم يوطئه القلب، وأن ما يعمل المنافق من الأعمال يجدي عليه، فبين أنّ إيمانه ليس بإيمان، وأنّ كل عمل يوجد منه باطل،وفيه بعث على إتقان المكلف أساس أمره وهو الإيمان الصحيح، وتنبيه على أن الأعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس، وأنها مما يذهب عند الله هباء منثوراً" (٤).

٢. اللعن.

قال تعالى: [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا(٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا(٦١) سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا] (٥) .

---

(١) سورة الأحزاب:١٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٦٣٥/٨.

(٣) انظر: التفسير المنير، ٢٧٢/٢١.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل ، ٢٥٥/٣.

(٥) سورة الأحزاب: ٦٠-٦٢.

و الله أعلم بيان صفة لعنهم، ولم يظهر أثر لعنهم في الدنيا لم يكن في ذلك وعيد لهم بل تلك اللعنة ثابتة قبل هذا الوعيد و بعده، فلا بد أن يكون هذا الأخذ و التقتيل من آثار اللعنة التي وعدوها فيثبت في حق من لعنة الله في الدنيا و الآخرة، ويؤيده قول النبي ﷺ " لعن المؤمن كقتله "(١)، فإذا كان الله قد لعن هذا في الدنيا و الآخرة فهو كقتله فعلم أن قتله مباح.

لكن الذي يرد على هذا قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] (٢)فإن هذه الآية ذكر لعنتهم في الدنيا والآخرة، مع أن مجرد القذف ليس بكفر ولا يبيح الدم(٣).

وأن الله افترض على المؤمنين عداوة الكفار والمنافقين، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق، ولا يؤمنون بالله ورسوله ﷺ ، وأمر بجهادهم، والإغلاظ عليهم بالقول والعمل.

و توعدهم باللعن والقتل في قوله: [مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا] (٤).

٣. **العذاب.**

قال تعالى: [لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (٥) .

وبين الله ﷻعذاب المنافقين فقال تعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا] (٦) .

"والنار متفاوتة في شدة حرها، وما أعده الله من العذاب لأهلها، فليست درجة واحدة، وقد قال الحق تبارك وتعالى: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...] ، والعرب تطلق: " الدرك " على كل ما تسافل، كما تطلق: " الدرج " على كل ما تعالى، فيقال: للجنة درجات وللنار دركات،

---

(١) والحديث جاء بلفظ" ومن لعن مؤمناً فهو كقتله" صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، حديث رقم(٦٠٤٧)، ١٥/٨. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، حديث رقم(١١٠)، ص٧٠.

(٢) سورة النور:٢٣.

(٣) انظر: الصارم المسلول ،٤٦/١-٤٧.

(٤) أوثق عرى الإيمان، سليمان ابن عبد الوهاب، ص٣٣، دار القاسم، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

(٥) سورة الأحزاب: ٧٣.

(٦) سورة النساء:١٤٥.

وكلما ذهبت النار سفلاً كلما علا حرها واشتد لهيبها، والمنافقون لهم النصيب الأوفر من العذاب، ولذلك كانوا في الدرك الأسفل من النار"(١).

"وقوله تعالى: [لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ...] أي: إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله، [...وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ...] ، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله، عز وجل، ومخالفة رسله، [...وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...] أي: وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته"(٢).

---

(١) الجنة والنار، الأشقر، ص٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٥١٥/٦

المبحث الثالث

الكفار

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكفر.

المطلب الثاني: التعامل مع الكفار.

المطلب الثالث: حكم لعن الكفار.

المطلب الأول : التعريف بالكفر.

أولاً: الكفر لغةً:

وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وقال الليث: يقال إنما سمي الكافر كافراً؛ لأن الكفر غطى قلبه كله[1].

"الكاف والفاء والراء، أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه"[2].

ثانياً: الكفر في الاصطلاح.

"والكفر ضد الإيمان"[3].

"والكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض؛ فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر"[4].

"وهو رفض التصديق عن معرفة وإرادة، ولو بشيء مما جاء عن النبي ﷺ ووصل إلينا بطريق يقيني قاطع"[5].

ثالثاً: أنواع الكفر.

قال ابن القيم: "فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود"[6].

١. **الكفر الأكبر:**

وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع[7] :

كفر تكذيب، وكفر استكبار، وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق .

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم، ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة، قال الله

---

(١) انظر: لسان العرب، ١٢/١٢٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٥/١٩١.

(٣) مجموع الفتاوى، ٧/٣٢٤

(٤) مجموع الفتاوى، ٧/٦٣٩.

(٥) العقيدة الإسلامية وأسسها ، ص٦١٥.

(٦) مدارج السالكين، ١/٣٣٥.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ١/١٣٧-١٣٨.

تعالى عن فرعون وقومه: [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] (١)وقال لرسوله: [... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ] (٢) .

وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: [...أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ] (٣)، وهو كفر أبي طالب أيضاً فإنه صدقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الإعراض: بأن يعرض بسمعه، وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة .

وأما كفر الشك: بأن لا يجزم بصدقهن ولا بكذبه بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها ، فإنه لا يبقى معه شك لأنها مستلزمة للصدق ولا سيما بمجموعها فإن دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

وأما كفر النفاق: فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب فهذا هو النفاق الأكبر.

٢. الكفر الأصغر:

"كفر أصغر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر"(٤).

هناك ذنوب أطلق عليها كفر، ولكن يقول العلماء: إنه كفر دون كفر، مثل قوله ﷺ :**(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)**(٥)، فإن الكفر هنا هو كفر أصغر لا يصل إلى الإخراج من الملة،

---

(١) سورة النمل:١٤.

(٢) سورة الأنعام : ٣٣.

(٣) سورة المؤمنون :٤٧.

(٤) كتاب التوحيد، الفوزان، ص١٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، حديث رقم(٤٧)، ١٩/١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، حديث رقم(٦٤)، ص٥٧.

وكذلك قوله ﷺ: **(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)**[1] المراد هنا: كفران النعمة أو كفر دون كفر، وهكذا قوله ﷺ: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة)**[2] يقولون: إنه كفر للنعمة لا أنه الكفر المبيح للدم والمال؛ لأن الطعن في النسب إنما هو عيب الإنسان والطعن في نسبه بأنه ليس ابن فلان أو ليس من آل فلان، وهو ذنب لا يصل إلى الكفر الذي يخرج من الملة، وكذلك النياحة على الميت لا توصل صاحبها إلى أن يخرج من الملة ويستباح دمه وماله.

فعرف بذلك أنه كفر دون كفر، هذا محمل هذه الأحاديث [3].

المطلب الثاني: التعامل مع الكفار.

أولاً: عدم طاعة الكفار.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [4] .

وقال تعالى: [وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] [5] .

وقوله: [وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ...] أي: لا تسمع منهم ولا تستشرهم[6].

والمعنى يا أيها الذي منَّ اللّه عليه بالنبوة، واختصه بوحيه، وفضله على سائر الخلق، اشكر نعمة ربك عليك، باستعمال تقواه، التي أنت أولى بها من غيرك، والتي يجب عليك منها، أعظم من سواك، فامتثل أوامره ونواهيه، وبلغ رسالاته، وأدِّ إلى عباده وحيه، وابذل النصيحة للخلق.

ولا يصدنك عن هذا المقصود صاد، ولا يردك عنه راد، فلا تطع كل كافر، قد أظهر العداوة للّه ورسوله، ولا منافق، قد استبطن التكذيب والكفر، وأظهر ضده، فهؤلاء هم الأعداء على الحقيقة، فلا تطعهم في بعض الأمور، التي تنقض التقوى، وتناقضها، ولا تتبع أهواءهم، فيضلوك عن الصواب [7].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، حديث رقم(١٢١)، ٣٥/١. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا ، حديث رقم(٦٥)، ص٥٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية، حديث رقم(٣٨٥٠)، ٤٤/٥..

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، ٢٦٨/٢.

(٤) سورة الأحزاب:١.

(٥) سورة الأحزاب:٤٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٣٣٩/٦.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن ، ص٦٠٥.

أن النهي عن الشيء لا يدل على وقوعه، بل يدل على أنه ممنوع منه لئلا يقع فيما بعد ،كقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...] (١)،فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم(٢).

ثانياً: هزيمة الكافرين.

قال تعالى: [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] (٣).

ونرى ما حدث مع النبي ﷺ ومع الصحابة في غزوة الخندق من خوف وحصار الكفار لهم إلا أن الله كفاهم مؤنه القتال.

"فإن الله صرف الأحزاب عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصبا، ريح شديدة باردة، وبما فرق به بين قلوبهم حتى شتت شملهم ولم ينالوا خيراً، إذ كان همهم فتح المدينة والاستيلاء عليها وعلى الرسول والصحابة"(٤).

ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حريصين عليه، مغتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدَدِهِمْ وعُدَدِهِمْ.

فأرسل اللّه عليهم، ريحًا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوَّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم اللّه بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر اللّه لعباده المؤمنين.

[...وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ...] بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية، [...وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته(٥).

وردهم خائبين خاسرين مع غيظهم، لم يشفوا صدراً، ولم يحققوا أمراً، ولم ينالوا أي خير من غنيمة أو أسر أو نصر حاسم، بما أرسل عليهم من الريح الباردة والجنود الإلهية، فتفرقت جموعهم، وتشتت شملهم، ولم يحققوا خيرا لأنفسهم، لا في الدنيا من الظفر والمغنم، ولا في

---

(١) سورة الأحزاب:١.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٢٦/١٦.

(٣) سورة الأحزاب:٢٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ٤٦٣/٢٨.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٦٠٩-٦١٠.

الآخرة من الآثام في إعلان عداوتهم للرسول ﷺ ومبارزته، وهمهم بقتله، واستئصال زمرتـه وجيشه، ومن همّ بشيء، وبدأ بتنفيذ همه بالفعل، فهو في الحقيقة كالفاعل.

[...وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ...] ، أي لم يحوجهم إلى قتال ومبارزة حتى يجلوا عن بلادهم، بـل كفى اللّه وحده شرهم، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده[1]

المطلب الثالث: حكم لعن الكفار.

ولقد دلت السورة على لعن الكفار.

قال تعالى: [إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ ....] [2].

وقال تعالى: [رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا] [3]

أولاً: اللعن في اللغة:

"لعن: لعنه، كمنعه، لعناً: طرده وأبعده عن الخير، هذا من الله تعالى، ومن الخلق الـسب والدعاء، فهو لعين" [4].

واللعين المشتوم المسبب واللعين المطرود، وكل من لعنه الله فقد أبعـده عـن رحمتـه واستحق العذاب فصار هالكاً واللعن التعذيب ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخلد فـي العـذاب واللعين الشيطان صفة غالبة لأنه طرد من السماء[5].

[إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ ....] أي: أبعدهم عن رحمته[6].

إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه[7].

أي أن اللعن هو الطرد والإبعاد.

---

(١) انظر: التفسير المنير، ٢٢/ ٢٧٧.
(٢) سورة الأحزاب: ٦٤.
(٣) سورة الأحزاب: ٦٨.
(٤) تاج العروس ، ١١٨/٣٦.
(٥) انظر: لسان العرب، ٣٨٧/١٣.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ٥٠٥/٦.
(٧) جامع البيان ، ٦٧٠٦/٨.

ثانياً: حكم لعن الكفار.

قال ابن العربي: قال لي كثير من أشياخي إن الكافر المعين لا يجوز لعنه؛ لأن حاله عند الموافاة لا تعلم، وقد شرط الله تعالى في هذه الآية في إطلاق اللعنة،الموافاة على الكفر، فقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ] (1)، وأما ما روي عن النبي ﷺ أنه لعن أقواماً بأعيانهم من الكفار فإنما كان ذلك لعلمه بمآلهم، والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله وكجواز قتاله و قتله(2).

ثالثاً: لعن المسلم.

ولعن المسلم اختلف فيه أهل العلم؛ هل يجوز لعن المسلم الذي ارتكب شيئا يستحق به اللعن أم لا؟ على أقوال.

والصحيح منها أن اللعن يجوز أن يتوجه للجنس لا للمعين من المسلمين، فلا يجوز أن يلعن مسلم مسلماً معيناً، ولو كان قد فعل كبيرة أو كان فعل أو كان كاذباً أو كان ظالماً ونحو ذلك، فلا يجوز أن يلعن المسلم، واستدلوا على ذلك بقول الصحابة لرجل كان يشرب الخمر وجلد مرة ومرتين، ثم لما أوتي به بعد ذلك قال أحدهم **(لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به)** فقال ﷺ: **(لا تقولوا هذا فإنه يحب الله ورسوله)** فدل هذا على أن المسلم المعين الذي يشرب الخمر لا يلعن مع أن النبي ﷺ لعن الجنس فلعن في الخمر عشرة؛ لعن شاربها وساقيها إلى آخره، فدل على التفريق ما بين الجنس وما بين المعين.

فإذا هذا النوع وهو لعن مسلم مسلماً فإنه لا يجوز لعن المعين؛ لكن قد يلعن الصفة، يلعن الجنس كما لعن الله ؟ ولعن رسوله ﷺ(3).

وذكر ابن العربي أن لعن العاصي المعين لا يجوز اتفاقاً، لما روي عن النبي أنه أتي بشارب خمر مراراً ، فقال بعض من حضره: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ : **(لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)** (4) فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب الشفقة(5).

---

(1) سورة البقرة:١٦١.

(2) انظر: أحكام القرآن، ٧٥/١.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، مجموعة من العلماء، ٣٤٣/٢-٣٤٤.

(4) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، حديث رقم(٦٧٨١)، ١٥٩/٨.

(5) انظر: أحكام القرآن، ٧٤/١.

وقد ذكر بعض العلماء خلافا في لعن العاصي المعين، قال: وإنما قال عليه السلام: **(لا تكونــوا عون الشيطان على أخيكم)**، ومن أقيم عليه حد الله تعالى فلا ينبغي لعنه، ومن لم يقم عليه الحــد فلعنته جائزة سواء سمي أو عين أم لا، لأن النبي ﷺ لا يلعن إلا من تجب عليه اللعنــة مــا دام على تلك الحالة الموجبة للعن، فإذا تاب منها وأقلع وطهره الحد فلا لعنة تتوجه عليه. وبين هــذا قوله ﷺ : "**إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب...**"(١).

فدل هذا الحديث مع صحته على أن التثريب واللعن إنما يكون قبل أخذ الحد وقبل التوبة (٢).

"وذهب طائفة من الفقهاء إلى جواز لعنة المعين، وقيل: إنه لا يجوز، كما قال ذلك طائفة أخرى، والمعروف عن أحمد كراهية لعن المعين"(٣).

عن عائشة وعبد الله بن عباس، قالا لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك:(**لعنة الله علـــى اليهـــود والنـــصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)(٤).

وفيه دليل على جواز لعن الكفار، وأصحاب الكبائر على وجه العمـــوم، لأن النبـــي ﷺ لعن اليهود والنصارى، وهذا لعن على العموم، فلعن الكفار وأصحاب الكبائر علـــى العمـــوم لا بأس به لأجل التنفير في فعلهم، وأما لعن المعيّن ففيه خلاف(٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب بيع المدبر ، حديث رقم(٢٢٣٤)، ٣/ ٨٣.صـــحيح مـــسلم، كتـــاب الحدود، باب حد الخمر، حديث رقم(١٧٠٣)، ص٧٠٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٩٠/٢.

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص٢٩٠، المكتبة الشاملة.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة ، حديث رقم(٤٣٤)، ٩٤/١ .

(٥) انظر: إعانة المستفيد ، ٢٩٠/١.

المبحث الرابع

اليـهود

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: يهود بني قريظة .

المطلب الثاني: صفات يهود بنـي قريظة.

تمهيد:

إن اليهود في المدينة لم يهادنوا الإسلام بعد وفوده عليهم إلا فترة قصيرة، وكان الرسول ﷺ قد عقد معهم مهادنة أول مقدمه إليها، أوجب لهم فيها النصرة والحماية، مشترطاً عليهم ألا يغدروا ولا يفجروا ولا يتجسسوا ولا يعينوا عدواً، ولا يمدوا يداً بأذى .

ولكن اليهود ما لبثوا أن أحسوا بخطر الدين الجديد على مكانتهم التقليدية، بوصفهم أهل الكتاب الأول، وقد كانوا يتمتعون بمكانة عظيمة بين أهل يثرب بسبب هذه الصفة .

كذلك أحسوا بخطر التنظيم الجديد الذي جاء به الإسلام للمجتمع بقيادة رسول الله ﷺ، فقد كانوا قبل ذلك يستغلون الخلاف القائم بين الأوس والخزرج لتكون لهم الكلمة العليا في المدينة .

فلما وحد الإسلام الأوس والخزرج تحت قيادة نبيهم الكريم، لم يجد اليهود الماء العكر الذي كانوا يصطادون بين الفريقين فيه!

ومنذ هذا اليوم الأول بدأت الحرب، التي لم تضع أوزارها قط، حتى اليوم بين الإسلام ويهود!

لقد بدأت في أول الأمر حرباً باردة، بتعبير أيامنا هذه، بدأت حرب دعاية ضد محمد عليه الصلاة والسلام وضد الإسلام.

وكانت أهم طوائفهم بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وكان لكل منها شأن مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين [(١)].

المطلب الأول: يهود بني قريظة .

ولقد دلت السورة على اليهود وذكرتهم السورة بلفظ أهل الكتاب.

قال تعالى: [وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] [(٢)].

قال تعالى: [وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ...] أي: عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله ﷺ [...مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ...] يعني: بني قريظة من اليهود، من بعض أسباط بني إسرائيل، كان قد

(١) انظر: في ظلال القرآن، ٥/٢٨٤٥.

(٢) سورة الأحزاب:٢٦-٢٧.

نزل آباؤهم الحجاز قديماً، طمعا في إتباع النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، [...فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ...] (١)، فعليهم لعنة الله.

وقوله: [...مِنْ صَيَاصِيهِمْ...] يعني: حصونهم، ومنه سميت صياصي البقر، وهي قرونها؛ لأنها أعلى شيء فيها.

[...وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ...] : وهو الخوف؛ لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ، وليس من يعلم كمن لا يعلم، فأخافوا المسلمين، وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا، فانعكس عليهم الحال، وانقلب الفأل، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة؛ ولهذا قال تعالى: [... فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا] ، فالذين قتلوا هم المقاتلة، والأسراء هم الأصاغر والنساء(٢).

وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ . وقوله: [...مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ...] يعني: من أهل التوراة، وكانوا يهود(٣).

أولاً: كتابة النبي ﷺ الوثيقة بينه وبين اليهود.

قال ابن القيم:" ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً، وبادر حبرهم وعالمهم عبد الله بن سلام، فدخل فى الإسلام، وأبى عامتهم إلا الكفر.

وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وحاربه الثلاثة، فمن على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى فريظة، وسبى ذريتهم، ونزلت "سورة الحشر" فى بنى النضير، و"سورة الأحزاب" فى بنى قريظة"(٤).

وكان الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم وادعهم على أن لا يحاربوه ولا يمالئوا عليه عدوه، وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة، والنضير، وقينقاع، وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش، وقسم تاركوه وانتظروا ما يئول إليه أمره، كطوائف من العرب، فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على

---

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٢٣/٦-٤٢٤.

(٣) انظر: جامع البيان، ٦٦٤٤/٨.

(٤) زاد المعاد، ٦٥/٣.

حكمه، وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أبي ،وكانوا حلفاءه فوهبهم لــه وأخــرجهم مــن المدينة إلى أذرعات، ثم نقض العهد بنو النضير، وكان رئيسهم حيي بن أخطــب ثــم نقــضت قريظة[1].

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم وأقــرهم علــى دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم[2].

"واعتبرت الصحيفة اليهود جزءاً من مواطني الدولة الإسلامية، وعنصراً من عناصرها ولذلك قيل في الصحيفة: (وأن من تبعنا من يهود، فإن له النصر والأسوة، غير مظلــومين، ولا متناصر عليهم) ثم زاد هذا الحكم إيضاحاً حيث نص فيها صراحة بقوله: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين...).

وبهذا نرى أن الإسلام قد اعتبر أهل الكتاب الذين يعيشون في أرجائه مواطنين، وأنهــم أمة مع المؤمنين، ما داموا قائمين بالواجبات المترتبة عليهم، فاختلاف الــدين لــيس -بمقتــضى أحكام الصحيفة- سبباً للحرمات من مبدأ المواطنة"[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ٧/٣٣٠.

(٢) وكان من بين نصوص الوثيقة: وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عــوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأَثِم فإنه لا يوتغ (يهلــك) إلا نفسه وأهل بيته، إن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بنــي عوف، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بن جُشَم مثل ما ليهود بني عوف. وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف إلا من ظلم وأثــم، فإنــه لا يتوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمــد ﷺ ، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بيــنهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه وإن النصر للمظلــوم، وإن اليهــود ينفقــون مــع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غيــر مــضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فــساده فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٥٠١.

(٣) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، ١/٣٣٠، مؤسسة اقرأ، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

ثانياً: نقض بني قريظة للوثيقة.

ولقد نقضت بنو قريظة الوثيقة، وحالوا التآمر على النبي ﷺ وعلى المسلمين وعلى الدولة الإسلامية.

وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب بحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب، افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء صدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك[1]،أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب، جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه فأني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً.

فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب[2] حتى سمح له، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبريء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذٍ سيد الأوس، وسعد ابن عبادة بن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذٍ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة، أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فألحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس.

قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد ابن معاذ

---

(١) جشيشتك: البر يطحن غليظاً. انظر: النهاية في غريب الحديث،٢٧٣/١.

(٢) الذروة والغارب: وهو مثل في المخادعة، وفي اللسان: "وما زال فلان يفتل من فلان في الذروة والغارب أي يدور من وراء خديعته". لسان العرب، ١٧٨/١٠.

وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، ثم قالوا عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ :الله أكبر، ابشروا يا معشر المسلمين[1].

ثالثاً: حكم الله في بني قريظة.

ولقد جاء حكم الله ﷻ في بني قريظة جزاء خيانتهم أن يقتلوا فقال الله تعالى: [وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] [2].

ولما حاصر النبي ﷺ بني قريظة وطال الحصار، نزلوا على حكم سعد بن معاذ -سيد الأوس - لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه بني قينقاع، حين استطلقهم من رسول الله ﷺ، فظن هؤلاء أن سعداً سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك[3].

ولقد ذكر الإمام البخاري القصة من حديث عائشة، قالت: **(أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة ،وهو حبان بن قيس من بني معيص بن عامر بن لؤي رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح، واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام، وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: قد وضعت السلاح؟ والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي ﷺ : فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء، والذرية وأن تقسم أموالهم، قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ، وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها، واجعل موتتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل**

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام،١٦١/٣-١٦٢.

(٢) سورة الأحزاب:٢٦-٢٧.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٦٦٤٧/٨.

إليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم، فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها رضي الله عنه)[1].

"ونفذ حكم الإعدام في أربعمائة في سوق المدينة، حيث حفرت أخاديد وقتلوا فيها بشكل مجموعات، وقد نجا مجموعة قليلة جداً؛ بسبب وفائها للعهد ودخولها في الإسلام، وقسمت أموالهم وذراريهم على المسلمين.

وهذا جزاء عادل نزل بمن أراد الغدر وتبرأ من حلفه للمسلمين، وكان جزاؤهم من جنس عملهم، حين عرضوا بخيانتهم أرواح المسلمين للقتل، وأموالهم للنهب، ونساءهم وذراريهم للسبي، فكان أن عوقبوا بذلك جزاء وفاقًا"[2].

المطلب الثاني: صفات يهود بني قريظة.

أولاً: الكذب.

وكانت من صفات بني قريظة الظاهرة في هذه الغزوة فهو الكذب .

ويظهر هذا جلياً عندما قدم زعماء يهود على كفار مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا(٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا] [3]إلى قوله تعالى: [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ...] [4]أي النبوة [...فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا] [5] .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، حديث رقم(٤١٢٢)، ١٢٢/٥. صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد ، حديث رقم(١٧٦٩)، ص٧٣٤.

(٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٢٠/٢.

(٣) سورة النساء: ٥١-٥٢.

(٤) سورة النساء:٥٤.

(٥) سورة النساء:٥٥.

قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم، ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له[1].

فدلت تلك الحادثة ورد اليهود على كفار قريش أن دينهم خير من دين محمد ﷺ دليلاً واضحاً على كذب اليهود.

ثانياً: نقض العهد.

ولقد اشتهر اليهود بنقض العهود ولقد بدا ذلك جلياً في تعاملهم مع النبي ﷺ.

"إن اليهود في المدينة لم يهادنوا الإسلام بعد وفوده عليهم إلا فترة قصيرة ، وكان الرسول ﷺ قد عقد معهم مهادنة أول مقدمه إليها، أوجب لهم فيها النصرة والحماية مشترطاً عليهم ألا يغدروا، ولا يفجروا، ولا يتجسسوا، ولا يعينوا عدواً، ولا يمدوا يداً بأذى .

ولكن اليهود ما لبثوا أن أحسوا بخطر الدين الجديد على مكانتهم التقليدية، بوصفهم أهل الكتاب الأول، وقد كانوا يتمتعون بمكانة عظيمة بين أهل يثرب بسبب هذه الصفة، كذلك أحسوا بخطر التنظيم الجديد الذي جاء به الإسلام للمجتمع بقيادة رسول الله ﷺ فقد كانوا قبل ذلك يستغلون الخلاف القائم بين الأوس والخزرج لتكون لهم الكلمة العليا في المدينة"[2].

وكان سبب غزوة الخندق، أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المسلمين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبى سفيان لغزو المسلمين، فخرج لذلك، ثم رجع للعام المقبل، خرج أشرافهم، كسلام بن أبى الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع وغيرهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله ﷺ، ويؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسهم بالنصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم، فاستجابوا لهم، ثم طافوا فى قبائل العرب، يدعونهم إلى ذلك، فاستجاب لهم من استجاب[3].

فكانت غزوة بني قريظة التي أعز الله بها الإسلام وأهله.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام،١٥٧/٣.

(٢) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٨٤٥.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١٥٧/٣.

الفصل الخامس

أثر العقيدة على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الأحزاب.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر العقيدة على الفرد.

المبحث الثاني: أثر العقيدة على المجتمع .

المبحث الأول

أثر العقيدة على الفرد.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الثقة بنصر الله .

المطلب الثاني: طاعة الله عز وجل ورسوله .

المطلب الثالث: صقل شخصية المؤمن.

المطلب الرابع: الاقتداء بالنبي ﷺ .

المطلب الخامس: تقويم السلوك.

المطلب الأول: الثقة بنصر الله .

ولقد تحدثت السورة عن هذا المعنى:

فقال تعالى: [وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] (١).

وقال تعالى: [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا] (٢).

صور نصر الله لعباده المؤمنين في سورة الأحزاب(٣).

١. نصر الله ﷻ لعباده المؤمنين بالملائكة.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (٤).

٢. نصر الله ﷻ لعباده المؤمنين بالريح.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا] (٥).

٣. نصر الله ﷻ لعباده المؤمنين بإلقاء الرعب في قلوب أعداء الله.

قال تعالى: [وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا] (٦).

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٥.

(٣) ولقد تحدثت عن أنواع نصر الله لعباده في مواضع متفرقة من هذا البحث بما يغني عن التكرار.

(٤) سورة الأحزاب: ٩.

(٥) سورة الأحزاب: ٩.

(٦) سورة الأحزاب: ٢٦.

المطلب الثاني: طاعة الله عز وجل ورسوله[1].

ولقد وردت آيات في سورة الأحزاب تحض على طاعة الله ﷻ .

قال تعالى: [... وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا] [2].

والمقصود: أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس سببا لشيء من المصائب .

ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سببا لمصيبة، بل طاعة الله والرسول لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة .

ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم، لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم، لا بسبب طاعتهم الله ورسولهﷺ.

وكذلك ما ابتلوا به في السراء والضراء والزلزال، ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به، ليتخلصوا مما فيهم من الشر وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار، ليتميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر الذي في نفسه، قال تعالى: [... وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ] [3]، [وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ] [4].وقال تعالى: [...وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] [5] [6].

"ولهذا كان الواجب على كل مؤمن طاعة الله ورسوله فيما ظهر له حسنه وما لم يظهر، وتحكيم علم الله وحكمه على علمه وحكمه فإن خير الدنيا والآخرة وصلاح المعاش والمعاد في طاعة الله ورسوله"[7].

---

(1) ولقد تحدثت في مواضع متفرقة عن هذا العنوان بحيث يغني عن الإعادة.

(2) سورة الأحزاب: ٧١.

(3) سورة آل عمران:١٤٠.

(4) سورة آل عمران:١٤١.

(5) سورة آل عمران:١٥٤.

(٦) الفتاوى الكبرى، ٢٥٥/١٤

(٧) الفتاوى الكبرى، ١١٦/٦.

المطلب الثالث: صقل شخصية المؤمن.

الابتلاء يصقل شخصية المؤمن وسورة الأحزاب وغزوة الأحزاب كان فيها من الابتلاء والبلاء ما جعل المسلمين يخرجون أكثر إيماناً، قال تعالى: [وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا] (١).

وعلى صعيد آخر أصبحوا أقدر على مواجهة أعدائهم لذلك قال النبي ﷺ في نهاية هذه الغزوة: **(الآن نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم)** (٢).

وهذا انتقال نوعي بالنسبة للمسلمين فبعد كانوا يتلقوا الضربات فقط أصبحوا هم الذين يوجهوا هذه الضربات إلى أعداء الله.

إن للابتلاءات والمحن والشدائد آثاراً في صقل الشخصية المؤمنة، ولا بد من دراستها لمعرفة فوائد هذه الابتلاءات عليها، ونحن لا نسأل الله أن يبتلينا، أو أن يوقع بنا الشدائد، وإنما نسأله العافية في الدنيا والآخرة.

ولكن إذا نزلت الشدائد فلها في طياتها خير كثير، وفوائد جمة فمنها:

أولاً: تحقيق العبودية لرب العالمين: وهذا هو الأساس وهو أن الإنسان عبد لله يفعل به ما يشاء، فيبتلي الله العبد بالخير وبالشر، وعلى العبد الاستجابة لأمره، فيصبر يتقي، فتظهر عبودية النفس لله في الابتلاء.

ثانياً: مغفرة الذنوب والخطايا؛ قال النبي ﷺ **(ما يزال بالبلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة)**(٣).

ثالثاً: ومن فوائد الابتلاءات في صقل الشخصيات أنها تدرب النفوس على رفض المغريات، فهذا كعب بن مالك ؓ لما قوطع وأمر النبي ﷺ المسلمين بعدم الكلام معه، فاشتد الأمر عليه، ومرت عشرات الليالي ولا أحداً يكلمه؛ حتى ابن عمه ومن أقرب الناس إليه لا يكلمه ولا يسلم عليه!! ومع هذا كله تأتيه رسالة من ملك غسان وفيها: الحق بنا نواسيك ، و لم يجعلك الله في أرض هوان ولا مضيعة ومع هذه المغريات، هل استجاب لها ؟!

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، حديث رقم(٤١١٠)، ١١٠/٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب المغازي، ما جاء في الصبر على البلاء ، حديث رقم(٢٣٩٩)، ص٥٤١.
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

هذا الابتلاء كان له أثر في صقل شخصيته وتربيتها على رفض المغريات، فإنه قال : (فتيممت بها التنور فسجرتها، وأحرقتها)

رابعاً: الابتلاء يكشف الادعاءات الباطلة، فإن بعض الناس فيهم كذب ونفاق كما أخبر الله عنهم: [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكَافِرِينَ] (1). فزعم هذا المنافق أنه لا يريد الذهاب إلى بلاد الروم للجهاد؛ لأنه يخشى على نفسه من جمال ناء الروم (فتنة نساء بني الأصفر)، فكشفت الدعاوى الباطلة، ونزل القرآن يفضحه.

خامساً: الابتلاء إعداد المؤمنين للتمكين في الأرض: فالشخصيات التي تستحق النصر والتمكين لا بد أن تبتلى، فقد سئل الشافعي - رحمه الله- :[أيهما أفضل أن يمكن للإنسان أم يبتلى؟ قال: لا يمكن حتى يبتلى]. فلا بد من الابتلاء حتى يكون النصر والتمكين؛ فهذا طريق هذا.

سادساً: إن هذه النفوس التي تبتلى ربما كان فيها معاص قد ارتكبتها وسيئات قد اقترفتها، فيكفر الله سيئاتها، (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا) أي: يبتليه بالمكاره.

سابعاً: أنه فرصة للتفكير في عيوب النفس وحاسبتها! فإن للنفس عيوباً وأخطاء من الحياة الماضية، فإذا حصل الابتلاء فكر الإنسان وحاسب نفسه وسألها لماذا حصل الابتلاء؟ هل بشيء من عمل يده؟(2).

المطلب الرابع: الاقتداء بالنبي ﷺ .

قال تعالى: [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا] (3).

وهذه الآية أصل أصيل وسند كبير في وجوب التأسي برسول الله ﷺ ، والإقتداء به، والسير عل نهجه ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه، لهذا أمر الله تعالى بالتأسي به ﷺ ، وكيف يكون التأسي إذا لم تكن محبة، فالإنسان لا يقتضي إلا بمن يحب(4).

---

(1) سورة التوبة:٤٩.

(٢) أثر الابتلاءات في صقل الشخصيات، ٢٠١٠/٤/٢٥م ، http://www.islamway.com

(3) سورة الأحزاب: ٢١.

(٤) انظر: محبة النبي ﷺ وطاعته بين الانسان والجماد، خليل العزامي، ص١٤٦، دار القلم العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

أولاً: معني الاقتداء.

١. الاقتداء في اللغة.

"القدو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء يقال قدوة وقدوة لما يقتدى به"[١].

٢. الاقتداء في الاصطلاح:

"ومعنى:"الاقتداء" في كلام العرب، بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه. يقال:"فلان يقدو فلانًا"، إذا نحا نحوه، واتبع أثره"[٢].

ثانياً: حكم الاقتداء بالنبي ﷺ .

وأفعاله الشرعية كان الاقتداء به فيها واجباً[٣]، ويقول في موضع آخر: "لأن الاقتداء به في أفعاله واجب على الكافة ما لم يقم دليل التخصيص "[٤].

قال ابن حجر:" والأصل في قوله تعالى [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...]

١. وقد ذهب جمع إلى وجوبه لدخوله في عموم الأمر بقوله تعالى: [...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...] [٥]،وبقوله [...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...] [٦]وبقوله تعالى [... فَاتَّبِعُوهُ ...] [٧]، فيجب إتباعه في فعله كما يجب في قوله حتى يقوم دليل على الندب أو الخصوصية

٢. وقال آخرون يحتمل الوجوب والندب والإباحة فيحتاج إلى القرينة والجمهور للندب إذا ظهر وجه القربة وقيل ولو لم يظهر ومنهم من فصل بين التكرار وعدمه.

٣. وقال آخرون ما يفعله ﷺ إن كان بياناً لمجمل فحكمه حكم ذلك المجمل وجوبا أو ندباً أو إباحة فان ظهر وجه القربة فللندب وما لم يظهر فيه وجه التقرب فللإباحة وإما تقريره على ما يفعل بحضرته فيدل على الجواز [٨].

---

(١) لسان العرب، ٧٠/١١.

(٢) جامع البيان ، ٥٢٠/١١.

(٣) شرح السنة، للإمام البغوى، ١١٨/٤.

(٤) المرجع السابق،٥/ ٣٤٢.

(٥) سورة الحشر:٧.

(٦) سورة آل عمران:٣١.

(٧) سورة الأحزاب: ٢٢.

(٨) انظر: فتح الباري، ٢٧٤/١٣-٢٧٥.

المطلب الخامس: تقويم السلوك.

ولقد جاءت الكثير من الآيات في السورة لتقويم سلوك المؤمنين.

فعندما تحدثت الآيات عن فعل المنافقين وموقفهم من الأحزاب، كانت هذه الآيات ترشدنا إلى أن نبتعد عن هذه السلوك المشين الذي قام به المنافقون، قال تعالى: [وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا] (١)، إلى قوله تعالى: [يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا] (٢).

وذكرت الآيات آداب الاستئذان فقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا] (٣).

يأمر تعالى عباده المؤمنين، بالتأدب مع رسول اللّه ﷺ، في دخول بيوته فقال: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ...] أي: لا تدخلوها بغير إذن للدخول فيها، لأجل الطعام. وأيضًا لا تكونوا [...نَاظِرِينَ إِنَاهُ...] أي: منتظرين ومتأنين لانتظار نضجه، أو سعة صدر بعد الفراغ منه. والمعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين:

الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة، ولهذا قال: [...وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ...] أي: قبل الطعام وبعده.

ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: [...إِنَّ ذَلِكُمْ...] أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، [...إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ...] أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه [...فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ...] أن يقول لكم: " اخرجوا " كما هو جاري العادة، أن الناس

(١) سورة الأحزاب: ١٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٣.

-وخصوصًا أهل الكرم منهم- يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم، لكن [...وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ...]

فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدباً وحياء، فإن الحزم كل الحزم، إتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء.

واللّه تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان.

فهذا أدبهم في الدخول في بيوته، وأما أدبهم معه في خطاب زوجاته، فإنه، إما أن يحتاج إلى ذلك، أو لا يحتاج إليه، فإن لم يحتج إليه، فلا حاجة إليه، والأدب تركه، وإن احتيج إليه، كأن يسألن متاعًا، أو غيره من أواني البيت أو نحوها، فإنهن يسألن [...مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...] أي: يكون بينكم وبينهن ستر، يستر عن النظر، لعدم الحاجة إليه.

فصار النظر إليهن ممنوعًا بكل حال، وكلامهن فيه التفصيل، الذي ذكره اللّه، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: [...ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ...] لأنه أبعد عن الريبة، وكلما بعد الإنسان عن الأسباب الداعية إلى الشر، فإنه أسلم له، وأطهر لقلبه.

فلهذا، من الأمور الشرعية التي بين اللّه كثيرًا من تفاصيلها، أن جميع وسائل الشر وأسبابه ومقدماته، ممنوعة، وأنه مشروع، البعد عنها، بكل طريق.

ثم قال كلمة جامعة وقاعدة عامة: [...وَمَا كَانَ لَكُمْ...] يا معشر المؤمنين، أي: غير لائق ولا مستحسن منكم، بل هو أقبح شيء [...أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ...] أي: أذية قولية أو فعلية، بجميع ما يتعلق به، [...وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا...] هذا من جملة ما يؤذيه، فإنه ﷺ، له مقام التعظيم، والرفعة والإكرام، وتزوج زوجاته مخل بهذا المقام.

وأيضا، فإنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، والزوجية باقية بعد موته، فلذلك لا يحل نكاح زوجاته بعده، لأحد من أمته.

[...إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا] وقد امتثلت هذه الأمة، هذا الأمر، واجتنبت ما نهى اللّه عنه منه، وللّه الحمد والشكر(١).

ومن الثوابت الأساسية في مجال العقيدة أن الإيمان بالله تعالى يدفع صاحبه إلى التحلي بالأخلاق الكريمة والالتزام بالأعمال الحسنة ، فمتى استقر الإيمان في القلب انعكس دلك على

---

(١) انظر: تيسير الكريم، ص٦٧٠.

أفعال الإنسان وأقواله فالخلق السوي هو دليل الإيمان الصادق، يقول الرسول ﷺ : (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً...**) [١].

والإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في السلوك، والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية، فهي بمجرد تحققها في عالم الشعور، تتحرك لتحقيق مدلولها في الخارج، ولتترجم نفسها إلى حركة والى عمل في عالم. والإيمان له آثار ايجابية ومهمة تنعكس على الإنسان في دينه ودنياه، في أقواله وسلوكه، فكلما تغلغل الإيمان في النفوس ونفذ إلى القلوب واقتنعت به العقول، وتأثرت به المشاعر إلا ومنح الإنسان طمأنينة النفس وسكينة القلب، فتقوى عزيمته وتتفتح بصيرته، ويتحرر من الخوف من العباد ويتجه لعبادة رب العباد الذي حدد الآجال لأوقات معلومة ، وقسم الأرزاق لأجال محدودة، يقول تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] [٢].

ويقول الرسول ﷺ :(**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**) [٣][٤].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الرضاع عن النبي ﷺ ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم(١١٦٢)، ص٢٧٦. قال أبو عيسى حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح.

(٢) سورة الأنعام:٨٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم(٢٩٩٩)، ص١٢٠٠.

(٤) الإيمان ودوره في توجيه الأخلاق و تقويم السلوك الاجتماعي والاقتصادي، محمد الوردي، http://www.maghress.com ٢٠١٠/٤/٢٧م

المبحث الثاني

أثر العقيدة على المجتمع .

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تحكيم شرع الله في الأمور كافة.

المطلب الثاني: الاعتبار بسنن الله عز وجل في الأمم .

المطلب الثالث: تحقق الانتصار على الكفار ووراثة الأرض.

المطلب الرابع: الحيطة والحذر من الكفار و المنافقين.

المطلب الخامس: إبطال العادات والتقاليد التي تخالف الإسلام.

المطلب الأول: تحكيم شرع الله في الأمور كافة.

ولقد حضت الكثير من الآيات في السورة إلى طاعة الله ﷻ ورسوله، و طاعة الله ﷻ ورسوله تعني الاحتكام إلى الشرع الذي أنزله الله ﷻ على نبيه.

ولقد حضت النبي ﷺ ومن وراءه المسلمين إلى طاعة الله، والاحتكام في كل الأمور إلى الله ﷻ، فقال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا(١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا] [١].

فمن الواجب إتباع الوحي من قرآن وسنة، وفي ذلك زجر عن إتباع مراسم الجاهلية. وأمر بجهادهم ومنابذتهم، وفيه دليل على ترك إتباع الآراء مع وجود النص، فلا مساغ للاجتهاد في مورد النص، والخطاب للنبي ﷺ ولأمته.

واللّه تعالى أراد بهذه الآيات غرس العزة والكرامة في نفوس المسلمين، والثقة بالذات، وعدم الالتفات إلى الأعداء، ومن أجل تحقيق تلك الغايات، قررت الآيات هذه الأحكام وهي أن اللّه عليم بالمصلحة والصواب، حكيم لا يأمر ولا ينهى إلا على وفق الحكمة والصواب، فالواجب الأول: امتثال الأمر وتنفيذ النهي، والواجب الثاني: إتباع وحي اللّه، فإن اللّه خبير بما يصلح أمور العباد، والواجب الثالث: التوكل على اللّه حقا ، ومن يتوكل على اللّه فهو حسبه وكافيه، وكفى باللّه وكيلاً[٢].

وحكم الله ﷻ في قضية التبني فقال الله تعالى: [...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ(٤) ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٥)] [٣].

وحكم الله تعالى على يهود بني قريظة بالقتل والأسر وأخذ أموالهم وديارهم، فقال تعالى: [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا(٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا] [٤].

---

(١) سورة الأحزاب: ١-٢.

(٢) انظر: التفسير المنير، ٢٣٠/٢١.

(٣) سورة الأحزاب: ٤-٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٢٥-٢٦.

وكان حكم سعد ﷺ فيهم موافق لحكم الله ﷻ (**...قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية وأن تقسم أموالهم...)**[1].

وقد يجد المسلمون بعض الحرج في تطبيق شريعة الله ﷻ؛ لأسباب كثيرة؛ منها العادات والتقاليد، وضعف الإيمان في قلوب الناس، واستعلاء الباطل.

فدعت السورة إلى تطبيق شرع الله وأحكامه، بغض النظر عن ماذا سيقول الناس، وذلك مثل الآيات التي تحدثت عن قصة النبي ﷺ مع زوجة ابنه بالتبني زينب بنت جحش، فقال الله تعالى: [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا(٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا(٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا] [2].

كانت عادة التبني متغلغلة في نفوس الناس ومشاعرهم، وليس من السهل التغلب عليها وإلغاء الآثار المترتبة عليها، هذه العادة في صدر الإسلام في مكة، وفي أول الهجرة إلى المدينة، ثم شاء الله تعالى فنزلت الآيات في نفي أن يكون الأدعياء أبناء لمن ادَّعاهم في الحقيقة، وإنما ذلك حسب دعوى المدعي فقط، وذلك لا يغير من الواقع شيئًا، فقال تعالى: [مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ] [3].

ثم أمر تبارك وتعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، فهذا من العدل والقسط والبر.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **(إن زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن)**[4][5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، حديث رقم(٤١٢٢)، ١٢٢/٥. صحيح مسلم، كتاب الجهاد، باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم(١٧٦٩)، ص٧٣٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦-٣٨.

(٣) سورة الأحزاب: ٤.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب [... ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ...] ، حديث رقم(٤٧٨٢)، ١١٦/٦.

(٥) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٣٩/٢.

المطلب الثاني: الاعتبار بسنن الله عز وجل في الأمم .

ولقد دلت السورة على هذا المعنى فقال تعالى: [سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا] (١).

قال ابن تيمية:"وقال تعالى: [وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا(٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا] (٢).

فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين، ولا يوجد لسنة الله تبديل تستبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قال في المنافقين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر ومن فيه شعبة نفاق [لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا(٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا(٦١) سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا] (٣).

والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة، فإذا نصر من ادعى النبوة وأتباعه على من خالفه، وإما ظاهراً وباطناً وإما باطناً، نصراً مستقراً، كان ذلك دليلاً على انه نبي صادق،إذ كانت سنة الله، وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين، كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها" (٤).

"ثم قال: [...سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ] أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم، [...فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلًا] أي: وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير"(٥).

يبين الله ﷻ إن جزاء هؤلاء المنافقين إن أصروا على نفاقهم تسليط أهل الحق والإيمان عليهم، لاستئصالهم بالقتل، وطردهم من البلاد، فلا يساكنون النبي ﷺ والمؤمنين في المدينة إلا مدة يسيرة حتى يهلكوا ، وطردهم من رحمة اللّه.

(١) سورة الأحزاب:٦٢.

(٢) سورة فاطر:٤٣.

(٣) سورة فاطر:٦٠-٦٢.

(٤) الجواب الصحيح، ٤٢١/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٥٠٤/٦.

إن هذا العقاب هو ما سنه اللّه عز وجل فيمن أرجف بالأنبياء، وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل، ولا تبديل ولا تغيير لسنة اللّه وحكمه، فلا يغيره هو سبحانه، ولا يستطيع أحد تغييره[1].

المطلب الثالث: تحقق الانتصار على الكفار ووراثة الأرض.

قال تعالى: [وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا(٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا(٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا] [2].

[...وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا] أي وألقى في نفوسهم الخوف الشديد، لممالأتهم المشركين على حرب النبي ﷺ ، وإخافتهم المسلمين، وقصدهم قتلهم، فانعكس الحال عليهم، وأسلموا أنفسهم للقتل، وأولادهم ونساءهم للسبي، فريقا تقتلون، وهم الرجال المقاتلة، وتأسرون فريقا، وهم النساء والصبيان.

[وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا]

أي جعل الله لكم أراضيهم المزروعة ومنازلهم المعمورة وأموالهم المدخرة، وأرضاً أخرى لم تطأها أقدامكم بعد وهي التي ستفتح في المستقبل، بعد بني قريظة، مثل خيبر ومكة وبلاد فارس والروم.

وكان الله صاحب القدرة المطلقة على كل شيء، فهو كما أورثكم أرض بني قريظة، ونصركم عليهم، قادر على أن يورثكم غير ذلك، وينصركم على أقوام آخرين[3].

وفي هذه الآيات تأكيد على حتمية انتصار الحق على الباطل، وانتصار الإيمان على الكفر، حتى أن النبي ﷺ في أحلك الظروف لم يتوانى على بشارة الصحابة بالانتصار والغلبة، فعلى الرغم من حصار الكفار للمدينة، وخذلان المنافقين للنبي ﷺ ، وخيانة اليهود للمعاهدة، إلا أن النبي ﷺ يبشر أصحابه، يقول البراء بن عازب ﷺ **(قال أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ قال: عوف وأحسبه، قال: وضع ثوبه، ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ**

---

(١) انظر: التفسير المنير، ١١٤/٢٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٥-٢٧.

(٣) انظر: التفسير المنير، ٢٨٠/٢١.

المعول، فقال: بسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)[1].

المطلب الرابع: الحيطة والحذر من الكفار و المنافقين.

قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللهَ وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا] [2].

قال تعالى: [وَلَا تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا] [3].

ولقد حذرت السورة من المنافقين ومن الكفار، وبينت أنه ما من مجال يكون فيه ضرب للإسلام وإضعاف لأهله إلا ونجد للمنافقين المتظاهرين بالإسلام في هذا العصر أوفر الحظ والنصيب، كانت المجالات التي يسلكها المنافقون لضرب الإسلام ومحاولة القضاء عليه كلما وجدوا سانحة ولا تزال هي[4]:

١. التخذيل للمسلمين والتهوين من شر أعداء الدين.

٢. الإشاعات المغرضة.

٣. التجسس على المسلمين ومد الأعداء بما يعينهم على ذلك.

٤. الإعلام لتغيير المفاهيم، والتشكيك في المسلمات، وزرع الخوف في نفوس الضعفاء.

٥. موالاة الكفار ومعاداة أهل الإسلام.

كل هذه المجالات سلكها المنافقون في الماضي، ولكن زاد عليها منافقو هذا العصر مجالات أخر لم تخطر ببال إخوانهم وسلفهم الطالح، ألا وهي:

٦. القتال والتخطيط والتعاون على ذلك جنباً إلى جنب مع الكفار، من غير خوف ولا وجل ولا حياء، مبررين لذلك بتبريرات ما أنزل الله بها من سلطان، ولم تخطر على بال الشيطان.

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل، حديث رقم(١٨٦٩٤)، ٦٢٦/٣٠.وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٩٧/٧.

(٢) سورة الأحزاب: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٨.

(٤) المنافقون اليوم أكثر عدداً، وأعظم خطراً وشراً من المنافقين الماضين،٢٠١٠/٤/٢٧م
http://www.islamadvice.com/

٧. إعلان حربهم ومجاهرتهم بعدائهم للإسلام والمسلمين.

فنرى في هذه الغزوة تبين بوضوح تكالب الكفر على المسلمين، لقد تمالأ العرب واليهود في الجزيرة، وقاد أبو سفيان أضخمَ جيش شهدته جزيرة العرب الذي كان عشرةَ أضعافِ جيشِ بدرٍ وقرابة أربعة أضعاف جيش أحد ،إضافة إلى العدو الداخلي يهود بني قريظة الذين نقضوا العهد وانضموا إلى الأحزاب، لقد جاء الكفر جملة واحدة ،وإذن فلا بد أن يقرَّ في حس المسلمين أن الكفر كلَّه قد يلتقي في مرحلة من المراحل على إبادة الإسلام والمسلمين ويتناسى ما بينه من عداوات؛ لأن الكفر ملة واحدة في الحقيقة؛ ولأنهم جميعاً حرب على الإسلام؛ لأنهم يشتركون في الخطر المحدق بهم من ظهور الدين الحق الذي يقطع مصالحهم في استعباد الناس وتسخيرهم لأهوائهم[١].

المطلب الخامس: إبطال العادات والتقاليد التي تخالف الإسلام.

ولقد ورد في آيات سورة الأحزاب ما يقضي على الكثير من المعتقدات والعادات والتقاليد التي تخالف الإسلام وكان منها :

أولاً: إبطال القول أن هناك قلبين لرجل.

قال تعالى: [مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ...] [٢].

"قال بعض المفسرين الآية نزلت في أبي معمر كان يقول لي قلبان أعلم وأفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فرد الله عليه بقوله: [مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ...] "[٣].

ثانياً: إبطال عادة الظهار.

ولقد تحدثت الآيات عن إبطال عادة الظهار، التي كانت موجودة عند العرب في الجاهلية قبل الإسلام فقال تعالى [...وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ...] [٤].

والظهار هو:" تشبيه زوجته أو ما عبر به عنها، أو جزء شائع منها بعضو يحرم نظره إليه، من أعضاء محارمه نسباً أو رضاعاً؛ كأمه وابنته وأخته" [٥].

---

(١) انظر: غزوة الأحزاب دروس وعبر، أمير بن محمد المدري، ص١٦. ٢٠١٠/٣/٢٥م http://www.saaid.net

(٢) سورة الأحزاب:٤.

(٣) تفسير الفخر الرازى، ١/ ٣٦٢٤.

(٤) سورة الأحزاب:٤.

(٥) التعريفات، ١٨٧/١.

"فأوجب علينا دعاءه لأبيه الذي ولده دون من تبناه، وحرم التبني، ثم أمر عند عدم العلم بالأب بأن يدعي أخاه في الدين ومولاه، كما قال النبي ﷺ لزيد بن حارثة: **(أنت أخونا ومولانا)**[(1)]"[(2)].

ثالثاً: أبطال نسبة الابن بالتبني.

وقضي على ظاهرة نسبة الولد المُتبنى إلى الأب المتبني فقال الله تعالى: [...وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ(٤) ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا(٥)] [(3)].

وأكد الله ﷻ لهذا الحكم عندما طلب الله ﷻ من الرسول ﷺ أن يتزوج بزينب بنت جحش زوجة زيد بن ثابت، الذي كان يسمى في يوم الأيام زيد بن محمد، فقال الله تعالى: [وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا] [(4)].

وقد بين الله ﷻ المقصود من زواج رسوله ﷺ بزينب بقوله [... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا] .

المعنى: لما فرغ زيد منها وطابت نفسه عنها، وطلقها، أمرناك بتزوجها؛ لئلا يبقى في قلوب المؤمنين حرج في تزوج زوجات أدعيائهم، الذين تبنوهم، فصاروا يدعون إليهم، فيقال: ابن فلان، وليس ابناً له، إذا فارقوهن.

وهذا إمعان في إبطال هذا التبني، الذي كان معروفاً في الجاهلية الأولى كما عرف في الجاهلية الحاضرة، حيث أمر الله تعالى إمام المسلمين وقدوتهم بذلك، وكان زيد بن حارثة قد تبناه رسول الله ﷺ، وكان يدعى بزيد بن محمد[(5)].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب ،باب عمرة القضاء ذكره أنس عن النبي ﷺ ، حديث رقم(٤٢٥١)، ١٤١/٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦٤/٢٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٤-٥.

(٤) سورة الأحزاب:٣٧.

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، ٣١٩/١، المكتبة الشاملة.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا، ويمكن بيانها على النحو التالي:

١. سورة الأحزاب سجلت أحداث أهم المعارك في حياة الأمة الإسلامية في العهد النبوي، معركة فاصلة نقلت المسلمين من مرحلة الاستضعاف وتلقي ضربات المشركين إلى مرحلة التمكين وضرب المشركين في عقر دارهم.

٢. تحدثت السورة عن قضايا عقائدية مهمة والتي لم ترد في غيرها من السور مثل عقيدة ختم النبوة، وأولي العزم من الرسل، و آية التطهير.

٣. تبين السورة سنة من سنن الله ﷻ ، وهي أن يرد الله ﷻ أعدائه وأعداء الإسلام خائبين مهزومين ، مهما تجرموا وتحزبوا وأخذوا من أسباب القوة ما أخذوا، وذلك بشرط واحد، أن يكون أنصار الحق مؤمنين صالحين موقنين بنصر الله لعباده الصالحين.

٤. بينت السورة أن التوكل على الله لا ينافي اتخاذ الأسباب، بل التوكل لا يتم إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريده الأسباب التي توصله إلى تحقيقه، فالله ﷻ ربط الأسباب بمسبباتها، فلا بد من الأخذ بالأسباب التي توصل الإنسان إلى تحقيق حاجاته والحصول على مطالبه.

٥. ودعت السورة إلى عبادات كثيرة، منها الصلاة و الزكاة والصوم والتصدق والتقوى والتوكل على الله والاستسلام لله والتسبيح و طاعة الله والرسول والذكر.

٦. ولقد دلت السورة على أولي العزم من الرسل فقال الله تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا] (١)

٧. ولقد دلت السورة على عقيدة ختم النبوة فقال الله تعالى: [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا] (٢).

٨. ولقد تحدثت السورة عن تطهير آل بيت النبي ﷺ ، ولقد تبين بالدليل القاطع بطلان قول الشيعة أن المقصود بآل بيت النبي ﷺ، هم فاطمة وعلي الحسين والحسين بل المقصود هنا هم زوجات النبي ﷺ .

---

(١) سورة الأحزاب:٧.

(٢) سورة الأحزاب:٤٠.

٩. ثبت في السورة قتال الملائكة مع المسلمين في غزوة الأحزاب.

١٠. السورة تحدد أُطر الحياة في المجتمع الإسلامي، الاستئذان عند دخول بيوت النبي ﷺ، واحتشام المرأة المسلمة، وتحدد الأخلاقيات العليا للمرأة، وتطرح مجموعة من القضايا ينبغي علينا أن نعيها ونطبقها في حياتنا.

١١. تكشف السورة اليهود وحقيقة عدائهم للمسلمين ونقضهم للعهود والمواثيق.

١٢. تكشف السورة فضائح المنافقين وتبين صفاتهم وتحذر من مكائدهم.

١٣. تبين السورة أن الإيمان يزيد وينقص.

١٤. توضح السورة أن موعد الساعة هي من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله.

١٥. دلت السورة على وجوب توقير النبي ﷺ .

١٦. دلت السورة على خصائص كثيرة من خصائص النبي ﷺ ، مثل ختم النبوة، و اختصاصه ﷺ بالشهادة على أمته بإبلاغ الرسالة، اختصاصه ﷺ بنداء الله تعالى له بأعز أوصافه.

١٧. تحدثت السورة عن صفات المؤمنين الواجب توافرها في الفرد المسلم.

١٨. بينت السورة جواز لعن الكفار.

التوصيات

١. التركيز على منهج القرآن الكريم والسنة في عرض العقيدة الإسلامية، وغرسها في نفوس الشباب، وإخراج رسائل علمية تقتصر على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بعيداً عن آراء الفرق الضالة.
٢. أوصي شباب المسلمين بالالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من التعصب المذموم، الذي قد يؤذي إلى تكفير المجتمع.

وهذه رسالة من يعترف بقلة علمه، وقلة زاده، وكثرة ذنوبه، وأنه لا يزال في بداية طريق العلم، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وحسبي أني اجتهدت، [...وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] {هود:٨٨} .

وصلِ الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

١_ فهرس الآيات

٢_ فهرس الأحاديث

٣_ فهرس الأعلام المترجم لهم

٤_ فهرس المصادر والمراجع

٥_ فهرس الموضوعات

١. فهرس الآيات.

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة البقرة		
١.	[أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]	٥	١٥١
٢.	[خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ...]	٧	٨٦
٣.	[وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ ...]	٨	١٦٠
٤.	[...لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً ...]	٥٥	٨٢
٥.	[... لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ...]	٦١	٨٢
٦.	[... لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...]	١٤٣	٩١
٧.	، [...وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ]	١٥٠	٢٥
٨.	[... إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ]	١٥٣	١٥٣-١٢
٩.	[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ...]	١٦١	١٧٨
١٠.	[أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا ...]	٢١٤	١٣
١١.	[... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ...]	٢٥٥	٢٤
	سورة آل عمران		
١٢.	[...فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ...]	٣١	١٨٩
١٣.	[مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ...]	٧٩	١٦
١٤.	: [... وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا ...]	١٤٠	١٨٦
١٥.	[وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ]	١٤١	١٨٦

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
١٦.	[...لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ...]	١٥٤	١٩-١٨٦
١٧.	: [... وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ]	١٥٤	٢٩
١٨.	[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ...]	١٥٦	٢١-٢٩
	سورة النساء		
١٩.	[فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا]	٤١	٩١
٢٠.	[أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا]	٥٢	١٨١
٢١.	[أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ...]	٥٤	١٨١
٢٢.	[...فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ...]	٥٥	١٨١
٢٣.	[... كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ...]	٥٦	١٢٢
٢٤.	[... فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ..]	٥٩	١٧
٢٥.	[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ .. ...]	٦٠	١٧
٢٦.	[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...]	٦٥	١٥-١٧-٣٣-٣٧
٢٧.	[...قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا]	٧٧	١٨
٢٨.	[أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...]	٧٨	٢٠-٢٦
٢٩.	[وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا ...]	١١٢	٩٩
٣٠.	[إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا]	١٤٥	١٥٥

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة المائدة		
٣١.	[... اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ...]	٣	٢٣-٨٧-٨٨
٣٢.	[وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ...]	٢٣	٤٢-٤٣
٣٣.	[... فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ...]	٢٤	٨٢
٣٤.	[...قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ]	٣٧	١٢٥
٣٥.	[... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ]	٤٤	٢٩
٣٦.	[.... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ]	٤٥	٢٩
٣٧.	[... لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ]	٤٧	٣
٣٨.	[وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ...]	٤٨	٨٨
٣٩.	[أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ]	٥٠	٣٠
٤٠.	[... يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ...]	٦٤	٩٨
	سورة الأنعام		
٤١.	[... فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآَيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ]	٣٣	١٦٩
٤٢.	[قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ...]	٥٠	٢٥
٤٣.	[وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...]	٥٩	٢٤
٤٤.	[...عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...]	٧٣	٢٣-٤٧
٤٥.	[الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ ...]	٨٢	١٩٢

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
٤٦.	[...وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ]	١٢١	١٧
٤٧.	[... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ...]	١٥٢	١٦٢
	سورة الأعراف		
٤٨.	[.... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ]	٣٤	٢٦
٤٩.	[إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ .]	٤٠	١٢٥
٥٠.	[...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ...]	٥٤	١٧
٥١.	[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ...]	١٥٨	٨٨
٥٢.	[وَللهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ..]	١٨٠	٤٦
	سورة الأنفال		
٥٣.	[إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ...]	٤٩	١٦١
	سورة التوبة		
٥٤.	[... عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ ...]	٣٠	٩٨
٥٥.	[...الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ...]	٣٠	٩٨
٥٦.	[اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ ...]	٣١	٣٠
٥٧.	[... وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ...]	٣٦	١٠٣
٥٨.	[لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ...]	٤٧	١٥٨
٥٩.	[وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ...]	٤٩	١٨٨

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
٦٠.	[قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ...]	٥١	٢٩
٦١.	[يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ...]	٦٢	١٥٩
٦٢.	[وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ ...]	٧٥	١٦٢
٦٣.	[فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ]	٧٦	١٦٢
٦٤.	[فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ..]	٧٧	١٦٢
٦٥.	[يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ...]	٩٦	١٥٩
٦٦.	[وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا...]	١٠١	١٥٨
	سورة يونس		
٦٧.	[وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ ...]	١٠٧	٢٤
	سورة هود		
٦٨.	[قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ.... .]	٧٣	١٠٢
	سورة يوسف		
٦٩.	[...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ..]	١٧	١٤٠
٧٠.	[... وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ]	٢٩	١٠٢
	سورة الحجر		
٧١.	[رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ]	٢	١٢٤
٧٢.	[... هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ]	٨٦	٤٧
	سورة النحل		

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
٧٣.	[أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]	١	١١٨
٧٤.	[يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ]	٨٣	٢٩
٧٥.	[...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ...]	٨٩	٨٨
٧٦.	[...وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ]	١٠٠	٤١
٧٧.	[إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآَيَاتِ اللهِ ...]	١٠٥	١٤٤
٧٨.	[إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ]	١٢٨	١٢
	سورة الإسراء		
٧٩.	[وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ...]	١٣	١١٦
٨٠.	[اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا]	١٤	١١٦
٨١.	[قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ...]	١٠٠	٦٦
	سورة الكهف		
٨٢.	[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ ...]	١٣	١٤٩
	سورة مريم		
٨٣.	[وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ]	٣٩	١١٨
٨٤.	[وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ...]	٧٦	١٤٩
	سورة الأنبياء		
٨٥.	[اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ]	١	١١٨

م	الآيــــة	رقمها	الصفحة
.٨٦	[... لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ]	١٩	١٠٨
.٨٧	[يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ]	٢٠	١٠٨-١٠٩
.٨٨	[... بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ]	٢٦	١٠٨
.٨٩	[لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ]	٢٧	١٠٨-١٠٩
.٩٠	[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ]	١٠٧	٨٨
	سورة الحج		
.٩١	[...فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ...]	١١	١٦٠
.٩٢	[... فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ ....]	١٩	١٢٢
.٩٣	[يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ]	٢٠	١٢٢
.٩٤	[وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ]	٢١	١٢٢
.٩٥	[كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا ...]	٢٢	١٢٢
.٩٦	[وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى...]	٥٢	٧٨
	سورة المؤمنون		
.٩٧	[وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ]	٥	١٤٧
.٩٨	[إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ]	٦	١٤٧
.٩٩	[فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ]	٧	١٤٧
.١٠٠	[...أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ]	٤٧	١٦٩

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
١٠١.	[وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ]	٧٥	٦٦
	سورة النور		
١٠٢.	[...فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...]	٦٣	١٥-٣٨
	سورة الفرقان		
١٠٣.	[وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ...]	٢٧	١٢٤
١٠٤.	[يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا]	٢٨	١٢٤
١٠٥.	[لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ...]	٢٩	١٢٤
	سورة الشعراء		
١٠٦.	[وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ]	٧٩	٢٧
١٠٧.	[وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]	٨٠	٢٧
	سورة النمل		
١٠٨.	[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ ...]	١٤	١٦٩
١٠٩.	[... مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ...]	٦٠	١٦
١١٠.	[قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ...]	٦٥	٢١-٢٥-٢٣
	سورة القصص		
١١١.	[وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ...]	١٢	١٠٢
١١٢.	[فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ...]	٢٩	١٠٢

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة العنكبوت		
١١٣.	[...إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِينَ]	٣٣	١٠٢
	سورة لقمان		
١١٤.	[إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ...]	٣٤	٢١-١١٨
	سورة سبأ		
١١٥.	[وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ...]	٢٨	٨٨
	سورة فاطر		
١١٦.	[... جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ...]	١	٢٦-١١٠
١١٧.	[مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا ...]	٢	٢٦
١١٨.	[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ....]	٣	٢٦
١١٩.	[وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا...]	٣٦	١٢٢
١٢٠.	[اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا...]	٤٣	١٩٦
١٢١.	[...وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ ...]	٤٤	١٣٢
١٢٢.	[لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي...]	٦٠	١٩٦
١٢٣.	[مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا]	٦١	١٩٦
١٢٤.	[سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا]	٦٢	١٩٦
	سورة يس		
١٢٥.	[وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ]	٢٨	١١٣

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة ص		
١٢٦.	[....إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا...]	٤٤	١٢٩
	سورة الزمر		
١٢٧.	[... إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ]	١٠	١٤٥
١٢٨.	[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ...]	٣٨	٢٤
	سورة غافر		
١٢٩.	[فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...]	٥٥	١٤٤
١٣٠.	[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...]	٦٠	٣٨
	سورة فصلت		
١٣١.	: [فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ...]	١٢	١٢٨
١٣٢.	[إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ...]	٤٠	٤٦
١٣٣.	[وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أُ...]	٥٠	٢٨
	سورة الشورى		
١٣٤.	[وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ ...]	١٠	١٨
١٣٥.	[...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ]	١١	٤٦-٥٦
١٣٦.	[أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ...]	٢١	١٧
١٣٧.	[... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ ...]	٢٣	١٠٤

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
١٣٨.	[وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ...]	٥١	١٦
	سورة الزخرف		
١٣٩.	[إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ]	٧٤	١٢٣
١٤٠.	[لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ]	٧٥	١٢٣
	سورة محمد		
١٤١.	[وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ]	١٧	١٤٩
١٤٢.	[...أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا]	٢٤	٨٦
١٤٣.	[وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ...]	٣٠	١٥٨
	سورة الفتح		
١٤٤.	: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا...]	٤	١٤٩
	سورة الحجرات		
١٤٥.	[قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ...]	١٤	١٣٩-١٤١
	سورة الذاريات		
١٤٦.	[وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ]	٤٩	٢٧
	سورة القمر		
١٤٧.	[اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ]	١	١١٨
	سورة الحديد		
١٤٨.	[... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ]	٤	١٢

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة الحشر		
.١٤٩	[...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ...]	٧	١٨٩
.١٥٠	[...هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ...]	٢٣	١٠
	سورة المنافقون		
.١٥١	[... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ...]	٤	١٥٦
	سورة التحريم		
.١٥٢	[...لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ]	٦	١٠٨
	سورة الجن		
.١٥٣	[وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا]	١٠	٢٧
.١٥٤	[عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا]	٢٦	٢١-٢٥
.١٥٥	[إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ...]	٢٧	٢١-٢٥
.١٥٦	[لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ...]	٢٨	٢٣
	سورة المدثر		
.١٥٧	[... وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ...]	٣١	١٤٩
	سورة النازعات		
.١٥٨	[يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا]	٤٢	١١٧
.١٥٩	[فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا]	٤٣	١١٧
.١٦٠	[إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا]	٤٥	١١٧

م	الآيـــة	رقمها	الصفحة
	سورة المطففين		
١٦١.	[خِتَامُهُ مِسْكٌ ...]	٢٦	٨٦
	سورة البلد		
١٦٢.	[ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ...]	١٧	١٤٨

٢. فهــرس الأحاديــث النبويــة

م	الحديـث	رقم الصفحة
١.	(أتيت النبيﷺ لأبايعه فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله ...)	٣٤
٢.	(اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب والنياحة)	١٧٠
٣.	(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن...)	٢٦-١٣٦
٤.	(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة ...)	١٥٧
٥.	(إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار...)	١٢١
٦.	(إذا هم أحدكم بالأمر....)	٦٥
٧.	(إذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)	١٨
٨.	(أذكركم الله في أهل بيتي...)	١٠٣
٩.	(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...)	١٠٨-١٤١
١٠.	(أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له...)	١٨٠
١١.	(اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرأ في سورة براءة...)	٣٠
١٢.	(ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى...)	٨٧
١٣.	(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)	١٩٢
١٤.	(أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق قال وعرض لنا صخرة...)	١٩٧
١٥.	(أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر...)	٨٧
١٦.	(أنت أخونا ومولانا)	٢٠٠

١٧.	(أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح ...)	١٨٠
١٨.	(إن زيد بن حارثة ﷺ مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد...)	١٩٥
١٩.	(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى...)	٣٧
٢٠.	(الآن نغزوهم، ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم)	١٤-١٨٧
٢١.	(الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...)	١٤١
٢٢.	(بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى)	٢٠
٢٣.	(ثم يرسل إليه الملك فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)	١٠٩
٢٤.	(خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء ...)	١٠١
٢٥.	(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار...)	١٠٩
٢٦.	(رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم...)	١١١
٢٧.	(رحمة الله على موسى...)	٨١
٢٨.	(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر)	١٦٩
٢٩.	(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...)	١٤٦
٣٠.	(عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ...)	١٩٢
٣١.	(عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل...)	٧٨
٣٢.	(العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ...)	٢٤
٣٣.	(فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما...)	١٠٤
٣٤.	(قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً...)	٦٦
٣٥.	(كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ)	٨٧

٣٦.	(كانت هذه السورة تعدل سورة البقرة...)	٣
٣٧.	(كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض...)	٨١
٣٨.	(كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض...)	١١٢
٣٩.	(لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، ...)	٢٣
٤٠.	(لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)	١٧٠
٤١.	(لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان...)	٨٧
٤٢.	(لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)	١٧٣
٤٣.	(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...)	١٤١
٤٤.	(لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك)	٢٧
٤٥.	(لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا...)	٢٢
٤٦.	(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)	١٧٤
٤٧.	(لعن المؤمن كقتله)	١٦٥
٤٨.	(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...)	٩٧
٤٩.	(اللهم لك أسلمت وبك آمنت...)	١٤٢
٥٠.	(لم تقاتل الملائكة مع النبي ﷺ إلا يوم بدر ...)	١١٣
٥١.	(لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد...)	٩٢
٥٢.	(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان...)	١٤٦
٥٣.	(ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة...)	٩٥

٥٤.	(ما يزال بالبلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده...)	١٨٧
٥٥.	(مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها...)	٨٧
٥٦.	(مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ...)	١١٨
٥٧.	(من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه، فقد كذب...)	٢١
٥٨.	(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده...)	١٥٠
٥٩.	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)	ث
٦٠.	(من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ...)	١٥٧
٦١.	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)	ث
٦٢.	(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)	١٥
٦٣.	(واعلم أن الناس لو اجتمعوا...)	٢٦
٦٤.	(والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم ...)	٩٥
٦٥.	(يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج...)	١٤٧
٦٦.	(يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ...)	١١٨-١٢١
٦٧.	(يؤذيني ابن آدم، يسبّ الدهر، وأنا الدهر. أقلّب ليله ونهاره)	٩٨

٣. فهـــرس الأعـــلام المتـــرجم لهـــم

م	الاســـم	رقم الصفحة
١.	إبراهيم بن محمد بن السِّري(الزجاج)	٥٧
٢.	أحمد بن فارس المعروف بالرازي	٣٢
٣.	حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي	١٤٠
٤.	سهل بن المتوكل بن حجر أبو عصمة البخاري.	١٥٢
٥.	سيد قطب بن إبراهيم	٧٦
٦.	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(النسفي)	١٦
٧.	عبد الله بن المبارك	١٥٠
٨.	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ابن قتيبة)	٢٩
٩.	عطاء بن أبي رباح .	١٥٠
١٠.	علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية (الواحدي)	١٣
١١.	علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي	١١٣
١٢.	علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي	١٣
١٣.	الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي	١٠١

١٤.	محمد الطاهر بن عاشور	٣
١٥.	محمد بن أحمد بن سالم السفاريني	٦٥
١٦.	محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء (ابن اسحاق)	٢
١٧.	محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (أبو بكر ابن العربي)	٩٢
١٨.	محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرماني	١٥١
١٩.	محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، بدر الدين العينى	٦٦
٢٠.	محمود بن عبد الله الحسينى الألوسى	٣٤
٢١.	محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري	١١٣

٤.فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: الكتب.

١. الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م

٢. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي - ابن العربي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان الفوزان، بدون ناشر، بدون رقم طبعة،١٤٢٢هـ.

٤. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة.

٥. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، ط٦، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

٦. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١٤٢١،١هـ/٢٠٠٠م

٧. الأسماء والصفات،البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر،تحقيق/ عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، ط١،بدون سنة طبعة.

٨. أصول الدين، عبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

٩. أُصُول السُنَّة،عبدالله بن الزبير الحُميديُّ، تحقيق: مشعل الحداري، دار ابن الأثير، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، بدون رقم طبعة،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة،بيروت- لبنان،ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

١٢. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبي بكر حسين البيهقي، تحقيق: أحمد أبو العينين، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٣. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكيمي ، تحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، مكتبة الرشد- الرياض،ط٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٤. الأعلام،خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م.

١٥. اقتضاء الصراط المستقيم،ابن تيمية، تحقيق: صلاح عويضة، مكتبة الإيمان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٦. أوثق عرى الإيمان، سليمان ابن عبد الوهاب، دار القاسم، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧. آية التطهير و علاقتها بعصمة الأئمة، عبد الهادي الحسيني، دار الإيمان، بدون رقم طبعة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨. أيسر التفاسير،أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكمة، بدون رقم طبعة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٩. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عبدالحميد الأثري، مدار الوطن للنشر - الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ

٢٠. الإيمان، ابن تيمية، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢١. الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، تحقيق : علي بن الفقيهي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢،١٤٠٦هـ.

٢٢. الإيمان، محمد ياسين، مكتبة السنة،ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٢٣. البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٢٤. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، بدون سنة ورقم طبعة.

٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٦. التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس، بدون رقم طبعة، ١٩٩٧م.

٢٧. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير عيون، دار المؤيد، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

٢٨. تذكرة الحفاظ، الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي،دار الكتب العلمية بدون رقم طبعة، ١٣٣٧هـ.

٢٩. تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق البدر، غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣٠. التذكرة للقرطبي، تحقيق: الصادق بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ

٣١. التربية الإسلامية في سورة الأحزاب، على عبد الحليم محمود ، دار التوزيـــع والنـــشر الإسلامية، بدون سنة طبعة، ١٩٩٦م.
٣٢. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتـــاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـــ.
٣٣. التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الفوزان، دار العاصمة، بـــدون رقـــم و سنة الطبعة.
٣٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، تحقيق:السيد محمد السيد وآخـــرون ، دار الحـــديث – القاهرة، بدون رقم طبعة، ١٤٢٦هــ/٢٠٠٥م.
٣٥. التفسير الكامل وهو تفسير آي القرآن الكريم ، ابن تيمية ، جمع وتحقيـــق/ عمـــر بـــن عزامة العمري، دار الفكر بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٣هـــ /٢٠٠٢م
٣٦. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بـــالفخر الـــرازي، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هــ/١٩٨١م.
٣٧. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، دار المنار، ط٢، ١٣٦٦هــ/١٩٤٧م.
٣٨. التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلـــى، دار الفكـــر المعاصر، لبنان، ط٢، ١٤١٨هـــ / ١٩٩٨م.
٣٩. تفسير النسفى،أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مـــروان محمـــد الشعار،دار النفائس ـــ بيروت، بدون رقم طبعة، ٢٠٠٥م.
٤٠. التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي،دار الفكر،دمشق، ط١،١٤٢٢هـــ /٢٠٠١م.
٤١. تفسير آيات الأحكام مـــن القـــرآن، محمـــد علـــي الـــصابوني، دار الـــصابوني، ط١، ١٤٢٨هــ/٢٠٠٧م.
٤٢. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، أسعد السحمراني، دار النفائس، ط١، ١٤٠٨هــــ/ ١٩٨٨م.
٤٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الـــشيخ، دار التوحيد ،ط١،١٤٢٤هـــ / ٢٠٠٣م.
٤٤. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق:عبد السلام هـــارون وآخرون، الدار المصرية بدون رقم طبعة،١٣٨٤ هــ/ ١٩٦٤م.
٤٥. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : محمـــد الدايـــة، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، ط١ ، ١٤١٠ هـــ.
٤٦. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الوهاب، المكتب الإســـلامي، بيروت، ط٣، ١٣٧٩هـــ.

٤٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبد الرحمن بن ناصرا لسعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٨. الثقات، ابن حبان، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ط١، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م
٤٩. جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن محمد، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٥٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله،المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ،ط١، ١٤٢٢هـ
٥١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: صدقي جميل العطار،دار الفكر – بيروت، ط١ ،١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م،
٥٢. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام،ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور آل سليمان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٥٣. الجنة والنار، عمر الأشقر، دار النفائس، بدون رقم طبعة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٥٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي حسن ناصر وآخرون، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٥٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري،دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨م.
٥٦. الحبائك في أخبار الملائك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن، بدون رقم طبعة، ١٩٩٠م.
٥٧. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
٥٨. الخصائص الكبرى، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي،تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون، مكتبة الأهرام، بدون رقم وسنة طبعة.
٥٩. خصائص المصطفى بين الغلو و الجفاء، الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٦٠. خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، فضل عباس، دار البشير، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٦١. الدين الخالص، السيد محمد صديق حسن، دار التراث، بدون رقم وسنة طبعة.

٦٢. رسائل في العقيدة، محمد بن ابراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٨٧م.
٦٣. الرسل والرسالات،عمر الأشقر ،دار النفائس- الأردن، ط١١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٦٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي ، دار الفكر ، بدون رقم الطبعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
٦٥. الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٦٦. زاد المسير في علم التفسير،عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٦٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤.
٦٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، دار المعارف، ط١،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٦٩. سلسلة الأسماء والصفات، محمد الحسن الشنقيطي، الموسوعة الشاملة.
٧٠. سنن ابن ماجة، تحقيق: تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة.
٧١. سنن أبي داود، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة.
٧٢. سنن الترمذي، تحقيق: محمد الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، بدون سنة طبعة.
٧٣. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٧٤. سيرة ابن هشام، تحقيق: أحمد حجازي السقا،دار التراث العربي للطباعة والنشر، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٧٥. السيرة الحلبية في سيرة الأمين، علي بن برهان الدين الحلبي،دار المعرفة، بدون رقم طبعة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٧٦. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي محمد محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٧٧. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مكتبة الصفا،ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٧٨. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: نشأت المصري، المكتبة الاسلامية، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
٧٩. شرح الطحاوية، على بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، بدون رقم طبعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٨٠. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن أحمد السفاريني، شرح: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٨١. شرح العقيدة السفارينية، محمد مانع، ، أضواء السلف، بدون رقم وسنة طبعة.
٨٢. شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، الموسوعة الشاملة.
٨٣. شرح العقيدة الطحاوية(لفضيلة العلماء الأجلاء)، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ،ألفا، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٨٤. شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،تحقيق/محمد فرج، ألفا، ط١ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م
٨٥. شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، صالح الفوزان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٧، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٨٦. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٨٧. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس، دار الهداية، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٨٨. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، تحقيق: هاني الحاج- عماد البارودي ، المكتبة الوقفية، بدون رقم وسنة طبعة.
٨٩. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، المكتبة الشاملة .
٩٠. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٩١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية، بدون رقم وسنة طبعة.
٩٢. شفاء العليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مصطفى الشلبي، مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م.
٩٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني ، محمد شودري، رمادي للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/١٩٩٧م.

٩٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق : شعيب الأرنــؤوط، مؤســسة الرســالة – بيروت، ١٤١٤ هــ/١٩٩٣ م.
٩٥. صحيح مسلم، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، بدون رقــم طبعــة، ١٤١٩هــ/١٩٩٨م.
٩٦. الصلاة وحكم تاركها ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هــ ١٩٨١م.
٩٧. طريق الهجرتين، ابن قيم الجوزية ، مكتبة القدس ط ١، ١٤٢٨ هــ/٢٠٠٧م.
٩٨. ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الــرحمن الميــداني، دار القلــم، ط١، ١٤١٤هــ/١٩٩٣م.
٩٩. ظلال الجنة في تخريج السنة، محمد الألباني، المكتــب الإســلامي، ط٤، ١٤١٩هــــ/ ١٩٩٨م.
١٠٠. عالم الملائكة الأبرار، عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، ط٣، ١٤٠٣هــ/١٩٨٣م.
١٠١. العقيدة الإسلامية وأسسها،عبد الــرحمن حبنكــة الميــداني، دار القلــم، دمــشق،ط٤، ١٤٠٦هــ/١٩٨٦م.
١٠٢. عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، مكتبــة العلــوم والحكمــة، المدينــة المنــورة،ط٤، ١٤١٩هــ/١٩٩٨م.
١٠٣. العقيدة في الله، عمر الأشقر ، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٩هــ/٢٠٠٨م.
١٠٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، تحقيق: عبــد الله عمــر، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هــ/٢٠٠١م.
١٠٥. غاية السول في خصائص الرسول، ابن الملقن عمر بن علي الأنصاري، تحقيــق: عبــد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٢هــ/٢٠٠١م.
١٠٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بــن محمــد بــن حــسين القمــي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنــان - ١٤١٦ هــــ / ١٩٩٦ م
١٠٧. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، تحقيق: محمد عطا- مصطفى عطا، دار الكتــب العلميــة، ط١، ١٤٠٨هــ/١٩٨٧.
١٠٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار المعرفــة ، بــدون سنة ورقم طبعة.
١٠٩. فتح الباري، ابن رجب،تحقيق: محمد عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغربــاء الأثريــة، ط١، ١٤١٧هــ/١٩٩٦م.

١١٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.
١١١. الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الاسلامي، محمد بخيت، مكتبة آفاق، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١١٢. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب عواجي،دار البينة للنشر، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١١٣. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد الرحمن اليحيى، دار الفضيلة، بدون رقم وسنة طبعة.
١١٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري،تحقيق: محمد نصر-عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
١١٥. الفوائد، ابن القيم، تحقيق: طه سعد، دار إحياء الكتب العربية، بدون رقم وسنة طبعة
١١٦. في ظلال القرآن ،سيد قطب، دار الشروق، ط٣٨، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١١٧. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٥هـ.
١١٨. القيامة الصغرى، عمر الأشقر ، دار النفائس، الأردن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١١٩. كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار القاسم للنشر،بدون رقم طبعة، بدون سنة طبعة.
١٢٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة.
١٢١. لباب التأويل في معاني التنزيل ،علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن،دار الفكر ،١٣٩٩ هـ /١٩٧٩ م
١٢٢. لسان العرب، ابن منظور،اعتنى بتصحيحها: أمين عبد الوهاب- محمد العبيدي،دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٣، بدون سنة طبعة.
١٢٣. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٢٤. مباحث المفاضلة في العقيدة، محمد الشظيفي، دار ابن القيم – دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٢٥. مباحث في العقيدة، عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، مكتبة الرشد ناشرون،١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٢٦. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن حسن الطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة، بدون رقم وسنة طبعة.
١٢٧. مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، دار العربية، ط١، ١٣٩٨هـ.
١٢٨. مجموعة التوحيد لابن تيمية و محمد بن عبد الوهاب، المكتبة السلفية،بدون رقم وسنة طبعة.
١٢٩. محبة النبي ﷺ وطاعته بين الانسان والجماد، خليل العزامي، دار القلم العربي، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م
١٣٠. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
١٣١. مختصر الأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز السلمان، ط١٨، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٣٢. مختصر التُحفة الاثنى عشرية، شاه عبدالعزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصار: السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق: محب الدين الخطيب ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، بدون رقم طبعة، ١٤٠٤هـ.
١٣٣. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم ابن منظور، دار الفكر، ط١٤٠٨،١هـ/١٩٨٨م.
١٣٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١٣٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، اعداد: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
١٣٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني،المحقق:شعيب الأرنؤوط، ،مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م.
١٣٧. مع الشيعة الاثنى عشرية في الأصول والفروع، علي السالوس دار التقوى للنشر والتوزيع، دار الثقافة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٣٨. معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر،دار ابن القيم، ط٣، ١٤١٥هـ/١٩٩٥.
١٣٩. معالم التوحيد، مروان القيسي،المكتب الإسلامي،ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٤٠. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٤١. معجم ألفاظ العقيدة، تصنيف: عامر فالح، مكتبة العبيكان، ط١،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٤٢. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، بدون رقم وسنة طبعة.
١٤٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولي، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٤٤. معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الحسين بن محمد المفضل الأصفهاني، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
١٤٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
١٤٦. المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ، تحقيق/ محمد كيلاني ، دار المعرفة – بيروت، بدون رقم وسنة طبعة.
١٤٧. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق/ بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص، ط١٤٠٧،١ هـ/ ١٩٨٧م.
١٤٨. مكانة النبي ﷺ وخصائصه في سورة الأحزاب، عبد الله الخطيب، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
١٤٩. الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة-الرياض،ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٥٠. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال،محمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة الشاملة.
١٥١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١٥٢. النبوات ، ابن تيمية، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ.
١٥٣. النهاية في غريب الحديث، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق/ طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، دار احياء التراث العربي، بدون رقم وسنة طبعة.
١٥٤. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، مكتبة الامام الذهبي، الكويت، بدون رقم وسنة طبعة.
١٥٥. الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن القائد، دار عالم الفوائد، بدون رقم وسنة طبعة.

١٥٦. الوحدة التاريخيـــة للـــسور القرآنيـــة، عمـــران ســـميح نـــزال ، دار القـــراء، الأردن، ط١٤٢٧،١هـ/٢٠٠٦م.

١٥٧. وفيات الأعيان، شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بـــدون رقم وسنة طبعة.

١٥٨. الولاء والبراء في الإسلام، محمد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط١١، ١٤٢٣هـــ.

ثانياً: شبكة المعلومات الدولية(إنترنت)

١٥٩. أثر الابتلاءات في صقل الشخصيات، ٢٠١٠/٤/٢٥م ، http://www.islamway.com

١٦٠. الإيمان ودوره في توجيه الأخلاق و تقويم السلوك الاجتماعي والاقتصادي، محمد الوردي،٢٠١٠/٤/٢٧م ، http://www.maghress.com

١٦١. غزوة الأحزاب دروس وعبر، أمير بن محمد المدري، ٢٠١٠/٣/٢٥م http://www.saaid.net

١٦٢. المنافقون اليوم أكثر عدداً، وأعظم خطراً وشراً من المنافقين الماضين،٢٠١٠/٤/٢٧م http://www.islamadvice.com/

٤.فهرس الموضوعات

ملخص البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستنصره، نؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد...

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ ، ومن أهم المعاني الذي نزل القرآن الكريم لإثباتها هي العقيدة، فالعقيدة أصل الإسلام وأساس الملة ولا تقبل الأعمال والأقوال في الإسلام ولا تصح إلا إذا صدرت عن عقيدة صحيحة.

وحين ابتعد المسلمون عن القرآن الكريم ضعفت العقيدة في نفوسهم؛ فضلوا و أضلوا وظهرت بينهم البدع وانتشرت فيهم المعتقدات الباطلة؛ فكان لزاماً علينا أن نرجع إلى هذا النبع الصافي لكي ننهل منه عقيدتنا.

لذلك جاء هذا البحث لدراسة القضايا العقدية في سورة الأحزاب، ولقد تعرضت السورة للكثير من القضايا العقائدية المهمة.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد و خمسة فصول، وتناولت في التمهيد، تسمية السورة، و نزولها، ومقاصدها العامة وخصائصها.

وأما الفصل الأول فتناولت فيه التوحيد ونواقضه بفروعه في ثلاثة مباحث، توحيد الربوبية ونواقضه، توحيد الألوهية ونواقضه، توحيد الأسماء والصفات .

الفصل الثاني فكان عن النبوات في سورة الأحزاب وجاء في ثلاثة مباحث، المبحث الأول الأنبياء والرسل ووجوب توقيرهم، تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، أولو العزم من الرسل والمفاضلة بينهم، ووجوب توقير الأنبياء والرسل، أما المبحث الثاني فتحدثت عن خصائص نبينا ﷺ الواردة في السورة منها، اختصاصه بختم النبوة، خصوصيات النبي ﷺ في أحكام الزواج، اختصاصه ﷺ بالشهادة على أمته بإبلاغ الرسالة، اختصاصه ﷺ بنداء الله تعالى له بأعز أوصافه، فأما المبحث الثالث مكانة النبي ﷺ وآله في سورة الأحزاب، فتناولت ولاية النبي ﷺ على المؤمنين، الصلاة عليه، اقتران أذية الله تعالى بأذية النبي ﷺ ، تطهير أهل بيته.

وأما الفصل الثالث فتحدثت عن الغيبيات الواردة في السورة في ثلاثة مباحث، فتناولت في المبحث الأول الملائكة، فقمت بتعريف الملائكة، و ذكرت بعض أعمال الملائكة.

المبحث الثاني فتحدثت عن اليوم الآخر، وعرفت باليوم الآخر وغيبيته، وتحدثت عن الجنة والنار و خلود أهلهما، وتحدثت عن أحوال الناس يوم القيامة .

المبحث الثالث فكان حول القضاء والقدر، فقمت بتعريف القضاء والقدر، وتحدثت مراتب القضاء والقدر، وعن الهداية وأفعال العباد، وعن الأخذ بالأسباب.

وأما الفصل الرابع فكان الحديث عن أصناف الناس في سورة الأحزاب، في أربعة مباحث، أمـــا المبحث الأول فتحدثت عن المؤمنون، وبينت الفرق بين الإسلام والإيمان، وتحدثت عن صفات المؤمنين، وعن زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثاني فتحدثت عن المنافقين، فقمت بتعريف النفاق، صفات المنافقين، عقاب المنافقين.

المبحث الثالث فتحدثت عن الكفار، فعرفت الكفر، وذكرت صفات الكفار، و حكم لعـــن الكفـــار.

المبحث الرابع فتحدثت عن يهود بني قريظة، وصفاتهم.

وأما الفصل الخامس فتحدثت عن أثر العقيدة على الفرد والمجتمع في ضوء سورة الأحزاب في مبحثين، أما المبحث الأول فجعلته لأثر العقيدة على الفرد، وتناولت فيه، الثقة بنصر الله، طاعـــة الله عز وجل ورسوله، صقل شخصية المؤمن، الاقتداء بالنبي ﷺ، تقويم السلوك.

أما المبحث الثاني فتناولت فيه أثر العقيدة على المجتمع، وتعرضت فيه لمواضيع مهمـــة منهـــا، تحكيم شرع الله في كافة الأمور، الاعتبار بسنن الله عز وجل في الأمم، تحقق الانتـــصار علـــى الكفار ووراثة الأرض، الحيطة والحذر من الكفار و المنافقين، إبطال العـــادات والتقاليـــد التـــي تخالف الإسلام.

وفي الخاتمة سجلت أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

Abastract

Praise in Allah, we glorify him; we ask Him for His assistance and beseech His forgiveness. We believe in Him, and in Him we place our confidence. We believe that Allah is One and he has no partner and Mohamad his Prophet and slave

No doubt that the Holy Quran is the eternal miracle for the prophet Mohamed (PBUH) and one of the most meanings that Quran came to emphasize is the faith. The faith is the base of Islam and no deed or action are accepted in Islam without correct belief.

When Muslims are far of the Holy Quran, the faith becomes weak in their souls. Therefore, the fads spread between them as well as corrupted faith. It is necessary for us to comeback again to this holy book to take the pure belief.

This research talks about the beliefs issues in Al Ahzab chapter. This chapter has many important beliefs issues.

The research is divided into introduction and five chapters.

In introduction, I speak about Al Ahzab and the cause for giving it this name, why it descends and the general objectives in addition to its characteristics.

The first chapter talks about monotheism (Tawhed) and its contradictions in three parts, Godhead and its contradictions, Al Robobia and its contradictions as well as the ٩٩ names of God and attributes.

The second chapter talks about the prophets and messengers in Al Ahzab chapter and this comes in three parts. The first part: the prophets and respecting them then definition of the prophet and the messenger and the difference between them. The part talks about the best five prophets (Olo Al Azem)
The second part talks about our prophet Mohamed PBUH and his personality mentioned in Al Ahzab chapter as he is the end of the prophet, philsophy of his marriage, his personality in notification on his nation and Allah calls him with the best names in Quran. The third part talks about the prophet's charge on Muslims and blessing on him as well as when one hurt the prophet, this means hurting the greatest Allah. Moreover, the part talks about the prophet's family and their purifying.

The third chapter in three parts talks about the invisible mentioned in Al Ahzab chapter; the first part discusses the angles. I define the angles and their deeds and works.
The second part talks about the judgment day. I define this day and speak about the hell and paradise people in addition to the situation of people in that day.

The third part talks about the fate, the grades of the fate, the guidance and people' deeds.

In the forth chapter, I talk about the classification of people in Al Ahzab chapter in forth parts. The first is about believers and the difference between Islam and (Iman) Fatalism and Destiny of Muslims and the Islam increases and declines in the heartsAnd Appointment as Representative.

The second parts talks about the hypocrites. I define the hypocrites and the merits of them and their punishments. The third part talks about unbelievers and defining them, their uniqueness and the judgment for insulting them. In the forth, I talk about Bani Groida Jews and their virtues.

The fifth chapter talks about the impact of faith in the society and for the person according to Al Ahzab chapter in two parts. The first part is about the impact of the faith for the person and the trust in victory, obeying the God and his messenger and cultivating the Muslims' character and following the prophet Mohamed (PBUH) in addition to correct the behavior.

The last part concludes the impact of the faith on the society and discusses important issues as resorting Islamic law in all matters, learning a lesson from Allah practices in the nations. Achieving the victory on the unbelievers and the succession of the land. Warning from the hypocrites and unbelievers. Putting out the traditions and habits disagreeing with Islam.

In the conclusion, I record all what I arrive from results and recommendations.